المحاسن والأضداد

عبد الرحمن محمد

تأليف

﴿ أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري ﴾

(إمام أهل الأدب المتوفى سنة ٢٥٥ هـ)

﴿ الطبعة الثانية ﴾

سنة ١٣٣٠

﴿ على نفقة الفاضل علي رضا افندي ﴾

(ادارة) أحمد ناجي الجمالي ومحمد أمين الخانجي الكتبي وأخيه بمصر

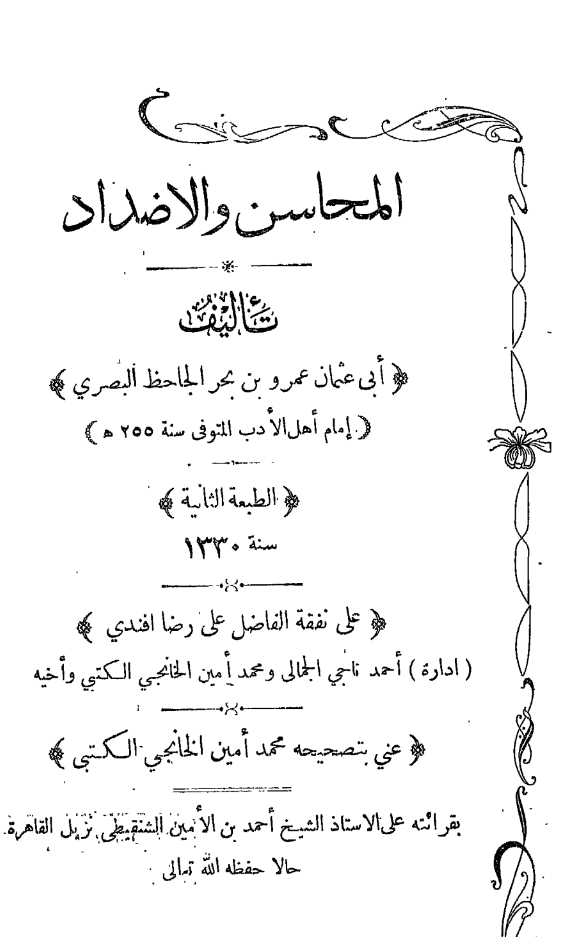
﴿ عني بتصحيحه محمد أمين الخانجي الكتبي ﴾

بقراءته على الاستاذ الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي نزيل القاهرة

حالا حفظه الله تعالى

المطبعة الجمالية

89



المحاسن والاضداد

تأليف

﴿ أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري ﴾

(إمام أهل الأدب المتوفى سنة ٢٥٥ هـ)

﴿ الطبعة الثانية ﴾

سنة ١٣٣٠

﴿ على نفقة الفاضل علي رضا افندي ﴾

(ادارة) أحمد ناجي الجمالي ومحمد أمين الخانجي الكتبي وأخيه

﴿ عني بتصحيحه محمد أمين الخانجي الكتبي ﴾

بقرائته على الاستاذ الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي نزيل القاهرة حالا حفظه الله تعالى

المطبعة الجمالية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله سيدنا محمد وآله أجمعين

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ * انى ربما ألفت الكتاب المحكم المتقن فى الدين والفقه والرسائل والسيرة والخطب والخراج والاحكام وسائر فنون الحكمة وأنسبه الى نفسى فيتواطأ على الطعن فيه جماعة من أهل العلم بالحسد المركب فيهم وهم يعرفون براعته ونصاحته وأكثر ما يكون هذا منهم اذا كان الكتاب مؤلفا لملك معه المقدرة على التقديم والتأخير والحط والرفع والترهيب والترغيب فانهم يهتاجون عند ذلك اهتياج الابل المغتلمة فان أمكنتهم الحيلة فى اسقاط ذلك الكتاب عند السيد الذى ألف له فهو الذى قصدوه وأرادوه وان كان السيد المؤلف فيه الكتاب نحريراً نقابا ونقريساً بليغاً وحاذقاً فطناً وأعجزتهم الحيلة سرقوا معانى ذلك الكتاب وألفوا من اعراضه وحواشيه كتابا وأهدوه الى ملك آخر ومتوا اليه وهم قد ذموه وثلبوه لما رأوه منسوبا الى وموسوما بى .. وربما ألفت الكتاب الذى هو دونه فى معانيه وألفاظه فأترجمه باسم غيرى وأحيله على من تقدمنى عصره مثل ابن المقفع والخليل وسلم صاحب بيت الحكمة ويحيى بن خالد والعتابى ومن أشبه هؤلاء من مؤلفى الكتب فيأتينى أولئك القوم بأعيانهم الطاعنون على الكتاب الذى كان أحكم من هذا الكتاب لاستنساخ هذا الكتاب وقراءته على ويكتبونه بخطوطهم ويصيرونه إماما يقتدون به ويتدارسونه بينهم ويتأدبون به ويستعملون ألفاظه ومعانيه فى كتبهم وخطاباتهم ويرونه عنى لغيرهم من طلاب ذلك الجنس فتثبت لهم به رياسة يأتم بهم قوم فيه لانه لم يترجم باسمى ولم ينسب الى تأليفى .. وهذا كتاب وسمته (بالمحاسن والاضداد) لم أسبق الى نحلته ولم يسألنى أحد صنعه ابتدأته بذكر محاسن الكتابة والكتب وختمته فى ذكر شىء من محاسن الموت والله يكلأه من حاسد اذا حسد

﴿ محاسن الكتابة والكتب ﴾

كانت العجم تقيد مآثرها بالبنيان والمدن والحصون مثل بناء أزدشير وبناء اصطخر وبناء المدائن والسدير والمدن والحصون .. ثم ان العرب شاركت العجم فى البنيان وتفردت بالكتب والاخبار والشعر والاثار فلها من البنيان غمدان وكعبة نجران وقصر مارب وقصر مارد وقصر شعوب والابلق الفرد وغير ذلك من البنيان : وتصنيف الكتب أشد تقييداً للمآثر على مر الايام والدهور من البنيان لان البناء لامحالة يدرس وتعفى رسومه والكتاب باق يقع من قرن الى قرن ومن أمة الى أمة فهو أبداً جديد والناظر فيه مستفيد وهو أبلغ فى تحصيل المآثر من البنيان والتصاوير :: وكانت العجم تجعل الكتاب فى الصخور ونقشاً فى الحجارة وخلقة مركبة فى البنيان فربما كان الكتاب هو الناتئ وربما كان هو المحفور اذا كان ذلك تاريخاً لأمر جسيم أو عهداً لأمر عظيم أو موعظة يرتجى نفعها أو احياء شرف يريدون تخليد ذكره كما كتبوا على قبة غمدان وعلى باب القيروان وعلى باب سمرقند وعلى عمود مأرب وعلى ركن المشقر وعلى الابلق الفرد وعلى باب الرها يعمدون الى المواضع المشهورة والاماكن المذكورة فيضعون الخط فى أبعد المواضع من الدثور وأمنعها من الدروس وأجدر أن يراه من مر به ولا ينسى على وجه الدهور :: ولولا الحكم المحفوظة والكتب المدونة لبطل أكثر العلم ولغلب سلطان النسيان سلطان الذكر ولما كان للناس مفزع الى موضع استذكار ولو لم يتم ذلك لحرمنا أكثر النفع :: ولولا ما رسمت لنا الاوائل فى كتبها وخلدت من عجيب حكمتها ودونت من أنواع سيرها حتى شاهدنا بها ما غاب عنا وفتحنا بها كل مستغلق فجمعنا الى قليلنا كثيرهم وأدركنا ما لم نكن ندركه الا بهم لقد بخس حظنا منه وأهل العلم والنظر وأصحاب الفكر والعبر والعلماء بمخارج الملل وأرباب النحل وورثة الانبياء وأعوان الخلفاء يكتبون كتب الظرفاء والصلحاء وكتب الملاهى وكتب أعوان الصلحاء وكتب أصحاب المراء والخصومات وكتب السخفاء وحمية الجاهلية «« ومنهم من يفرط فى العلم أيام خموله وترك ذكره وحداثة سنه «« ولولا جياد الكتب وحسانها لما تحركت همم هؤلاء لطلب العلم ونازعت الى حب الكتب وأنفت من حال الجهل وان يكونوا فى غمار الوحش ولدخل عليهم من الضرر والمشقة وسوء الحال ما عسى أن يكون لا يمكن الاخبار عن مقداره الا بالكلام الكثير «« وسمعت محمد بن الجهم يقول اذا غشينى النعاس فى غير وقت النوم تناولت كتابا فاجد اهتزازى للفوائد الاريحية التى تعترينى من سرور الاستنباه وعز التبيين أشد إيقاظا من نهيق الحمار وهدة الهدم فانى اذا استحسنت كتابا

واستجدته ورجوت فائدته لم أوثر عليه عوضا و لم أبغ به بدلاً فلا أزال أنظر فيه ساعة بعد ساعة كم بقى من ورقه مخافة استنفاده وانقطاع المادة من قبله „ وقال ابن داحة كان عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب لا يجالس الناس فنزل مقبرة من المقابر وكان لا يزال في يده كتاب يقرؤه فسئل عن ذلك فقال لم أر أوعظ من قبر ولا آنس من كتاب ولا أسلم من الوحدة „ وأهدى بعض الكتاب الى صديق له دفتراً وكتب معه .. هديتى هذه أعزك الله تزكو على الانفاق وتربو على الكد لا تفسدها العوارى ولا تخلقها كثرة التقليب وهى إنس فى الليل والنهار والسفر والحضر تصلح للدنيا والآخرة تؤنس فى الخلوة وتمنع من الوحدة مسامر مساعد ومحدث مطاوع ونديم صدق .. وقال بعض الحكماء الكتب بساتين العلماء „ وقال آخر .. الكتاب جليس لا مؤنة له „ وقال آخر الكتاب جليس بلا مؤنة .. وقال آخر ذهبت المكارم الا من الكتب

﴿قال الجاحظ﴾ .. وأنا أحفظ وأقول : الكتاب نعم الذخر والعقدة والجليس والعمدة ونعم النشرة ونعم النزهة ونعم المشتغل والحرفة ونعم الانيس ساعة الوحدة ونعم المعرفة ببلاد الغربة ونعم القرين والدخيل والزميل ونعم الوزير والنزيل .. والكتاب وعاء مُلئ علماً وظرف حشى ظرفاً وإناء شحن مزاحاً إن شئت كان أعيى من باقل وان شئت كان أبلغ من سحبان وائل وإن شئت سرتك نوادره وشجتك مواعظه ومن لك بواعظ مُلهٍ و بناسك فاتك وناطق أخرس ومن لك بطبيب اعرابى ورومى هندى وفارسى يونانى ونديم مولد ونجيب ممتع ومن لك بشىء يجمع الاول والآخر والناقص والوافر والشاهد والغائب والرفيع والوضيع والغث والسمين والشكل وخلافه والجنس وضده .. وبعد فما رأيت بستانا يحمل فى ردن وروضة تنقل فى حجر ينطق عن الموتى ويترجم عن الاحياء ومن لك بمؤنس لا ينام الا بنومك ولا ينطق الا بما تهوى آمن من الارض وأكتم للسر من صاحب السر وأحفظ للوديعة من أرباب الوديعة ولا أعلم جاراً آمن ولا خليطاً أنصف ولا رفيقا أطوع ولا معلما أخضع ولا صاحباً أظهر كفاية وعناية ولا أقل املالا ولا ابراما ولا أبعد من مراء ولا أترك لشغب ولا أزهد فى جدال ولا أكف عن قتال من كتاب ولا أعم بيانا ولا أحسن مواتاة ولا أعجل مكافأة ولا شجرة أطول عمرا ولا أطيب ثمراً ولا أقرب مجتنى ولا أسرع ادراكا ولا أوجد فى كل إبان من كتاب ولا أعلم نتاجا فى حداثة سنه وقرب ميلاده ورخص ثمنه وإمكان وجوده يجمع من السير العجيبة والعلوم الغريبة وآثار العقول الصحيحة ومحمود الاذهان اللطيفه ومن الحكم الرفيعة والمذاهب القديمة والتجارب الحكيمة والاخبار عن القرون الماضية والبلاد النازحة والامثال السائرة والامم البائدة ما يجمعه كتاب .. ومن لك بزائر إن شئت كانت زيارته غباً و ورده خمسا و إن شئت

لزمك لزوم ظلك وكان منك كبعضك . والكتاب هو الجليس الذي لا يطريك والصديق الذي لا يقليك والرفيق الذي لا يملك والمستمع الذي لا يستزيدك والجار الذي لا يستبطئك والصاحب الذي لا يريد استخراج ما عندك بالملق ولا يعاملك بالمكر ولا يخدعك بالنفاق . والكتاب هو الذي ان نظرت فيه أطال امتاعك وشحذ طباعك وبسط لسانك وجود بيانك وفخم ألفاظك وبجح نفسك وعمر صدرك ومنحك تعظيم العوام وصداقة الملوك يطيعك بالليل طاعته بالنهار وفي السفر طاعته في الحضر وهو المعلم إن افتقرت اليه لم يحقرك وان قطعت عنه المادة لم يقطع عنك الفائدة وان عزلت لم يدع طاعتك وان هبت ريح أعدائك لم ينقلب عليك ومتى كنت متعلقاً منه بأدنى حبل لم تضطرك معه وحشة الوحدة الى جليس السوء وإن أمثل ما يقطع به الفراغ نهارهم وأصحاب الكفايات ساعات ليلهم نظر في كتاب لا يزال لهم فيه ازدياد في تجربة وعقل ومروءة وصون عرض وإصلاح دين وتثمير مال ورب صنيعة وابتداء إنعام . ولو لم يكن من فضله عليك وإحسانه اليك الا منعه لك من الجلوس على بابك والنظر الى المارة بك مع ما في ذلك من التعرض للحقوق التي تلزم ومن فضول النظر وملابسة صغار الناس ومن حضور الفاظهم الساقطة ومعانيهم الفاسدة وأخلاقهم الردية وجهالتهم المذمومة لكان في ذلك السلامة والغنيمة واحراز الاصل مع استفادة الفرع ولو لم يكن في ذلك الا أنه يشغلك عن سخف المنى واعتياد الراحة وعن اللعب وكل ما تشتهيه لقد كان له في ذلك على صاحبه أسبغ النعم وأعظم المنة . وجملة الكتاب وان كثر ورقه فليس مما يمل لانه وان كان كتاباً واحداً فانه كتب كثيرة في خطابه والعلم بالشريعة والاحكام والمعرفة بالسياسة والتدبير » وقال مصعب بن الزبير . ن الناس يتحدثون بأحسن ما يحفظون ويحفظون أحسن ما يكتبون ويكتبون أحسن ما يسمعون فاذا أخذت الادب فخذه من أفواه الرجال فانك لا ترى ولا تسمع الا مختاراً ولؤلؤاً منظوما . وقال لقمان لابنه . يابني نافس في طلب العلم فانه ميراث غير مسلوب وقرين غير مغلوب نفيس حظ من الناس وفي الناس مطلوب «» وقال الزهري . الادب ذكر لا يحبه الا الذكور من الرجال ولا يبغضه الا مؤنثهم «» وقال . اذا سمعت أدبا فاكتبه ولو في حائط » وقال منصور بن المهدي للمأمون . أيحسن بنا طلب العلم والادب قال : والله لان أموت طالباً للادب خير لي من أن أعيش قانعاً بالجهل قال : فالى متى يحسن بي ذلك قال : ما حسنت الحياة بك .

(ضده)

الحديث المرفوع رحم الله عبداً أصلح من لسانه : وكان الوليد بن عبد الملك لحنه فدخل اليه اعرابي يوما فقال انصفني من ختني يا أمير المؤمنين فقال ومن ختنك قال رجل من الحي لا

أعرف اسمه فقال عمر بن عبد العزيز أن أمير المؤمنين يقول لك من ختنك فقال هوذا بالباب فقال الوليد لعمر ماهذا قال النحو الذى كنت أخبرتك عنه . قال لا جرم فانى لا أصلى بالناس حتى أتعلمه : قال وسمع اعرابى مؤذنا يقول : أشهد أن محمدا رسول الله فقال يفعل ماذا : قال وقال رجل لزياد : أيها الامير إن أبينا هلك وان أخينا غصبنا على ميراثنا من أبانا فقال زياد ماضيعت من نفسك أكثر مما ضاع من ميراث أبيك فلا رحم الله أباك حيث ترك ابنا مثلك : وقال مولى لزياد : أيها الامير احذوا لنا همار وهش ، فقال : ماتقول ، فقال احذوا لنا ايراً ، فقال زيادة : الاول خير من الثانى ،، قال واختصم رجلان الى عمر بن عبد العزيز فجعلا يلحنان فقال الحاجب : فما فقد أوذيتما أمير المؤمنين ، فقال عمر للحاجب : أنت والله أشد اذاء منهما ،، قال وقال بشر المريسى وكان كثير اللحن : قضى لكم الامير على أحسن الوجوه وأهنؤها ، فقال القاسم التمار : هذا على قوله:

إنّ سُليمى والله يكلؤها * ضنّتْ بشىء ما كانَ يرْزَؤُها

فكان احتجاج القاسم أطيب من لحن بشر ،، قال وكان زياد النبطى شديد اللكنة وكان نحوياً فدعى غلامه ثلاثاً فلما أجابه قال : من لدن دأوتك الى أن ديتنى ما كنت تصنا ، يريد دعوتك وجئتنى وتصنع ،، ومر ماسرجويه الطبيب بمعاذ بن مسلم فقال : ياماسرجويه انى لاجد فى حلقى بحاً ، قال : هو من عمل بلغم ، فلما جاوزه قال : ترانى لا أحسن أن أقول بلغم ولكنه قال بالعربية فأجبته بضدها .

— محاسن المخاطبات —

حكوا عن ابن القرّية ،، انه دخل على عبد الملك بن مروان فبينا هو عنده اذ دخل بنو عبد الملك عليه فقال : من هؤلاء الفتية ياأمير المؤمنين ، قال ولد أمير المؤمنين ، قال : بارك الله لك فيهم كما بارك لابيك فيك وبارك لهم فيك كما بارك لك فى أبيك ، قال فشحن فاه دراً ،، قال وقال عمارة بن حمزة لابى العباس وقد أمر له بجوهر نفيس : وصلك الله ياأمير المؤمنين وبرك فوالله لئن أردنا شكرك على انعامك ليقصرن شكرنا عن نعمتك كما قصر الله بنا عن منزلتك ،، قيل ودخل اسحاق بن ابراهيم الموصلى على الرشيد فقال : مالك ، قال

سَوَامِى سَوَامُ المُكْثِرِينَ تَجَمُّلاً * ومالى كما قد تعلمينَ قليلُ

وآمِرَةٍ بالبخْلِ قلتُ لهاا قْصِرِى * فذلكَ شىءٌ ما إليه سَبيلُ

وكيفَ أخافُ الفقرَ أوْ أُحْرَمُ الغِنا * ورأْىُ أميرِ المؤمنينَ جميلُ

أرى الناسَ خُلاّنَ الجَوَادِ ولا أرى * بَخيلاً له فى العالمينَ خليلُ

فقال الرشيد : هذا والله الشعر الذى صحت معانيه وقويت أركانه ومبانيه ولذ على أفواه القائلين واسماع السامعين ياغلام احمل اليه خمسين الف درهم ، قال اسحاق : ياأمير المؤمنين كيف أقبل صلتك وقد مدحت شعرى بأكثر مما مدحتك به ، قال الاصمعى : فعلمت انه أصيد للدراهم منى ،، قال ودخل المأمون ذات يوم الديوان فنظر الى غلام جميل على أذنه قلم فقال من أنت ، قال : أنا الناشئ فى دولتك المتقلب فى نعمتك المؤمل لخدمتك الحسن بن رجاء ، فقال المأمون : بالاحسان فى البديهة تتفاضل العقول يرفع عن مرتبة الديوان الى مراتب الخاصة ويعطى مائة الف درهم تقوية له ،، قال : ووصف يحيى بن خالد الفضل بن سهل وهو غلام على المجوسية للرشيد وذكر أدبه وحسن معرفته فعمل على ضمه الى المأمون فقال ليحيى يوماً : أدخل الىّ هذا الغلام المجوسى حتى أنظر اليه فاوصله فلما مثل بين يديه ووقف تحير فأراد الكلام فارتج عليه فادركته كبوة فنظر الرشيد الى يحيى نظرة منكرة لما كان تقدم من تقريظه اياه فانبعث الفضل بن سهل فقال : ياأمير المؤمنين أن من أبين الدلائل على فراهة المملوك شدة افراط هيبته لسيده ، فقال له الرشيد : أحسنت والله لئن كان سكوتك لتقول هذا انه لحسن ولئن كان شيئاً أدركك عند انقطاعك انه لاحسن وأحسن ثم جعل لا يسأله عن شئ الا رآه فيه مقدما فضمه الى المأمون ،، قال وقال الفضل بن سهل للمأمون وقد سأله حاجة لبعض أهل بيوتات دهاقين سمرقند كان وعده تعجيل انفاذها فتأخر ذلك : هب لوعدك مذكراً من نفسك وهنئ سائلك حلاوة نعمتك واجعل ميلك الى ذلك فى الكرم حثاً على اصطفاء شكر الطالبين تشهد لك القلوب بحقائق الكرم والالسن بنهاية الجود ، فقال : قد جعلت اليك اجابة سؤالى عنى بما ترى فيهم وآخذك فى التقصير فيما يلزمهم من غير استئمار أو معاودة فى اخراج الصكاك من أحضر الاموال متناولا قال اذاً لا تجدنى معرفتى بما يجب لامير المؤمنين الهناءبه بما يديم له منهم حسن الثناء ويستمد بدعائهم طول البقاء ،، وقال الفضل بن سهل للمأمون .. ياأمير المؤمنين اجعل نعمتك صائنة لوجوه خدمك عن اراقة مائها فى عضاضة السؤال فقال والله لا كان ذلك الا كذلك ، قال ودخل العتابى على المأمون فقال .. خبرت بوفاتك فغمتنى ثم جاءتنى وفادتك فسرتنى فقال ياأمير المؤمنين كيف أمدحك أم بماذا أصفك ولا دين الا بك ولا دنيا الا معك قال سلنى ما بدا لك قال يداك بالعطية أطلق من لسانى بالمسئلة ،، قال وقدم السعدى أبو وجزة على المهلب ابن أبى صفرة . فقال أصلح الله الامير انى قد قطعت اليك الدهناء وضربت اليك آباط الابل من يثرب قال فهل اتيتنا بوسيلة او عشرة او قرابة قال لا ولكننى رايتك لحاجتى اهلا فان قمت بها فأهل ذلك وان يحل دونها حائل لم اذمم يومك ولم أيأس من غدك فقال المهلب يعطى ما فى بيت المال فوجد

مائة الف درهم فدفعت اليه فأخذها . وقال :

يامَنْ على الجودِ صاغ اللهُ راحتهُ * فليس يُحسِنُ غيرَ البذلِ والجودِ
عمّتْ عطاياكَ مَن بالشرْقِ قاطبةً * فأنتَ والجودُ منحوتان من عودِ

وقد يجب على العاقل الراغب فى الادب ان يحفظ هذه المخاطبات و يدمن قراءتها .. وقد قال الاصمعى

أَمَا لوْ أَعِى كلَّ ما أَسْمَعُ * وأَحْفَظُ مِنْ ذاكَ ما أَجْمَعُ
ولمْ أَسْتَفِدْ غيْرَ ماقدْ جمعْتُ * لَقيلَ أنا العالِمُ المُقْنِعُ
ولكِنَّ نَفْسى إلى كلِّ شئٍ * مِنَ العِلمِ تَسْمَعُهُ تَنزِعُ
فلاَ أنا أَحْفَظُ ماقدْ جَمَعْتُ * ولا أنا مِنْ جَمْعِهِ أَشْبَعُ
وأَقْعُدُ لِلجَهْلِ فى مَجْلِسٍ * وعِلْمى فى الكُتْبِ مُسْتَوْدَعُ
ومَنْ يَكُ فى عِلْمِهِ هكذا * يكنْ دَهْرَهُ القَهْقَرَى يَرْجِعُ
يَضيعُ مِنَ المالِ ماقدْ جمَعْت * وعلمُكَ فى الكُتْبِ مُستوْدَعُ
إذا لمْ تكُنْ حافِظاً واعِياً * فجَمْعُكَ لِلكُتْبِ ما يَنفعُ

وقال بعضهم .. الحفظ مع الاقلال امكن وهو مع الاكثار ابعد وتغيير الطبائع زمن رطوبة الغصن اقبل .. وفيها قال الشاعر

أتانى هَواها قبْلَ أنْ أعرفَ الهوىٰ * فَصادَفَ قلباً خالِياً فتمكّنا

وقيل ،، العلم فى الصغر كالنقش فى الحجر والعلم فى الكبر كالعلامة على المدر . فسمع ذلك الاحنف فقال الكبير أكثر عقلا ولكنه أكثر شغلا .. كما قال

وإنّ مَنْ أدَّبتهُ فى الصّبىٰ * كالعُودِ يُسقى الماءَ فى غَرْسِهِ
حتّى تَراهُ مُورِقاً ناضِراً * بعدَ الذى أبصَرْتَ مِنْ يُبْسِهِ

والصبى عن الصبى افهم وهو له آلف واليه انزع . وكذلك العالم عن العالم والجاهل عن الجاهل .. وقال الله تعالى (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا) لان الانسان عن الانسان افهم وطباعه بطباعه آنس

ــ ضده ــ

قال ،، دخل ابو علقمة النحوى على اعين الطبيب فقال .. انى اكلت من لحوم الجوازى

وطسئت طساة. فأصابني وجع بين الوابلة الى دأية العنق فلم يزل ير بو وينمو حتى خالط الشراسيف فهل عندك دواء . . قال نعم خذ خوفقاوسر بقا ورقرقا فاغسله واشربه بماء فقال لا ادري ما تقول قال ولا انا دريت ما قلت . . قال وقال يوما آخر اني اجد ممعمة في قلبي وقرقرة في صدري فقال له اما الممعمة فلا اعرفها واما القرقرة فهي ضراط غير نضيج . . قال واتى رجل الهيثم بن العريان بغريم له قد مطله حقه فقال اصلح الله الامير إن لي على هذا حقا قد غلبني عليه فقال له الآخر اصلحك الله ان هذا باعني عنجداً واستنسأته حولا وشرطت عليه ان اعطيه مياومة فهو لا يلقاني في لتم الا اقتضاني ذهبا قال له الهيثم امن بني أُمية انت قال لا قال افمن بني هاشم انت قال لا قال افمن اكفائهم من العرب قال لا قال ويلي عليك انزعوا ثيابه فلما ارادوا ان ينزعوا ثيابه قال اصلحك الله ان إزاري مرعبل قال دعوه فلو ترك الغريب في موضع لتركه في هذا الموضع . . قال ومر أبو علقمة ببعض الطرق فهاجت به مرة فوثب عليه قوم فجعلوا يعصرون ابهامه ثم يؤذنون في أذنه فأفلت من أيديهم فقال مالكم تتكأكؤن على تكأكؤكم على ذي جنة افرنقعوا عني فقال رجل منهم دعوه فان شيطانه يتكلم بالهندية . . قال وقال لحجام يحجمه اشدد قصب الملازم وارهف ظبة المشارط وخفف الوضع وعجل النزع وليكن شرطك وخزاً ومصك نهزاً ولا تكرهن ابياً ولا تردن اتياً فوضع الحجام محاجمه في جونته وانصرف

﴿ محاسن المكاتبات ﴾

قال كعب العبسي لعروة بن الزبير . . قد اذنبت ذنبا الى الوليد بن عبد الملك وليس بزيل غضبه شيء فاكتب لي اليه فكتب اليه . . لو لم يكن لكعب من قديم حرمته ما يغفر له عظيم جريرته لوجب أن لا تحرمه التفيؤ بظل عفوك الذي تأمله القلوب ولا تعلق به الذنوب وقد استشفع بي اليك فوثقت له منك بعفو لا يخالطه سخط فحقق أمله وصدق ثقتي بك تجد الشكر وافياً بالنعمة . . فكتب اليه الوليد . . قد شكرت رغبته اليك وعفوت عنه لمعوله عليك وله عندي ما يحب فلا تقطع كتبك عني في أمثاله وفي سائر امورك . . وكتب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الى بعض اخوانه . . اما بعد فقد عاقني الشك عن عزيمة الراي ابتدأتني بلطف من غير خبرة ثم اعقبتني جفاء من غير ذنب فأطمعني أولك في إحسانك وايأسني آخرك من وفائك فلا أنا في غير الرجاء مجمع لك إطراحا ولا في غد انتظره منك على ثقة فسبحان من لو شاء كشف إيضاح الرأي فيك فاقمنا على إئتلاف أو افترقنا على اختلاف . . قال وسخط مسلمة بن عبد الملك على العريان بن الهيثم فعزله عن شرطة الكوفة فشكا ذلك الى عمر بن عبد العزيز فكتب اليه . . ان من حفظ انعم الله رعاية ذوي الاسنان ومن إظهار شكر الموهوب صفح القادر عن الذنب ومن تمام

السودد حفظ الودائع واستمام الصنائع وقد كنت اودعت العريان نعمة من انعمك فسلبتها عجلة سخطك وما انصفته عصبيته على ان وليته ثم عزلته وخليته وانا شفيعه فأحب ان تجعل له من قلبك نصيبه ولا تخرجه من حسن رايك فتضيع ما اودعته وتتوى[1] ما افدته .. فعفى عنه ورده الى عمله .. قال وغضب سليمان بن عبد الملك على ابن عبيد مولاه فشكا الى سعيد بن المسيب ذلك فكتب اليه .. أما بعد فان أمير المؤمنين فى الموضع الذى يرتفع قدره عما تقتضيه رعيته وفى عفو أمير المؤمنين سعه للمسيئين .. فرضى عنه .. قال وطلب العتابى من رجل حاجة فقضى له بعضها ومطله ببعض فكتب اليه .. أما بعد فقد تركتنى منتظراً لوعدك منتجزاً لرفدك وصاحب الحاجة محتاج الى نعم هنيئة أو لا مريحة والعذر الجميل أحسن من المطل الطويل .. وقد قلت بيتى شعر

بَسَطتَ لِسانى ثمّ أوثَقتَ نِصفَهُ * فنِصفُ لِسانى بامتِداحِكَ مُطلَقُ

فإنْ أنتَ لمْ تُنجِزْ عِدَاتى تركتَنى * وباقى لِسانَ الشكرِ باليأسِ مُوثَقُ

قال .. وكتب عمرو بن مسعدة الى المأمون فى رجل من بنى ضبة يستشفع له بالزيادة فى منزلته وجعل كتابه تعريضاً .. اما بعد فقد استشفع بى فلان يا أمير المؤمنين لتطولك على فى إلحاقه بنظرائه من الخاصة فيما يرتزقون به وأعلمته ان أمير المؤمنين لم يجعلنى فى مراتب المستشفعين وفى ابتدائه بذلك تعدى طاعته والسلام :: فكتب اليه المأمون قد عرفنا تصريحك له وتعريضك لنفسك وأجبناك اليهما ووقفناك عليهما :: قال وكتب عمرو بن مسعدة الى المأمون كتابا يستعطفه على الجند :: كتابى الى امير المؤمنين ومن قبلى من اجناده وقواده فى الطاعة والانقياد على احسن ما تكون عليه طاعة جند تأخرت ارزاقهم واختلّت احوالهم :: فقال المأمون والله لاقضين حق هذا الكلام وامر باعطائهم لثمانية اشهر :: قال وقدم رجل من ابناء دهاقين قريش على المأمون لعدة سلفت منه فطال على الرجل انتظار خروج أمر المأمون فقال لعمرو بن مسعدة توصل فى رقعة منى الى أمير المؤمنين تكون أنت الذى تكتبها تكون لك على نعمتان فكتب :: ان رأى أمير المؤمنين أن يفك أسر عبده من ربقة المطل بقضاء حاجته ويأذن له فى الانصراف الى بلده فعل ان شاء الله :: فلما قرأ المأمون الرقعة دعا عمراً فجعل يعجبه من حسن لفظها وايجاز المراد فقال عمرو فما نتيجتها يا أمير المؤمنين قال الكتاب له فى هذا الوقت بما وعدناه لئلا يتاخر فضل استحساننا كلامه وبجائزة مائة ألف درهم صلة عن دناءة المطل وسماجة لاغفال ففعل ذلك له :: وحدثنا اسماعيل بن أبى شاكر قال :: لما أصاب أهل مكة السيل

---

(١) التواء الهلاك

الذى شارف الحجرومات تحته خلق كثير كتب عبيد الله بن الحسن العلوى وهو والى الحرمين الى المامون :: ان أهل حرم الله وجيران بيته وألاّف مسجده وعمرة بلاده قد استجاروا بعز معروفك من سيل ترا كمت أخر ياته فى هدم البنيان وقتل الرجال والنسوان واجتياح الاصول وجرف الا بقال حتى ماترك طارفا ولا تالداً للراجع اليهما فى مطعم ولا ملبس فقد شغلهم طلب الغذاء عن الاستراحة الى البكاء على الامهات والاولاد والاباء والاجداد فاجرهم ياأمير المؤمنين بعطفك عليهم واحسانك اليهم تجد الله مكافئك عنهم ومثيبك عز الشكر منهم :. قال فوجه اليهم المامون بالاموال الكثيرة .. وكتب الى عبيد الله أما بعد فقد وصلت شكيتك لاهل حرم الله أمير المؤمنين فبكاهم بقلب رحمته وأنجدهم بسيب نعمته وهو متبع ما أسلف اليهم بما يخلفه عليهم عاجلا وآجلا ان أذن الله فى تثبيت عزمه على صحة نيته . قال فصار كتابه هذا آنس لاهل مكة من الاموال التى أنفذها اليهم: قال وكتب جعفر بن محمد بن الاشعث الى يحيى بن خالد يستعفيه من العمل: شكرى لك على ما اريد الخروج منه شكر من سال الدخول فيه : قال وكتب على بن هشام الى اسحق بن ابراهيم الموصلى: ماأدرى كيف اصنع اغيب فاشتاق والتقى ولا اشتفى ثم يحدث لى اللقاء الذى طلبت منه الشفاء نوعا من الحرقة للوعة الفرقة: قال وكتب معقل الى ابى دلف فلان جميل الحال عند الكرام فان انت لم ترتبطه بفضلك عليه فعل غيرك .. وكتب أبو هاشم الحربى الى بعض الامراء: غرضى من الامير معوز والصبر على الحرمان معجز: وكتب آخر الى صديق له: أما بعد فقد أصبح لنا من فضل الله مالا نحصيه مع كثرة ما نعصيه وماندرى مانشكر أجميل ما نشر أم كثير ما ستر أم عظيم ما أبلى أم كثير ما عفى غير انه يلزمنا فى كل الامور شكره و يجب علينا حمده فاستزد الله فى حسن بلائه كشكرك على حسن آلائه

(ضده)

(وقال الجاحظ) كتب بن المراكبى الى بعض ملوك بغداد: جعلت فداك برحمته . قال وقرأت على عنوان كتاب لابى الحسن الشمرى . للموت لناقبلة . وقرأت أيضا على عنوان كتاب الى الذى كتب الى

(محاسن الجواب .)

قال دخل رجل على كسرى ابرويز فشكى اليه عاملا غصبه على ضيعة له . فقال له كسرى منذ كم هى فى يدك قال منذ أربعين سنة قال فأنت تاكلها أربعين سنة ما عليك أن يا كل عاملى منها سنة واحدة فقال وما كان على الملك أن يا كل بهرام جور الملك سنة واحدة فقال ادفعوا فى قفاه فاخرجوه فلما خرج أمكنته التفاتة فقال دخلت بظلمة وخرجت بثنتين فقال كسرى ردوه وأمر

برد ضيعته وصيره فى خاصته . و يقال ان سعيد بن مرة الكندى حين أتى معاوية . قال له أنت سعيد قال أمير المؤمنين سعيد وأنا ابن مرة . قال ودخل السيد بن أنس الازدى على المامون . فقال أنت السيد فقال أنت السيد يا أمير المؤمنين وأنا ابن أنس . قال وقيل للعباس بن عبد المطلب أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو عليه الصلاة والسلام أكبر منى وأنا ولدت قبله ، قال وقال الحجاج للمهلب أنا أطول أم أنت قال الامير أطول وأنا أبسط قامة منه ، قيل و وقف المهدى على امرأة من بنى ثعل فقال لها ممن العجوز قالت من طىء قال مامنع طيأ أن يكون فيها آخر مثل حاتم قالت الذى منع العرب أن يكون فيها آخر مثلك فأعجب بقولها و وصلها ، قيل ولما استوثق أمر العراق لعبد الله بن الزبير وجه مصعب اليه وفدا فلما قدموا عليه قال لهم وددت أن لى بكل خمسة منكم رجلا من أهل الشام فقال رجل من أهل العراق يا أمير المؤمنين علقناك وعلقت باهل الشام وعلق أهل الشام بال مروان فما أعرف لنا مثلا إلا قول الاعشى

عُلِّقْتُها عَرَضاً وَعُلِّقَتْ رَجُلاً * غيرى وعُلِّقَ أخرى غيرَها الرَّجُلُ

فما وجدنا جوابا أحسن من هذا ،، قال وقال مسلمة بن عبد الملك ،، ماشىء يؤتى العبد بعد الايمان بالله تعالى أحب الى من جواب حاضر فان الجواب اذا انعقب لم يكن شيئاً

﴿ ضده ﴾

قال اجتمع عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبرقان بن بدر وعمرو بن الاهتم فذكر عمرو والزبرقان قال ،، بأبى أنت وأمى يا رسول الله انه لمطعام جواد الكف مطاع فى أدانيه شديد العارضة مانع لما وراء ظهره ،، فقال الزبرقان بأبى أنت وأمى يا رسول الله انه ليعرف منى اكثر من هذا ولكنه يحسدنى ،، فقال عمرو والله يا نبى الله ان هذا الزمن المروءة ضيق العطن لئيم العم احمق الخال فرأى الكراهية فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله فقال يا رسول الله ما كذبت فى الاولى ولقد صدقت فى الاخرى ولكنى رضيت فقلت احسن ماعلمت وسخطت فقلت اسوأ ما اعلم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من البيان لسحراً وان من الشعر لحكما ،، وذكروا ان الوليد بن عقبة قال لعقيل بن ابى طالب ،، غلبك على الثروة والعدد . قال وسبقنى واياك الى الجنة ،، قال الوليد اما والله ان شدقيك لمتضمخان من دم عثمان ،، قال عقيل مالك ولقريش وإنما أنت فيهم كمنيح الميسر ،، فقال الوليد والله انى لارى لو أن أهل الارض اشتركوا فى قتله لو ردوا صعوداً ،، فقال له عقيل كلا أما ترغب عن صحبة أبيك . . قال وقال رجل من قريش لخالد بن صفوان ما اسمك قال خالد بن صفوان بن الاهتم ،، قال ان اسمك لكذب ما أنت بخالد وان أباك لصفوان وهو حجر وان

جدك لاهتم والصحيح خير من الاهتم ،، قال له خالد من اى قريش انت ،، قال من عبد الدار ابن قصى بن كلاب ،، قال لقد هشمتك هاشم وامتك امية وجمحت بك جمح وخزمتك مخزوم واقصتك قصى فجعلتك عبد دارها تفتح اذا دخلوا وتغلق اذا خرجوا . . وقيل ومرّ الفرزدق فراى خليفة الشاعر فقال له ،، يا ابا فراس من القائل

هُوَ القَيْنُ وابْنُ القَيْنِ لا قَينَ مثلُهُ * لِفَطْحِ المَساحِى أوْ لِجَدْلِ الاداهِمِ

قال الفرزدق الذى يقول :

هُوَ اللّصُّ وابْنُ اللّصّ لا لِصَّ مِثلُهُ * لِنَقْبِ جِدارٍ أوْ لِطَرّ الدّرَاهِمِ

(محاسن حفظ اللسان)

قال اكثم بن صيفى ،، مقتل الرجل بين فكيه ـ يعنى لسانه ـ وقال ،، رب قول اشد من صول وقال ،، لكل ساقطة لاقطة . . وقال المهلب لبنيه ،، اتقوا زلة اللسان فانى وجدت الرجل تعثر قدمه فيقوم من عثرته ويزل لسانه فيكون فيه هلاكه . . قال يونس بن عبيد ،، ليست خلة من خلال الخير تكون فى الرجل هى أحرى أن تكون جامعة لانواع الخير كلها من حفظ اللسان . وقال قسامة بن زهير ، يامعشر الناس ان كلامكم أكثر من صمتكم فاستعينوا على الكلام بالصمت وعلى الصواب بالفكر . وكان يقال ينبغى للعاقل أن يحفظ لسانه كما يحفظ موضع قدمه ومن لم يحفظ لسانه فقد سلطه على هلاكه ، وقال الشاعر

عَليكَ حِفْظ اللّسانِ مُجْتهِدًا * فإِنّ جُلّ الهلاكِ فى زَلّلِه

غيره

وَجُرْحُ السّيفِ تأسُوهُ فيبرَأ * وجُرْحُ الدّهْرِ ما جرَحَ اللّسانُ
جِراحاتُ الطعانِ لها التئامٌ * ولا يَلتامُ ما جَرَحَ اللسانُ

غيره

إحفَظْ لِسانَكَ لا تقُولُ فَتبتلى * إنّ البَلاءَ مُوكّلٌ بالمنطِقِ

غيره

لَعَمْرُكَ ما شىءٌ عَلِمْتُ مكانَهُ * أحَقُّ بسِجْنٍ مِنْ لِسانٍ مُذَلّلِ
فِيكَ مما ليس يَعنيكَ قوْلُهُ * بِقُفْلٍ شديدٍ حيْثُ ما كنتَ فاقْفِلِ

قيل . تكلم أربعة من الملوك بأربع كلمات كانما رميت عن قوس واحد قال كسرى . أنا

على ردما لم أقل أقدر منى على ردماقلت ، وقال ملك الهند . اذا تكلمت بكلمة ملكتنى وان كنت أملكها ، وقال قيصر . لا أندم على مالم أقل وقد ندمت على ماقلت ، وقال ملك الصين عاقبة ماقد جرى به القول أشد من الندم على ترك القول ، وقال بعضهم . من حصافة الانسان أن يكون الاستماع أحب اليه من النطق اذا وجد من يكفيه فانه لن يعدم الصمت والاستماع سلامة وزيادة فى العلم ، وقال بعض الحكماء . من قدر على أن يقول فيحسن فانه قادر على أن يصمت فيحسن ، وقال بعضهم . كان ابن عبيدة الريحانى المتكلم الفصيح صاحب التصانيف يقول . الصمت أمان من تحريف اللفظ وعصمة من زيغ المنطق وسلامة من فضول القول وقال أبو عبيد الله كاتب المهدى . كن على التماس الحظ بالسكوت أحرص منك على التماسه بالكلام ، وكان يقال . من سكت فسلم كان كمن قال فغنم ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ان الله تعالى يكره الانبعاق فى الكلام يرحم الله أمرأ أوجز فى كلامه واقتصر على حاجته قيل وكلم رجل سقراط عند قتله بكلام أطاله فقال . أنسانى اول كلامك طول عهده فارق آخره فهمى لتفاوته ، ولما قدم ليقتل بكت امرأته فقال . لها ما يبكيك قالت تقتل ظلماً قال وكنت تحبين أن أقتل حقاً أو أقتل ظالما ، وشتم رجل المهلب فلم يجبه فقيل له حلمت عنه فقال ما أعرف مساويه وكرهت أن أبهته بما ليس فيه ، وقال سالمة بن القاسم عن الزبير قال . حملت الى المتوكل وأدخلت عليه فقال يا أبا عبد الله الزم أبا عبد الله — يعنى المعتز — حتى تعلمه من فقه المدنيين فادخلت حجرة فاذا أنا بالمعتز قد أتى فى رجله نعل من ذهب وقد عثر به فسال دمه فجعل يغسل الدم . ويقول

يُصابُ الفَتى مِنْ عَثْرَةٍ بلسانِهِ * وليس يُصابُ المرْءُ من عَثْرةِ الرِّجلِ
فعثرتُهُ مِنْ فِيهِ تَرْمِى برأسِهِ * وعَثْرتُهُ بالرِّجْلِ تَبْرا على مَهْلِ

فقلت فى نفسى ضمت الى من أريد أن أتعلم منه

(ضده)

سئل بعض الحكماء عن المنطق فقال . انك تمدح الصمت بالمنطق ولا تمدح المنطق بالصمت وما عبر به عن شئ فهو أفضل منه ، وسئل آخر عنهما فقال أخزى الله المساكتة ما أفسدها للسان وأجلبها للعى والله للمماراة فى استخراج حق أهدم للعى من النار فى يابس العرفج فقيل له قد عرفت ما فى المماراة من الذم فقال ما فيها أقل ضرراً من السكتة التى تورث عللا وتولد داءا يسره العى ، وقال بعض الحكماء . اللسان عضو فان مرنته مرن وان تركته حرن ، وممن افرط فى قوله فاستقيل بالحلم ، ما حكى عن شهرام المروزى فانه جرى بينه وبين ابى مسلم صاحب الدولة كلام فما زال أبو مسلم يحاوره الى ان قال له شهرام يالقطة فصمت ابو مسلم وندم شهرام على

ماسبق به لسانه واقبل معتذراً خاضعاً ومتنصلا فلمارای ذلك ابومسلم قال لسان سبق ووهم اخطأ وانما الغضب شيطان والذنب لی لانی جرأنك علی نفسی بطول احتمالی منك فان كنت معتمداً للذنب فقد شركتك فيه وان كنت مغلوباً فالعذر يسعك وقد غفرنا لك علی كل حال قال شهرام ايها الملك عفو مثلك لا يكون غروراً قال اجل قال وان عظيم ذنبی لن يدع قلبی يسكن ولج فی الاعتذار فقال ابومسلم ياعجباً كنت تسيء وانا احسن فاذا احسنت اسات

﴿ محاسن كتمان السر ﴾

قال كان المنصور يقول . الملك يحتمل كل شیء من اصحابه إلا ثلاثاً إفشاء السر والتعرض للحرم والقدح فی الملك ، وكان يقول سرك من دمك فانظر من تملكه ، وكان يقول سرك لا تطلع عليه غيرك وان من انفذ البصائر كتمان السر حتی يبرم المبروم ، وقيل لابی مسلم بای شیء ادركت هذا الامر قال . ارتديت بالكتمان واتزرت بالحزم وحالفت الصبر وساعدت المقادير فادركت طلبتی وحزت بغيتی . وانشد فی ذلك

أدْرَكتُ بالحزْمِ والكِتْمانِ ماعجزتْ * عَنهُ ملوكُ بنی مَرْوانَ إذْ حَشدُوا
مازلتُ أسعیٰ عليْهِمْ فی ديارِهِم * والقوْمُ فی مُلكِهِمْ بالشام قدْ رقدُوا
حتّی ضرَبْتهُمْ بالسَّيْفِ فانْتبهُوا * منْ نوْمةٍ لم يَنَمْها قبلَهُمْ أحدُ
ومنْ رَعی غنماً فی أرْضِ مَسْبَعَةٍ * ونامَ عنها تولی رَعْيَها الاسَدُ

قال ،، وقال عبدالملك بن مروان للشعبی لما دخل عليه ،، جنبنی خصالا أربعاً لا تطرينی فی وجهی ولا تجرين علیّ كذبة ولا تغتابنّ عندی أحداً ولا تفشين لی سراً . . وقال النبی صلی الله عليه وسلم ،، استعينوا علی إنجاح حوائجكم بكتمان السر فان كل ذی نعمة محسود . . وأنشد اليزيدی فی ذلك

النَّجْمُ أقربُ منْ سِرٍّ اذا اشْتملتْ * مِنّی علی السّرِ أضْلاعٌ وأحشاءُ

غيره

ونفْسَكَ فاحفظْها ولا تُفشِ للعدی * مِنَ السِّرِّ مايطوی عليهِ ضميرُها
فما يَحفَظُ المكْتُومَ مِنْ سِرِّ أهلِهِ * إذا عُقِدَ الاسْرارِ ضاعَ كثيرُها
مِنَ القوْمِ إلا ذُو عَفافٍ يُعينُهُ * علی ذاكَ منهُ صِدْقُ نَفْسٍ وخيرُها

قال معاوية بن أبی سفيان ،، أعنت علی علیّ بن أبی طالب بأربع خصال كان رجلا ظهرة علة لا يكتم سراً وكنت كتوما للسر وكان لا يسعی حتی يفاجئه الامر مفاجأة وكنت

أبادر الى ذلك وكان فى أخبث جند وأشدهم خلافا وكنت فى أطوع جند وأقلهم خلافا وكنت أحب الى قريش منه فنلت ما شئت فلله من جامع الى ومفرق عنه . . وكان يقال ،، لكاتم سره من كتمانه احدى فضيلتين الظفر بحاجته والسلامة من شره فمن أحسن فليحمد الله وله المنة عليه ومن أساء فليستغفر الله . . وقال بعضهم ،، كتمانك سرك يعقبك السلامة وافشاؤك سرك يعقبك الندامة والصبر على كتمان السر أيسر من الندم على افشائه . . وقال بعضهم ما أقبح بالانسان أن يخاف على ما فى يده من اللصوص فيخفيه ويمكن عدوه من نفسه باظهاره ما فى قلبه من سر نفسه وسر أخيه ومن عجز عن تقويم أمره فلا يلومن الا نفسه إن لم يستقم له . . وقال معاوية ما أفشيت سرى الى أحد الا أعقبنى طول الندم وشدة الاسف ولا أودعته جوانح صدرى فحكمته بين اضلاعى الا اكسبنى مجداً وذكراً وسناء ورفعة فقيل ولا ابن العاص قال ولا ابن العاص . . وكان يقول . . ما كنت كاتمه من عدوك فلا تظهر عليه صديقك . . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتم سره كانت الخيرة فى يده ومن عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن وضع أخيك على أحسنه ولا تظنن بكلمة خرجت منه سوءاً ما كنت واجداً لها فى الخير مذهباً وما كافأت من عصى الله فيك بافضل من أن تطيع الله جل اسمه فيه وعليك باخوان الصدق فانهم زينة عند الرخاء وعصمة عند البلاء . . وحدث ابراهيم بن عيسى قال ،، ذاكرت المنصور ذات يوم فى أبى مسلم وصونه السر وكتمه حتى فعل ما فعل ،، فانشد

تَقَسَّمَنى أمرانِ لمْ أفتتحهُما * بحَزْمٍ ولم تَعرُكْهُما لى الكَرَاكِرُ
وما ساوَرَ الأحشاءَ مثلُ دفينةٍ * منَ الهمّ رَدَّتها اليكَ المعاذِرُ
وقدْ عَلمَتْ أفناءُ عَدْنانَ أنّنى * على مثلِها مِقْدَامَةٌ مُتَجاسِرٌ

وقال آخر

صُنِ السّرَّ بالكِتْمانِ يُرْضِيكَ غِبُّهُ * فقدْ يَظهرُ السّرُّ المُضيعُ فيَندَمُ
ولا تُفشيَنْ سِرًّا إلى غيرِ أهلهِ * فيَظهرُ خرقُ الشَّرّ من حيثُ يكتمُ
ومازلتُ فى الكِتْمانِ حتى كأنّنى * برَجْعِ جَوابِ السَّائلى عنهُ أعجمُ
لِتَسلَمَ مِن قوْلِ الوُشاةِ وتَسلمى * سَلِمْتِ وهلْ حَىٌّ على الدهرِ يَسلَمُ

وقال آخر

أمِنّى تَخافُ انتشارَ الحديثِ * وحَظّىَ فى سَتْرِهِ أوْفرُ
ولوْلمْ أصُنْهُ لِبُقْيا عليكَ * نَظرْتُ لنفسِى كما تَنظرُ

وقال أبونواس

لا تُفشِ أسْرَارَكَ لِلناسِ * ودَاوِ أحزانَكَ بالكاسِ
فإنَّ إبْليسَ على مابهِ * أرأفُ بالناسِ منَ الناسِ

وقال المبرد . . أحسن ماسمعت فى حفظ اللسان والسر ما روى لامير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه

لَعَمْرُكَ إن وشاةَ الرجا * لِ لا يَتْرُكونَ أديماً صحيحا
فلا تُبْدِ سِرَّكَ إلا إليكَ * فإنَّ لكلّ نَصيحٍ نصيحا

وقال العتبى

ولى صاحبٌ سِرُّ المُكتّمِ عِندَهُ * مَحاريقُ نيرانٍ بليلٍ تُحَرَّقُ
غدَوْتُ على أسرارِهِ فكسَوْتُها * ثياباً منَ الكِتْمانِ ما تتخرّقُ
فمنْ كانتِ الاسْرارُ تَطفو بصدْرِهِ * فأسْرارُ صدرى بالاحاديثِ تُغرَقُ
فلا تُودِعَنَّ الدَّهرَ سِرَّكَ أحمقاً * فإنكَ إنْ أوْدَعْتَهُ منهُ أحمَقُ
وحَسْبُكَ فى سَتْرِ الاحاديثِ واعِظاً * مِنَ القوْلِ ماقالَ الاديبُ الموفَّقُ
إذا ضاقَ صَدْرُ المرءِ عن سِرِّ نفسِهِ * فصدْرُ الذى يُستوْدَعُ السِرَّ أضيقُ

وقال آخر

لا يكتمُ السرَّ إلا كلُّ ذى خطرٍ * والسرُّ عندَ كِرامِ الناسِ مَكتومُ
والسرُّ عندىَ فى بيتٍ له غَلَقٌ * قدْ ضاعَ مِفتاحُهْ والبابُ مَرْدومُ

قيل . . دخل أبو العتاهية على المهدى وقد ذاع شعره فى عتبة فقال ما أحسنت فى حبك ولا أجملت فى إذاعة سرك . . فقال

مَن كان يَزعمُ أنْ سيكتمُ حُبَّهُ * أوْ يستطيعُ السَّترَ فهو كذوبُ
الحُبُّ أغلَبُ للرِّجالِ بقهرِهِ * مِنْ أن يُرَى للسرّ فيه نصيبُ
وإذا بدَا سرُّ اللبيب فإنهُ * لم يَبدُ إلا والفتىَ مَغلوبُ
إنى لاحْسُدُ ذاهوىً مستحفِظاً * لمْ تتَّهِمْهُ أعيُنٌ وقلوبُ

فاستحسن المهدى شعره وقال . . قد عذرناك على إذاعة سرك و وصلناك على حسن شعرك ان كتمان السر أحسن من اذاعته . . وقال زياد لكل مستشير ثقة وان الناس قد ابتدعت

بهم خصلتان اذاعة السر وترك النصيحة وليس للسر موضع الى أحد رجلين اما آخرى يرجو ثواب الله أو دنيا وى له شرف فى نفسه وعقل يصون به حسبه وهما معدومان فى هذا الدهر . وقال المهلب . . ما ضاقت صدور الرجال عن شئ كما تضيق عن السر . . كما قال الشاعر

ولرُبَّما كتمَ الوَقورُ فصرَّحتْ * حركاتُهُ للناسِ عنْ كِتمانهِ
ولرُبما رُزِقَ الفتى بسكوتهِ * ولرُبما حُرِمَ الفتى ببيانهِ

وقال آخر

إذ أنتَ لم تحفظ لنفسِكَ سرَّها * فسرُّكَ عندَ الناسِ أفشى وأضيعُ

وقال آخر

لِسانى كَتُومٌ لاسرارِكمْ * ودمْعى نَمُومٌ لِسرّى مُذِيعُ
فلوْلا الدُّموعُ كتمتُ الهوى * ولوْلا الهوى لم تكنْ لى دُموعُ

﴿ محاسن المشورة ﴾

يقال . اذا استخار الرجل ربه واستشار نصيحه واجتهد فقد قضى ما عليه ويقضى الله فى أمره ما يحب . . وقال آخر حسن المشورة من المشير قضاء حق النعمة . . وقيل اذا استشرت فانصح واذا قدرت فاصفح . . وقيل من وعظ أخاه سراً زانه ومن وعظه جهراً شانه . . وقال آخر الاعتصام بالمشورة نجاة . وقال آخر نصف عقلك مع أخيك فاستشره . وقال آخر اذا أراد الله لعبد هلاكاً أهلكه برأيه . وقال آخر المشورة تقوّم اعوجاج الرأى . وقال آخر إياك ومشورة النساء فان رأيهنّ الى أفن وعزمهنّ الى وهن

﴿ ضده ﴾

قال بعض أهل العلم . لو لم يكن فى المشورة الا استضعاف صاحبك لك وظهور فقرك اليه لوجب اطراح ما تفيده المشورة والقاء ما يكسبه الامتنان وما استشرت أحداً الا كنت عند نفسى ضعيفاً وكان عندى قويا وتصاغرت له ودخلته العزة فاياك والمشورة وان ضاقت بك المذاهب واختلفت عليك المسالك وأدّاك الاستبهام الى الخطأ القادح فان صاحبها أبداً مستذل مستضعف وعليك بالاستبداد فان صاحبه أبداً جليل فى العيون مهيب فى الصدور ولن تزال كذلك ما استغنيت عن ذوى العقول فاذا افتقرت اليها حقرتك العيون ورجفت بك أركانك وتضعضع بنيانك وفسد تدبيرك واستحقرك الصغير واستخف بك الكبير وعُرِفْتَ بالحاجة

اليهم . وقيل نعم المستشار العلم ونعم الوزير العقل . وممن اقتصر على دون المشورة الشعبي فانه خرج مع ابن الاشعث فقدم به على الحجاج فلقيه يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج فقال له أشر علي" فقال لا أدري بما أشير ولكن اعتذر بما قدرت عليه وأشار بذلك عليه كافة أصحابه ، قال الشعبي فلما دخلت خالفت مشورتهم ورأيت والله غير الذي قالوا فسلمت عليه بالإمرة ثم قلت أيد الله الامير ان الناس قد أمروني ان أعتذر بغير ما يعلم الله انه الحق وللك الله أن لا أقول في مقامي هذا الا الحق قد جهدنا وحرضنا فما كنا بالاقوياء الفجرة ولا الاتقياء البررة ولقد نصرك الله علينا وأظفرك بنا فان سطوت فبذنوبنا وان عفوت فبحلمك والحجة لك علينا . فقال الحجاج أنت والله أحب الينا قولا ممن يدخل علينا وسيفه يقطر من دمائنا ويقول والله ما فعلت ولا شهدت أنت آمن ياشعبي فقلت أيها الامير اكتحلت والله بعدك السهر واستحلست الخوف وقطعت صالح الاخوان ولم أجد من الامير خلفا . قال صدقت وانصرفت

(محاسن الشكر)

قال بعض الحكماء . صُنْ شكرك عمن لا يستحقه واستر ماء وجهك بالقناعة . وقال الفضل ابن سهل من أحب الازدياد من النعم فليشكر ومن أحب المنزلة فليكف ومن أحب بقاء عزه فليسقط دالته ومكرة . ومن ذلك قول رجل لرجل شكره في معروف

لقدْ ثبتتْ في القلبِ منك مودةً * كما ثبتتْ في الراحتين الاصابعُ

قال . واصطنع رجل رجلا فسأله يوما أتحبني يافلان قال نعم أحبك حبا لو كان فوقك لاظلك أو كان تحتك لاقلك . وقال كسرى أنوشروان المنعم أفضل من الشاكر لانه جعل له السبيل الى الشكر . واختصر حبيب بن أوس هذا في مصراع واحد فقال

لهانَ علينا أنْ نقولَ وتفعلاَ

الباهلي عن ابي فروة قال ،، مكتوب في التوراة اشكر من انعم عليك وانعم على من شكرك فانه لا زوال للنعم اذا شكرت ولا اقامة لها اذا كفرت والشكر زيادة في النعم وامان من الغير وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم .. خمس تعاجل صاحبهن بالعقوبة البغي والغدر وعقوق الوالدين وقطيعة الرحم ومعروف لا يشكر ،، وانشد الحطيئة عمر وكعب الاحبار عنده

مَن يفعلِ الخيرَ لا يَعدَمْ جَوازِيَهُ * لا يذهبُ العُرْفَ بين اللهِ والناسِ

فقال كعب ،، ياامير المؤمنين من هذا الذي قال هذا فانه مكتوب في التوراة فقال عمر كيف ذلك قال في التوراة مكتوب .. من يصنع الخير لا يضيع عندي لا يذهب العرف بيني

و بين عبدى .. وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فما هذا الاجتهاد فقال .. افلا اكون عبداً شكورا .. وفى الحديث ان رجلا قال فى الصلاة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم .. اللهم ربنا لك الحمد حمداً مباركا طيباً زكياً فلما انصرف صلى الله عليه وسلم قال ايكم صاحب الكلمة قال احدهم انا يارسول الله فقال لقد رايت سبعة وثلاثين مليكا يبتدرون ايهم يكتبها اولا .. وقيل نسيان النعمة اول درجات الكفر ،، وقال امير المؤمنين على رضى الله عنه المعروف يكفّر من كفره لانه يشكرك عليه اشكر الشاكرين وقد قيل فى ذلك

يدُ المعرُوفِ غُنْمٌ حيث كانتْ * تحمَّلها كفورٌ أمْ شكورُ

فعنـدَ الشاكِرين لها جزاءٌ * وعنـدَ اللهِ ما كفرَ الكفُورُ

وقال بعض الحكماء ما انعم الله على عبد نعمة فشكر عليها إلا ترك حسابه عليها : وقال بعض الحكماء عند التراخى عن شكر النعم تحل عظائم النقم :: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يقول لعائشة ما فعل بيتك فتنشده

يجزيكَ أوْ يُثنى عليك وإنَّ مَنْ * أثنىَ عليك بما فعلتَ كمنْ جزى

فيقول صلى الله عليه وسلم صدق القائل ياعائشة ان الله اذا أجرى على يد رجل خيراً فلم يشكره فليس لله بشاكر :: وقيل لذى الرمة لم خصصت بلال بن أبى بردة بمدحك قال .. لانه وطأ مضجعى وأكرم مجلسى وأحسن صلتى فحق لكثير معروفه عندى أن يستولى على شكرى :: ومنهم من يقدم ترك مطالبة الشكر و ينسبه الى مكارم الاخلاق :: من ذلك ما قاله بزرجمهر من انتظر بمعروفه شكرك عاجل المكافأة : وقال بعض الحكماء ان الكفر يقطع مادة الانعام فكذلك الاستطالة بالصنيعة تمحق الاجر ، وقال على بن عبيدة من المكارم الظاهرة وسنن النفس الشريفة ترك طلب الشكر على الاحسان و رفع الهمة عن طلب المكافاة واستكثار القليل من الشكر واستقلال الكثير مما يبذل من نفسه . و فى فصل من كتاب ولست أقابل أياديك ولا استديم احسانك الا بالشكر الذى جعله الله للنعم حارساً وللحق مؤديا وللمزيد سبباً

(ضده)

قال بعض الحكماء ، المعروف الى الكرام يعقب خيراً والى اللئام يعقب شراً ومثل ذلك مثل المطر يشرب منه الصدف فيعقب لؤلؤا وتشرب منه الافاعى فيعقب سما . وقال سفيان

وجدنا أصل كل عداوة اصطناع المعروف الى اللئام • وقال أثار جماعة من الاعراب ضبعاً فدخلت خباء شيخ منهم فقالوا أخرجها فقال ما كنت لافعل وقد استجارت بى فانصرفوا وقد كانت هزيلا فاحضر لها القاحاً وجعل يسقيها حتى عاشت فنام الشيخ ذات يوم فوثبت عليه فقتلته • فقال شاعرهم فى ذلك

وَمَنْ يَصنعِ المعرُوفَ مَعَ غيرِ أهلِهِ * يُلاقِ الذى لاقَى مُجيرُ أمّ عامرِ
أقامَ لها لما أناخَتْ ببابِهِ * لتَسْمَنَ ألبانَ اللقاحِ الدّرائرِ
فأسْمنَها حتى إذا ما تمكنتْ * فرَتْهُ بأنيابٍ لها وأظافرِ
فقلْ لذوى المعرُوفِ هذا جزاءُ مَنْ * يجودُ باحسان الى غيرِ شاكرِ

قيل • وأصاب اعرابى جرو ذئب فاحتمله الى خبائه وقرّب له شاة فلم يزل يمتص من لبنها حتى سمن وكبر ثم شد على الشاة فقتلها • فقال الاعرابى يذكر ذلك

غذتْكَ شُوَيهَتى ونشأتَ عندى * فمنْ أدركَ أن أباكَ ذيبُ
فجعتَ نُسيَّةً وصغارَ قوْمٍ * بشاتِهِمُ وأنت لها ربيبُ
إذا كان الطباعُ طِباعَ سوْءٍ * فليس بنافعٍ أدبُ الاديبُ

وفى المثل • سمن كلبك يأكلك • وأنشد

همُ سمَّنوا كلباً ليأكلَ بعضَهُمْ * ولوْ عَمِلوا بالحزمِ ماسَمَّنوا كلباً

وقال آخر

وإنى وقيساً كالمُسَمّنِ كلبَهُ * تخدّشهُ أنيابُهُ وأظافرُهُ

ويضرب المثل بسنمار • وكان بنى للنعمان بن المنذر الخورنق فأعجبه وكره أن يبنى لغيره مثله فرمى به من أعلاه فمات • فقيل فيه

جزَينا بنى سَعْدٍ بحسنِ بَلائِهِمْ * جزاءَ سِنِمّارٍ وما كان ذا ذنْبِ

وقال بشار (١)

أُثنى عليكَ ولى حالٌ تكذّبنى * فيما أقولُ فأستحيى من الناسِ
قدْ قلتُ إنَّ أباحفص لاكرمُ منْ * يمشى فخاصمنى فى ذاك إفلاسى
حتى إذا قيل ما أعطاكَ منْ صَفدٍ * طأطأتُ من سوءِ حالى عندها راسى

(١) المشهور • ان الابيات لابى العتاهيه • • وأولها
يا ابن العلاء ويا ابن القرم مرداسى * أتيتك فى صحبى وجلاسى

ولابى الهول

كانى إذ مدحتك يابن معن * رآنى الناس فى رمضان أزنى
فإن أك رحت عنك بغير شىء * فلا تفرح كذلك كان ظنى

وقال آخر

لحى الله قوم أعجبتهم مدائحى * فقالوا مقالاً فى ملام وفى عتب
أبا حازم تمدح فقلت معذرا * هبونى امرأ جربت سيفى فى كلب

وقال آخر

عثمان يعلم أن الحمد ذو ثمن * لكنه يشتهى حمداً بمجان
والناس أكيس من أن يمدحوا رجلا * حتى يروا عنده آثار إحسان

وقال آخر

يحب المديح أبو خالد * ويغضب من صلة المادح
كبكر تحب لذيذ النكاح * وتجزع من صولة الناكح

وقال آخر

ولو كان يستغنى عن الشكر سيد * لعزة ملك أو علو مكان
لما أمر الله العباد بشكره * فقال اشكرونى أيها الثقلان

محاسن الصدق

قال بعض الحكماء . عليك بالصدق فما السيف القاطع فى كف الرجل الشجاع باعز من الصدق والصدق عز وان كان فيه ما تكرهه والكذب ذل وان كان فيه ماتحب ومن عرف بالكذب اتهم فى الصدق . وقيل الصدق ميزان الله الذى يدور عليه العدل والكذب مكيال الشيطان الذى يدور عليه الجور . وقال ابن السماك ما أحسبنى أوجر على ترك الكذب لانى أتركه انفة . وقال آخر لولم يترك العاقل الكذب الا مروءة لكان بذلك حقيقاً فكيف وفيه المأثم والعار . وقال الشعبى عليك بالصدق حيث ترى انه يضرك فانه ينفعك واجتنب الكذب حيث ترى انه ينفعك فانه يضرك . وقال بعضهم الصدق عز والكذب خضوع ومدح قوم بالصدق منهم أبوذر رضى الله عنه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء ولا طلعت الشمس على ذى لهجة أصدق من أبى ذر ، ومنهم العباس

بن عبد المطلب رضي الله عنه فانه روى انه اطلع على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده جبريل فقال له جبريل هذا عمك العباس قال نعم قال ان الله تعالى يأمرك أن تقرأ عليه السلام وتعلمه ان اسمه عند الله الصادق وان له شفاعة يوم القيامة فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فتبسم فقال ان شئت أخبرتك مما به تبسمت وان شئت أن تقول فقل فقال بل تعلمني يارسول الله فقال . لانك لم تحلف يمينا في جاهلية ولا اسلام برة ولا فاجرة ولم تقل اسائل لا ، قال والذي بعثك بالحق نبياً ما تبسمت الا لذلك . ويروى أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ، انى استسر بخلال الزنا والسرقة وشرب الخمر والكذب فأيهن أحببت تركته ، قال دع الكذب فمضى الرجل فهمّ بالزنا فقال يسألني رسول الله صلى الله عليه وسلم فان جحدت نقضت ما جعلته له وان أقررت حددت فلم يزن فهمّ بالسرقة وشرب الخمر ففكر في ذلك فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له قد تركتهن أجمع . فأما من رخص له في الكذب فيروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ، لا يصلح الكذب الا في ثلاث كذب الرجل لاهله ليرضيها وكذب في اصلاح ما بين الناس وكذب في حرب . وروى عن المغيرة بن ابراهيم انه قال ، لم يرخص لاحد في الكذب الا للحجاج ابن علاط فانه لما فتحت خيبر قال يارسول الله ان لي عند امرأة من قريش وديعة فأذن لي يارسول الله أن أكذب عليك كذبة لعلي أستل وديعتي فرخص له في ذلك فقدم مكة فأخبرهم أنه ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم أسيراً في أيديهم يأتمرون فيه فقائل يقول يقتل وقائل يقول لا بل يبعث به الى قومه فتكون منة فجعل المشركون يتباشرون بذلك ويسيئون العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم والعباس يريهم التجمل وأخذ الرجل وديعته فاستقبله العباس وقال ويحك ما الذي أخبرت به فأعلمه السبب ثم أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فتح خيبر ونكح صفية بنت حيي بن أخطب وقتل زوجها وأباها ، ثم قال اكتم علي اليوم وغداً حتى أمضي ففعل ذلك فلما مضى يومان أخبرهم العباس بالذي أخبره فقالوا من أخبرك بهذا قال من أخبركم بضده

﴿ ضده ﴾

قيل . وجد في بعض كتب الهند ليس لكذوب مروءة ولا لضجور رياسة ولا لملول وفاء ولا لبخيل صديق . وقال قتيبة بن مسلم لا تطلبن الحوائج من كذوب فانه يقربها وان كانت بعيدة ويبعدها وان كانت قريبة ولا الى رجل قد جعل المسألة مأكلة فانه يقدم حاجته قبلها ويجعل حاجتك وقاية لها ولا الى أحمق فانه يريد نفعك فيضرك . وقيل أمران لا ينفكان من كذب كثرة المواعيد وشدة الاعتذار . وقيل كفاك موبخاً على الكذب علمك بأنك كاذب

وقال رجل لابى حنيفة ما كذبت قط قال أما هذه فواحدة . وفى المثل هو أكذب من أخيذ السند ، وذلك انه يؤخذ الخسيس منهم فيزعم انه ابن الملك . وكذلك يقال أكذب من سياح خراسان ، لانهم يجتازون فى كل بلد ويكذبون للسؤال والمسألة . ويقال هو أكذب من الشيخ الغريب ، وذلك انه يتزوج فى الغربة وهو ابن سبعين سنة فيزعم انه ابن أربعين . ويقال هو أكذب من مسيلمة وبه يضرب المثل . ومما قيل فى ذلك من الشعر

حَسْبُ الكذوبِ من البليّةِ بعضُ ما يُحكى عليهِ
ما إنْ سَمِعْتُ بكِذْبةٍ * منْ غيرِه نُسبتْ اليهِ

وقال آخر

لقدْ أخلَفْتني وحَلفتَ حتى * إخالُكَ قدْ كذبْتَ وانْ صَدقتا
ألا لا تحلفنَّ على كلامٍ * فأكذبُ ما تكونُ إذا حلفتا

وقال آخر

قد كنتُ أُنجِزُ دهرًا ماوعدتُ إلى * أنْ أتلفَ الوعدُ ماجمعتُ من نَشبِ
فإنْ أكنْ صرتُ فى وعدى أخا كذبٍ * فنُصْرةُ الصدقِ أفضتْ بى الى الكذب

قال الاصمعى — قال الخليل بن سهل ، ياأباسعيد أعلمت أن طول رمح رستم كان سبعين ذراعا من حديد مُصمتَ فى غلظ الراقود فقلت هاهنا اعرابى له معرفة فاذهب بنا اليه فحدثه بهذ فذهبت به الى الاعرابى فحدثه فقال الاعرابى ، قد سمعت بذلك وبلغنا أن رستم هذا كان هو واسفنديار أتيا لقمان بن عاد بالبادية فوجداه نائما ورأسه فى حجر أمه فقالت لهما ماشأنكما فقالا بلغنا شدة هذا الرجل فأتيناه فانتبه فزعاً من كلامهما فنفحهما فألقاهما الى أصبهان فقبرهما اليوم بها فقال الخليل قبحك الله ما أكذبك قال يا ابن أخى ما بيننا شيئاً الا وهو دون الراقود . قيل وقدم بعض العمال من عمل فدعا قوما الى طعامه وجعل يحدثهم بالكذب فقال بعضهم ، نحن كما قال الله عز وجل (سماعون للكذب أكالون للسحت) . قيل وكان رجال من أهل المدينة من بين فقيه وراوية وشاعر يأتون بغداد فيرجعون بحظوة وحال حسنة فاجتمع عدة منهم فقالوا لصديق لهم لم يكن عنده شئ من الادب . لو أتيت العراق فلعلك أن تصيب شيئا ، قال أنتم أصحاب آداب تلتمسون بها ، فقالوا نحن نحتال لك فأخرجوه فلما قدم بغداد طلب الاتصال بعلى ابن يقطين وشكا اليه الحاجة فقال ما عندك من الادب فقال ليس عندى من الادب شئ غير انى أكذب الكذبة وأخيل الى من يسمعها انى صادق وكان ظريفا مليحا فأعجب به وعرض

عليه مالا فابى أن يقبله وقال فاأريد منك الا أن تسهل أذنى وتدنى مجلسى قال ذاك لك وكان من أقرب الناس اليه مجلساً حتى عُرف بذلك ، وكان المهدىّ قد غضب على رجل من القواد واستصفى ماله وكان يختلف الى علىّ بن يقطين رجاء أن يكلم له المهدى وكان يرى قرب المدينى ومكانه من علىّ فاتى المدينى القائد عشيا فقال ماالبشرى قال لك البشرى وحكمك قال أرسلنى علىّ بن يقطين اليك وهو يقرؤك السلام و يقول قد كلمت أمير المؤمنين فى أمرك و رضى عنك وأمر برد مالك وضياعك و يأمرك بالغدوّ اليه لتغدو امعه الى أمير المؤمنين متشكراً فدعاله الرجل بألف دينار وكسوة وحملان وغدا على علىّ مع جماعة من وجوه العسكر متشكراً فقال له على وما ذاك قال أخبرنى أبو فلان — وهو الى جنبه — كلامك أمير المؤمنين فى أمرى و رضاه عنى فالتفت الى المدينى وقال ماهذا فقال أصلحك الله هذا بعض ذلك المتاع نشرناه فضحك علىّ وقال علىّ بدابتى و ركب الى المهدى وحدثه الحديث فضحك المهدى وقال . إنا قد رضينا على الرجل و رددنا عليه ماله . وأجرى على المدينى رزقا واسعا واستوصى به خيراً ثم وصله . وكان يعرف بكذاب أمير المؤمنين

(محاسن العفو)

قيل . أسر مصعب بن الزبير رجلا من أصحاب المختار فأمر بضرب عنقه فقال . أيها الامير ماأقبح بك أن أقوم يوم القيامة الى صورتك هذه الحسنة فاتعلق باطرافك وأقول رب سل مصعباً فيمَ قتلنى فقال أطلقوه . فقال أيها الامير اجعل ماوهبت لى من عمرى فى خفض عيش . فقال اعطوه مائة ألف درهم . قال بأبى أنت وأمى اشهدك أن لابن قيس الرُّقيات منها خمسين ألفا قال لِمَ قال لقوله فيك

إنما مُصْعَبٌ شهابٌ من اللّـه تجلّتْ عنْ وجهه الظلْماءُ
مُلْكُهُ مُلكُ رأفةٍ ليس فيهِ * جَبَرُوتٌ ولا لهِ كبرياءُ

فضحك مصعب وقال لقد تلطفت وان فيك لموضعا للصنيعة وأمر له بالمائة ألف ولابن قيس الرقيات بخمسين ألف درهم . قيل وأمر الرشيد يحيى بن خالد بحبس رجل جنى جناية فحبسه ثم سأل عنه الرشيد فقيل هو كثير الصلاة والدعاء فقال للموكل به عرض له بان تكلمنى وتسألنى اطلاقه فقال له الموكل ذلك فقال قل لامير المؤمنين ان كل يوم يمضى من نعمتك ينقص من محنتى والامر قريب والموعد الصراط والحاكم الله فخرّ الرشيد مغشيا عليه ثم أفاق وأمر باطلاقه . وقيل ظفر المأمون برجل كان يطلبه فلما دخل عليه قال ياعدو الله أنت الذي تفسد

فى الارض بغير الحق ياغلام خذه اليك فاسقه كاس المنية فقال ياأمير المؤمنين ان رأيت أن تبقينى حتى أؤ يدك بمال قال لا سبيل الى ذلك فقال ياأمير المؤمنين فدعنى أنشدك أبياتاً قال هات فانشده

زعمُوا بأن البـاز عَاقَ مرّةً * عُصْفورُ بَرّ ساقهُ المَقدُورُ
فتكلّم العُصفورُ تحت جَناحِهِ * والبازُ مُنْقضٌ عليه يطيرُ
مانى لمـا يُغنى لمثـلك شُبْعةً * ولئنْ أُكلْتُ فانّى لحقـيرُ
فتبسَّم البازُ المُدِلُّ بنفسـهِ * كرماً وأُطلِقَ ذلك العُصفورُ

فقال له المأمون . أحسنت ماجرى ذلك على لسانك الا لبقيـة بقيت من عمرك فاطلقـه وخلع عليه و وصله . وعن بعضهم اذ واليا أتى برجل جنى جناية فامر بضربه فلمامد قال . بحق رأس أمك الا ماعفوت عنى . قال أوجع فقال . بحق خـدّيها ونحرها قال أضرب قال بحق ثدييها قال أضرب قال بحق سرتها قال و يلـكم دعوه لا ينحدر قليلا . وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال . إن الرجل اذا ظلم فلم ينتصر و لم يجـد من ينصره فرفع طرفه الى السماء ودعا قال الله له لبيك عبدى انصرك عاجلا وآجلا . وقال صلى الله عليه وسلم فى قولهم . انصر أخاك ظالمـا أومظلوما وقد سئل عن ذلك فقيـل . أنصره مظلوما فكيف أنصره ظالمـا فقال . تمنعـه من الظلم فذلك نصرك اياه . وقال فضيل بن عياض بكى أبى فقلت ما يبكيك فقال . أبكى على ظالمى ومن أخذ مالى أرحمه غداً اذا وقف بين يدى الله عز وجل وسأله فلا تـكون له حجة . وقال الحسن البصرى أيها المتصدق على السائل برحمه ارحم أولا من ظلمت . وروى عن عبد الله بن سلام قال قرأت فى بعض الـكتب قال الله عز وجل اذا عصانى من يعرفنى سلطت عليه من لا يعرفنى . قال خالد ابن صفوان إياكم ومجانيق الضعفاء ـ يعنى الدعاء ـ

﴿ ضـده ﴾

قيل لما قالت التغلبية للجحاف بن حكيم السلمى فى وقعته ، بالبشر فوض الله عمادك وأطال سهادك وأقل رقادك والله ان قتلت الا نساء أسافلهن دُمى وأعاليهن ثدّى فقال لمن حوله لولا أن تلد مثلها لخليت سبيلها فبلغ ذلك الحسن البصرى فقال ، أما الجحاف فجـذوه من نار جهنم . قال ولما بنى زياد بناء البصرة أمر أصحابه أن يسمعوا من أفواه الناس فأتى برجل تلا آية ﴿ أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلـكم تخلدون ﴾ قال ومادعاك الى هـذا قال آية من كتاب الله عز وجل خطرت على بالى فتلوتها قال والله لاعملن فيك بالآية الثانيـة ﴿ واذا بطشتم بطشتم جبارين ﴾ ثم أمر به فبنى عليه ركن من أركان القصر . قال و بعث زياد الى رجـل من بنى تميم

فقال أخبروني بصلحاء كل ناحية فاخبروه فاختار منهم رجالا فضمنهم الطريق . وقال لو ضاع بيني و بين خراسان حبل لعلمت من لقطه . وكان يدفن الناس احياء و ينزع اضلاع اللصوص . قال وقال عبد الملك للحجاج كيف تسير في الناس قال ، انظر الى عجوز ادركت زياداً فاسئلها عن سيرته فاعمل بها ، فاخذ والله بسنته حتى ماترك منها شيئاً . وذكروا ان الحجاج لما أتى المدينة ارسل الى الحسن بن الحسن رضى الله عنه فقال هات سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه قال لا افعل قال فجاء الحجاج بالسيف والسوط فقال والله لاضربنك بهذا السوط حتى اقطعه ثم لاضربنك بهذا السيف حتى تبرد أو تأتيني بهما فقال الناس يا ابا محمد لا تعرض لهذا الجبار قال فجاء الحسن بسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه فوضعهما بين يدى الحجاج فأرسل الحجاج الى رجل من بني ابي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له هل تعرف سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم فخالطه بين أسيافه ثم قال اخرجه ثم جاء بالدرع فنظر اليها ثم قال هناك علامة كانت على الفضل بن العباس يوم اليرموك فطعن بحربة فخرقت الدرع فعرفناها فوجد الدرع على ما قال فقال الحجاج اما والله لو لم تجئني به وجئت بغيره لضربت به رأسك . وذكروا ان الحجاج قال ذات ليلة لحاجبه ، اعسس بنفسك فمن وجدته فجئني به فلما اصبح اتاه بثلاثة فقال ، اصلح الله الامير ما وجدت الا هؤلاء الثلاثة ، فقال الحجاج لواحد منهم ما كان سبب خروجك بالليل وقد نادى المنادى ان لا يخرج احد بالليل قال . اصلح الله الامير كنت سكران فغلبني السكر فخرجت ولا اعقل ، ففكر ساعة ثم قال ، سكران غلبه سكره خلوا عنه لا تعودن ، ثم قال للآخر فانت ما سبب خروجك قال . اصلح الله الامير كنت مع قوم في مجلس يشربون فوقعت بينهم عربدة فخفت على نفسي فخرجت . ففكر الحجاج ساعة فقال . رجل احب المسالمة خلوا عنه . ثم قال للآخر ما كان سبب خروجك فقال . لى والدة عجوز وانا رجل حمال فرجعت الى بيتي فقالت والدتي ما ذقت الى هذا الوقت طعاما ولا ذواقا فخرجت التمس لها ذلك فاخذني العسس . ففكر ساعة ثم قال . ياغلام اضرب عنقه فاذا راسه بين رجليه

— محاسن الصبر على الحبس

قال الكسروي . وقع كسرى بن هرمز الى بعض المحبسين من صبر على النازلة كان كمن لم تنزل به ومن طول في الحبل كان فيه عطبه ومن أكل بلا مقدار تلفت نفسه . قيل ودخل ابن الزيات على الافشين وهو محبوس . فقال يخاطبه

إصبرْ لهاصبرَ أقوامٍ نفوسُهُمُ * لاتستريحُ الى عقلٍ ولا قوَدِ

فقال الافشين . من صحب الزمان لم ينج من خيره أوشره و وجد الكرامة والهوان . ثم قال

لم يَنجُ منْ خيرِ هاأوشرّها أحــدٌ * فاذكرْ شوائبَها إن كنتَ من أحدِ

خاضتْ بك المُنيةُ الحمقاءُ غمرتَها * فتلك أمواجُها ترْميــك بالزّبدِ

ولعليّ بن الجهم لما حبسه المتوكل

قالتْ حُبِستَ فقلتُ ليس بضائرى * حَبْسى وأىُّ مهنّدٍ لا يُغــمَدُ

أوَما رأيتِ الليث يألفُ غيلَهُ * كِبرًا وأوْباشُ السّــباعِ ترَدّدُ

والنارُ فى أحجـارِها مَخبُوءَةٌ * لا تُصطَلى إن لم تُـثِرْها الازْنُدُ

والبدْرُ يُدْرِكهُ الظلامُ فتنجلى * أيّامــهُ وكأنهُ مُتجــدّدُ

والزّاعبيّةُ لا يُقيمُ كعُوبَها * إلا الثقافُ وجذْوةٌ تتوقّدُ

غــيَرُ الليالى بادئاتٌ عُــوّدٌ * والمالُ عاريةٌ يُفادُ ويَنفَــدُ

لا يُؤْيسنَّكَ مِن تفرُّجِ كُرْبةٍ * خطبٌ أتاك به الزمانُ الانكدُ

فلكلّ حالٍ مُعقِبٌ ولرُبما * أجْلى لك المكرُوهُ عمّا تحْمَدُ

كم منْ عَليلٍ قـدْ تخطاهُ الرّدَى * فنجا ومات طبيبُــهُ والعُــوّدُ

صَبرًا فإنّ اليوْمَ يعقبُــهُ غــدٌ * ويَدُ الخــلافةِ لا تُطاوِلُهايدُ

والحبسُ ما لم تَغشـهُ لدنيّــةٍ * شَـنْعاءَ نِعمَ المنزِلُ المُتوردُ

لوْلمْ يكنْ فى الحبس إلا أنهُ * لا يســتذِلّكَ بالحجابِ الاعْبدُ

بيتٌ يُجدّدُ للكريمِ كرامــةً * ويُزارُ فيــهِ ولا يَزُورُ ويُحْمدُ

أبْلغْ أمــيرَ المؤمنــين ودونهُ * خوْفُ العِدَى ومَخاوِفٌ لا تنفدُ

أنتمْ بنــو عَمّ النــبيّ محمّــدٍ * أوْلى بما شَرعَ النبيُّ محمّــدُ

ما كان منْ حسنٍ فأنتمْ أهلُــهُ * كرُمتْ مَغارِسُكم وطابَ المَحْتِدُ

أمِنَ السّــوِيّةِ يا ابْنَ عمّ محمّــدٍ * خَصْمٌ تُقرّبُهُ وآخرُ يُبعَــدُ

يا أحمــدَ بنَ أبى دُؤادٍ إنما * تُدْعَى لكلّ كريهةٍ يا أحمدُ

إن الذين سَعوْا اليك بباطلٍ * أعــداءُ نِعمتِك التى لا تُجحَدُ

شهدوا وغبنا عنهمُ فتحكّموا * فينا وليس كغائبٍ من يشهدُ
لو يجمعُ الخُصماءُ عندك منزلٌ * يوماً لبان لك الطريقُ الارشدُ
والشمسُ لولا أنها محجوبةٌ * عن ناظريك لما أضاء الفرقدُ

— ضده —

أنشدنا عاصم بن محمد الكاتب لنفسه لما حبسه احمد بن عبد العزيز بن ابى دلف . قوله

قالت حُبستَ فقلت خطبٌ أنكدُ * أنحى علىّ به الزمانُ المرصدُ
لو كنتُ حرّاً كان سربى مطلقاً * ما كنتُ أُحبسُ عنوةً وأُقيدُ
لو كنتُ كالسيفِ المهنّدِ لم يكنْ * وقتَ الكريهةِ والشدائدِ يُغمدُ
لو كنتُ كالليثِ الهصورِ لما رعتْ * فىّ الذئابُ وجذوتى تتوقّدُ
مَنْ قال إنّ الحبسَ بيتُ كرامةٍ * فمكاشرٌ فى قولهِ متجلّدُ
ما الحبسُ الا بيتُ كلّ مهانةٍ * ومذلةٍ ومكارهٍ لا تنفد
إن زارنى فيه العدوُّ فشامتٌ * يُبدى التوجّعَ تارةً ويُفنّدُ
أو زارنى فيهِ المحبُّ فموجَعٌ * يُذرى الدموعَ بزفرةٍ تتردّدُ
يكفيك أن الحبسَ بيتٌ لا يُرى * أحدٌ عليه من الخلائق يُحسَدُ
تمضى الليالى لا أذوقُ لرقدةٍ * طعماً وكيف يذوقُ من لا يرقدُ
فى مُطبقٍ فيه النهارُ مُشاكلٌ * لليلِ والظلماتُ فيه سرمدُ
فإلى متى هذا الشقاءُ مؤكّدٌ * وإلى متى هذا البلاءُ مجدّد
مالى مجيرٌ غيرُ سيدىَ الذى * مازال يكفُلنى فنعمَ السيدُ
غذيتْ حُشاشةُ مُهجتى بنوافلٍ * من سَيبهِ وصنائعٍ لا تُجحَدُ
عشرين حولاً عِشتُ تحت جناحه * عيشَ الملوكِ وحالتى تتزيّدُ
فخلا العدوُّ بموضعى من قلبهِ * فحشاهُ جمراً نارُهُ تتوقّدُ
فاغفرْ لعبدِكَ ذنبَهُ متطوّلا * فالحقدُ منك سجيةٌ لا تُعهدُ
واذكرْ خصائصَ خدمتى ومقاومى * أيامَ كنتَ جميعَ أمرى تحمَدُ

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنهم

خرجنا من الدُّنيا ونحن من أهلها * فلسنا من الاموات فيها ولا الأحيا
إذا دخلَ السّجَّانُ يوماً لحاجةٍ * عجبنا وقلنا جاءَ هذا من الدُّنيا
ونفرحُ بالرُّؤيا فجُلُّ حديثنا * إذا نحنُ أصبحنا الحديثُ عن الرُّؤيا
فإنْ حسنتْ كانتْ بطيئاً مجيئُها * وإن قبُحتْ لم تنتظرْ وأتتْ سَعْيا

وقال آخر

ألا أحدٌ يدعُو لاهل محلةٍ * مُقيمين فى الدنيا وقد فارقوا الدنيا
كأنهُمُ لم يعرِفوا غيرَ دارِهمْ * ولم يعرفوا غيرَ الشدائدِ والبلوىٰ

وقال ابن المعتز

تعلمتُ فى السجنِ نسْجَ التّككْ * وكنتُ أمرأً قبلَ حبسى ملكْ
وقُيِّدْتُ بعدَ ركوبِ الجيادِ * وما ذاكَ إلا بدَوْرِ الفلَكْ
ألمْ تُبصرَ الطيرَ فى جوِّها * تكادُ تُلاصقُ ذاتَ الحُبُكْ
إذا أبصرَتْهُ خُطوبُ الزمانِ * أوقعنهُ فى حبالِ الشرَكْ
فهٰذاكَ منْ حالقٍ قدْ يُصادُ * ومنْ قعرِ بحرٍ يصادُ السمكْ

• ووجد فى البيت الذى قتل فيه مكتوب بخطه على الارض

يا نفسُ صبرًا لعلّ الخيرَ عُقباكِ * خانَتْكِ بعدَ طوالِ الامنِ دُنياكِ
مرّتْ بنا سَحَرًا طيرٌ فقلتُ لها * طُوباكِ ياليتنى إيّاكِ طوباكِ

وقال اعرابى

ولمّا دخلتُ السجنَ كبّر أهلَهُ * وقالوا أبو ليلى الغداةَ حزينُ
وفى البابِ مكتوبٌ على صفحاتهِ * بأنك تنزُو ثمّ سوفَ تلينُ

وفى الحديث المرفوع، ان يوسف عليه السلام شكى الى الله تعالى طول الحبس فاوحى اليه أنت حبست نفسك حين قلت ﴿ رب السجن احب الى مما يدعوننى اليه ﴾ ولو قلت العافية احب الى لعوفيت . قال وكتب يوسف عليه السلام على باب السجن ، هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء

—— ٠o٠ ——

— محاسن المودة —

قال بعض الحكماء، ليس للانسان ينعم الا بمودات الاخوان . وقال آخر الازدياد من

الاخوان زيادة فى الاجال وتوفير لحسن الحال . وقيل عاشروا الناس معاشرة ان عشتم حنوا اليكم وان متم بكوا عليكم . وقال

قد يمكث الناس حيناً ليس بينهم * ودٌّ فيزرعه التسليم واللطف
يسلي الشقيقين طول النأي بينهما * وتلتقى شُعَبٌ شتّى فتأتلف

وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه لابنه الحسين ، ابذل لصديقك كل المودة ولا تطمئن اليه كل الطمأنينة واعطه كل المواساة ولا تفش اليه كل الاسرار . وقال العباس بن جرير . المودة تعاطف القلوب وائتلاف الارواح وانس النفوس وحشة الاشخاص عند تنائى اللقاء وظهور السرور بكثرة التزاور وعلى حسب مشاكلة الجواهر يكون الاتفاق فى الخصال . وقال بعضهم من لم يواخ من الاخوان الا من لا عيب فيه قل صديقه ومن لم يرض من صديقه الا بايثاره إياه على نفسه دام سخطه ومن عاتب على غير ذنب كثر عدوه . وكان يقال اعجز الناس من فرط فى طلب الاخوان . وقال الشاعر فى مثله

لعمرُكَ ما مالُ الفتى بذخيرةٍ * ولكنّ إخوانَ الثقاتِ الذخائرُ

— ضده —

قال المأمون . الاخوان ثلاث طبقات طبقة كالغذاء لا يستغنى عنه وطبقة كالدواء يحتاج اليه احيانا وطبقة كالداء الذى لا يحتاج اليه ، وكتب بعض الكتاب ان فلانا اولانى جميلا من البشر مقرونا بلطيف من الخطاب فى بسط وجهه ولين كنف فلما كشفه الامتحان بيسير الحاجة كان كالتابوت المطلى عليه بالذهب المملوء بالعذرة اعجبك حسنه مادام مطبقا فلما فتح آذاك نتنه فلا ابعد الله غيره ، ومما قيل فى ذلك

واللهِ لو كرِهتْ كفى مُنادَمَتى * لقلتُ للكفّ بِينى إذ كرِهتِنى

وقال آخر

ولوْ أنى تُخالِفُنى شمالى * لَما أتبعتُها أبداً يمينى
إذاً لقطعتُها ولقُلْتُ بِينى * كذلك أجتوى من يجتوينى

وقال آخر

منْ لم يُرِدْكَ فلا تُرِدْهُ * ليكنْ كمنْ لم تستفدْهُ
باعِدْ أخاكَ ببعدِهِ * فإذا نأى شبراً فزِدْهُ

وقال آخر

تَوَدُّ عَدُوِّى ثُمَّ تزعمُ أنَّنى * أودُّكَ إن الرأىَ منك لعازبُ
وليس أخى من ودَّنى رأىَ عينه * ولكنْ أخى من ودَّنى وهو غائبُ

وقال آخر

إنَّ اختيارَكَ لا عن خبرَةٍ سلفتْ * إلاَّ الرَّجاءُ ومما يخطئُ النظرُ
كالمستغيث ببطنِ السيلِ يحسبهُ * حَرْزًا يُبادرُهُ إذ بلّهُ المطرُ

وقال آخر

وصاحبٍ كان لى وكنتُ لهُ * أشفقَ منْ والدٍ على ولدِ
وكان لى مؤنساً وكنتُ لهُ * ليستْ بنا وحشةٌ إلى أحدِ
كُنا كساق مشتْ بها قدمٌ * أو كذراعٍ نيطتْ إلى عَضُد
حتى إذا أمكن الحوادثُ منْ * حَظى وحلَّ الزمانُ من عُقدى
إزوَرَّ عنّى وكان ينظرُ منْ * عينى ويرْمى بساعدى ويدى
حتى إذا استرْفدتْ يدى يدَهُ * كنتُ كمسترْفدٍ يدَ الاسدِ

وقال آخر

فيا عجباً لمنْ ربَّيتُ طفلاً * أُلقمُهُ بأطرافِ البنانِ
أُعلّمُهُ الرِّمايةَ كلَّ يوْمٍ * فلما اشتدَّ ساعدُهُ رمانى
أُعلمهُ الفتوَّة كلَّ حينٍ * فلما طرَّ شاربُهُ جفانى
أُعلمهُ الرِّوايةَ كلَّ وقتٍ * فلما صارَ شاعرَها هجانى

— محاسن الولايات —

سئل عمار بن ياسر رضى الله عنه عن الولاية فقال ، هى حلوة الرضاع مرة الفطام . وذكروا انه كان سبب عزل الحجاج بن يوسف عن المدينة وقد وفد من اهل المدينة منهم عيسى بن طلحة ابن عبيد الله على عبد الملك بن مروان فاثنوا على الحجاج وعيسى ساكت فلما قاموا اثبت عيسى حتى خلا له وجه عبد الملك فقام فجلس بين يديه فقال يا أمير المؤمنين من أنا قال عيسى بن طلحة بن عبيد الله قال فمن انت قال عبد الملك بن مروان قال افجهلتنا او تغيرت بعدنا قال وماذاك قال وُليت علينا الحجاج بن يوسف يسير بالباطل ويحملنا على ان نثنى عليه بغير الحق والله لئن اعدته علينا لنعصينك وان قاتلتنا وغلبتنا واسأت الينا قطعت ارحامنا ولئن قوينا عليك لنغضبنك ملكك

فقال له عبد الملك انصرف والزم بيتك ولا تذكرن من هذا شيأ قال فقام الى منزله واصبح الحجاج غاديا الى عيسى بن طلحة فقال جزاك الله عن خلوتك بأمير المؤمنين خيرا فقد أبدانى بكم خيرا وأبدلكم بى غيري و ولانى العراق، وعن معمر بن وهيب قال، كان عبد الملك عندما استعفى أهل العراق من الحجاج قال لهم اختاروا أى هذين شئتم - يعنى اخاه محمد بن مروان وابنه عبد الله ابن عبد الملك - مكان الحجاج فكتب اليه الحجاج، ياامير المؤمنين ان اهل العراق استعفوا عثمان بن عفان من سعيد بن العاص فاعفاهم منه فساروا اليه من قابل وقتلوه، فقال صدق ورب الكعبة وكتب الى محمد وعبد الله بالسمع والطاعة له

(ضده)

كتب • عبد الصمد بن المعذل الى صديق له ولى النفاطات فأظهر تيهاً

لَعمرى لقد أظهرْت تِيهاً كأنما * توَلّيت للفضل بن مروان عُكْبَرا

دع الكِبرَ واستبقِ التَّواضعَ إنه * قبيحٌ بوالى النفط أن يتغيّرا

لحفْظِ عُيونِ النفْطِ أحدثتَ نخوةً * فكيف به لو كانَ مسكا وعنبرا

وقال ابن المعتز

كمْ تائهٍ بولايةٍ * وبعزْلِهِ يَعدُو البريدُ

سُكرُ الولايةِ طيبٌ * وخمارُه صعبٌ شديدُ

وقال لبيد

لا تفرحنّ فكلُّ والٍ يُعزَلُ * وكما عُزلتَ فعنْ قريبٍ تُقتلُ

وكذا الزمانُ بما يسُرُّك تارةً * وبما يَسوءُكَ تارةً يتنقّلُ

— محاسن الصحبة —

قيل • قال علقمة بن لبيد لابنه، يابنى ان نازعتك نفسك الى الرجال يوما لحاجتك اليهم فاصحب من ان صحبته زانك وان تخففت له صانك وان نزلت بك مؤنة مانك وان قلت صدق قولك وان صلت شدد صولك اصحب من اذا مددت اليه يدك لفضل مدها وان راى منك حسنة عدها وان بدت منك ثلمة سدها واصحب من لا تأتيك منه البوائق ولا تختلف عليك منه الطرائق ولا يخذلك عند الحقائق، وقال آخر اصحب من خولك نفسه وملكك خدمته وتخيرك لزمانه فقد وجب عليك حقه وذمامه، وكان يقال من قبل صلتك فقد باعك مروءته واذل لقدرك عزه، وقال

بعضهم لصاحبه انا أطوع لك من اليد واذل من النعل . وقال بعضهم اذا رأيت كلباً ترك صاحبه وتبعك فارجمه فانه تاركك كما ترك صاحبه ، وقال ابن ابى داود لرجل انقطع الى محمد بن عبد الملك الزيات . ماخبرك مع صاحبك فقال . لا يقصر فى الاحسان الى فقال . ياهذا ان لسان حالك يكذب لسان مقالك

(ضده)

قيل ، كان يوسف بن عمر الثقفى يتولى العراقين لهشام بن عبد الملك وكان مذموما فى عمله فخبرنى المدائنى قال ، وزن يوسف بن عمر درهما فنقص حبة فكتب الى دور الضرب بالعراق يضرب أهلها مائة . قيل وخطب فى مسجد الكوفة فتكلم انسان مجنون فقال ، ياأهل الكوفة ألم أنهكم ان تدخلوا مساجدكم المجانين اضربوا عنقه فضربت عنقه . قال وقال لهمام بن يحيى وكان عاملا له ، يافاسق خربت مهرجانقذق قال انى لم أكن عليها انما كنت على ماه دينار وعمرت البلاد فأعاد ذلك عليه مرارا فقال همام قد اخبرتك انى كنت على ماه دينار وتقول خربت مهرجانقذق فلم يزل يعذبه حتى مات . قال وقال لكاتبه وقد احتبس عن ديوانه يوما ، ماحبسك قال اشتكيت ضرسى قال تشتكى ضرسك وتقعد عن الديوان ودعا الحجام وأمره ان يقلع ضرسين من أضراسه ، وعن المدائنى قال ، حدثنى رضيع كان ليوسف بن عمر من بنى عبس قال كنت لا احجب عنه وعن خدمته فدعا ذات يوم بجوار له ثلاث ودعا بخصى له يقال له حديج فقرب اليه واحدة فقال لها انى أريد الشخوص أفأخلفك أو أشخصك معى فقالت صحبة الامير أحب الى ولكنى أحسب ان مقامى وتخلفى اعفى وأخف على قلبه فقال أحببت التخلف للفجور ياحديج أضرب فضربها حتى أوجعها ثم أمر دان يأتيه بالثانية وقد رأت مالقيت صاحبتها فقال لها انى أريد الشخوص أفأخلفك أم أخرجك فقالت ماأعدل بصحبة الامير شيئاً بل تخرجنى قال أحببت الجماع ماتريدين ان يفوتك ليلة ياحديج أضرب فضربها حتى أوجعها ثم أمره ان يأتيه بالثالثة وقد رأت مالقيت المتقدمتان فقال لها انى أريد الشخوص أفأخلفك أم أخرجك قالت الامير أعلم لينظر أخف الامرين عليه فليفعله قال اختارى لنفسك قالت ماعندى اختيار فليختر الامير قال قد فرغت من كل عمل فلم يبق لى الا ان اختار لك أوجعها ياحديج فضربها حتى أوجعها قال الرجل فكانما أوجعنى من شدة غيظى عليه فتولت الجارية فتبعها الخادم فلما بعدت قالت الخيرة والله فى فراقك ماتقر عين أحد بصحبتك فلم يفهم يوسف كلامها فقال ماتقول ياحديج قال قالت كذا وكذا فقال ياابن الخبيثة من أمرك أن تعلمنى ياغلام خذ السوط من يده فاوجع رأسه فمازال يضربه حتى اشتفى فتعرف من الغلام الآخر كم ضربت قال لا أدرى قال ياعدو الله

اتخرج حاصلي من بيت مالي من غير حساب اقتلوه فقتلوه (١)

﴿ محاسن التطير ﴾

عن عكرمة قال ، كنا جلوساً عند ابن العباس وابن عمر فطار غراب يصيحْ فقال رجل من القوم خير خير فقال ابن العباس لا خير ولا شر . والذى حضرنا من الشعر فى مثله لابى الشيص

مافرَّق الاحْبابَ بعـدَ الله إلا الإِبلُ
والناسُ يلحونَ غُـرا * بَ البين لما جَهِلوا
وما على ظَهْـر غرا * بِ البين تُطوى الرحَلُ
ولا إذا صـاح غُرا * بٌ فى الديارِ آرْتحلوا
وما غُرابُ البـين إ * لاّ ناقةٌ أوْ جمـلُ

وقال آخر

أترْحلُ عمّنْ أنت صَبٌّ بشلهِ * وتَلْحى غرابَ البين إنك تظلمُ
أقِمْ فغرابُ البين غيرُ مفرّقٍ * ولا يأتلى إلا على الفصلِ يحكم

وقال آخر

غلطَ الذين رأيتُهـمْ بجهالةٍ * يَلْحَوْن كلُّهُمْ غراباً يَنْعَقُ
ما الذنبُ إلا للجمالِ فإنها * ممـا يُشتّتُ شملَهُمْ ويفرّقُ
إن الغرابَ بيمنهِ يُدْنى النوَى * وتُشتتُ الشملَ الجميعَ الأينُقُ

وقال آخر

لا يعلمُ المرءُ ليلاً ما يُصبّحُـهُ * إلا كواذبُ مما يُخبرُ الفالُ !
والفالُ والزّجرُ والكُهّانُ كلهمُ * مُضـلّلون ودون الغيبِ أقفالُ

(ضده)

حكى عن النعمان بن المنذر ، انه خرج متصيداً ومعه عدىّ بن زيد العبادى فمرّا بآرام — وهى القبور — فقال عدىّ ، أبيت اللعن أتدرى ما تقول هذه الآرام قال لا قال أنها ، تقول

أيُّها الركـبُ المخبُّو * نَ على الارضِ تمرُّونَ
لـكما كنتمْ فـكنا * وكما كنا تكونون

(١) هكذا فى الاصل مسندة الي يوسف بن عمر : ولعلها من أخبار الحجاج كما فى غير هذا الـكتاب

فقال أعد فأعادها فترك صيده ورجع كئيباً . وخرج معه مرة اخرى فوقف على آرام بظهر الحيرة فقال عدى ، ابيت اللعن اتدرى ما تقول هذه الآرام قال لا قال انها : تقول

رُبَّ ركبٍ قدْ أناخوا عندنا * يشربون الخمرَ بالماءِ الزلالْ
ثمَّ أضحوا عصفَ الدهرُ بهمْ * وكذاك الدهرُ حالاً بعد حالْ

فانصرف وترك صيده . قال ولما خرج خالد بن الوليد الى اهل الردّة انتهى الى حيّ من بنى تغلب فاغار عليهم وقتلهم ، وكان رجل منهم جالساً على شراب له وهو يغنى بهذا البيت

ألا عَلّلانى قبلَ جيشِ أبى بكرِ * لعلَّ منايانا قريبٌ وما ندْرِى

فوقف عليه رجل من من اصحاب خالد فضرب عنقه فاذا رأسه فى الجفنة التى كان يشرب منها . وهذا كقولهم

﴿إنّ البلاءَ مُوكّلٌ بالمنطقِ﴾

محاسن الوفاء

قيل فى المثل ، أوفى من فُكيهة ، وهى امرأة من بنى قيس بن ثعلبة كان من وفائها ان السُّليك بن سَلْكة غزا بكر بن وائل فلم يجد غفلة يلتمسها فخرج جماعة من بكر فوجدوا أثر قدم على الماء فقالوا : ان هذا الاثر لاثر قدم ورد الماء فقعدوا له فلما وافا حملوا عليه فعدا حتى ولج قبة فكيهة فاستجار بها فادخلته تحت درعها فانتزعوا خمارها فنادت اخوتها فجاؤا عشرة فمنعوهم منها قال وكان سليك يقول . كانى أجد خشونة شعر استها على ظهرى حين أدخلتنى تحت درعها . وقال

لعمرُ أبيكَ والانباءُ تنمى * لنعْمَ الجارُ أختُ بنى غوارا
من الخفراتِ لم تَفضحْ أخاها * ولم ترْفعْ لوالدِها شَنارا
عَنيتُ بهِ فُكيْهةَ حين قامتْ * لنصْلِ السيفِ فانتزعوا الخمارا

ويقال أيضاً ، هو أوفى من أم جميل ، وهى من رهط ابن أبى بردة من دوس وكان من وفائها ان هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومىّ قتل رجلا من الازد فبلغ ذلك قومه بالسراة فوثبوا على ضرّار بن الخطاب الفهرىّ ليقتلوه فعدا حتى دخل بيت أم جميل وعاذ بها فقامت فى وجوههم ودعت قومها فمنعوه لها فلما ولى عمر بن الخطاب ظنت أنه أخوه فأتته بالمدينة فلما انتسبت له عرف القصة فقال : انى لست بأخيه الا فى الاسلام وهو غاز وقد عرفنا منتك عليه وأعطاها على أنها ابنة سبيل . ويقال أوفى من السموءل بن عاديا ، وكان من وفائه أن امرأ القيس بن حجر لما أراد الخروج الى قيصر استودع السموءل دروعاً له فلما مات امرؤ القيس غزاه ملك من ملوك الشام

فتحرز منه السموءل فاخذ الملك ابناً له خارج الحصن وصاح به يا سموءل هذا ابنك فى يدى وقد علمت ان امرأ القيس ابن عمى وأنا أحق بميراثه فان دفعت الىّ الدروع والا ذبحت ابنك فقال : أجلنى فأجّله فجمع أهل بيته فشاورهم فكلهم أشار وابدفع الدروع وان يستنقذ ابنه فلما أصبح أشرف عليه وقال ، ليس لى الى دفع الدروع سبيل فاصنع ما أنت صانع فذبح الملك ابنه وهو ينظر اليه وكان يهوديا وانصرف الملك ووافى السموءل بالدروع الموسم فدفعها الى ورثة امرىء القيس . وقال فى ذلك

وفيْتُ بأدْرُعِ الكِندِىِّ إنى * إذا ما خان أقوامٌ وَفيْتُ

وقالوا عندَهُ كَنزٌ رَغيبٌ * فلا وأبيك أغْدُرُ ما مَشيت

بَنىْ لى عادياً حِصناً حَصِيناً * وبئراً كلَّما شِئْتُ اسْتقيْتُ

وفى ذلك يقول الاعشى

كنْ كالسَّمَوْأَلِ إذْ طافَ الهمامُ به * فى جَحْفَلٍ كسَوادِ الليْلِ جَرَّارِ

بالأبلقِ الفرْدِ منْ تَيْماءَ منزِلُهُ * حِصْنٌ حَصينٌ وجارٌ غيرُ غدَّارِ

خيَّرَهُ خُطتىْ خَسْفٍ فقال لهُ * مهما تقولنْ فإنى سامعٌ حارِ

فقال ثُكْلٌ وغدْرٌ أنت بينهما * فاخترْ فما فيهما حظ لمختارِ

فشكَّ غيرَ طويل ثمَّ قال لهُ * أُقتُلْ أسيرَكَ إنى مانعٌ جارى

ويقال . أوفى من الحارث بن عباد ، وكان من وفائه انه أسر عدى بن ربيعة ولم يعرفه فقال له : دلّنى على عدى بن ربيعة ولك الامان فقال : أنا آمن ان دللتك عليه : قال : نعم ، قال فانا عدى بن ربيعة فخلاه . وفى ذلك يقول الشاعر

لهفَ نفسى على عَدِىٍّ وقد شا * رَفَهُ الموتُ واحتوَتهُ المنونُ

ويقال . هو أوفى من عوف بن محلّم ، وكان من وفائه ان مروان القرظ غزا بكر بن وائل ففضوا جيشه وأسره رجل منهم وهو لا يعرفه فأتى به أمه فقالت : انك تختال باسيرك كانك جئت بمروان القرظ فقال : مروان وما ترجين من مروان قالت : عظم فدائه قال : وكم ترجين من فدائه قالت : مائة بعير قال : لك ذلك على أن تردينى الى خماعة بنت عوف بن محلم قالت : ومن لى بالمائة فاخذ عوداً من الارض وقال : هذا لك فمضت به الى بيت عوف فاستجار بخماعة ابنته فبعثت به الى عوف ثم ان عمرو بن هند بعث الى عوف أن يأتيه بمروان وكان واجداً عليه فى شىء فقال عوف لرسوله : ان خماعة ابنتى قد أجارته ، فقال ، ان الملك

قد آلى أن يعفو عنه أو يضع كفه في كفه ، فقال عوف ، يفعل ذلك على أن تكون كفي بين أيديهما ، فأجابه عمرو الى ذلك ، فجاء عوف بمروان فأدخله عليه فوضع يده في يده و وضع يده بين أيديهما فعفى عنه ، ومنهم الطائي صاحب النعمان بن المنذر ، وكان من وفائه ان النعمان ركب في يوم بؤسه وكان له يومان يوم بؤس و يوم نعيم لم يلقه أحد في يوم بؤسه إلا قتله ولا في يوم نعيمه الا احياه وحباه واعطاه فاستقبله في يوم بؤسه اعرابي من طيء فقال ، حيا الله الملك ان لي صبية صغاراً لم أوص بهم احداً فان رأى الملك ان يأذن لي في اتيانهم واعطيه عهد الله ان ارجع اليه اذا أوصيت بهم حتى اضع يدي في يده ، فرق له النعمان وقال له ، لا إلا أن يضمنك رجل ممن معنا فان لم تأت قتلناه ، وكان مع النعمان شريك بن عمرو بن شراحيل فنظر اليه الطائي وقال :

يا شريكَ بنَ عمْرٍو * هلْ من الموْتِ محالهْ
يا أخا كلِّ مُضافٍ * يا أخا مَنْ لا أخا لهْ
يا أخا النُّعْمانِ فكَّ الـيومَ عنْ شيخٍ غلالهْ
ابنُ شيبانَ قبيلٌ * أصلَحَ اللهُ فَعالهْ

فقال شريك : هو علي أصلح الله الملك ، فمضى الطائي وأجل له أجلا يأتي فيه فلما كان ذلك اليوم أحضر النعمان شريكا وجعل يقول له : ان صدر هذا اليوم قد ولى وشريك يقول ليس لك علي سبيل حتى تمسي ، فلما أمسوا اقبل شخص والنعمان ينظر الى شريك فقال شريك : ليس لك علي سبيل حتى يدنو الشخص فلعله صاحبي ، فبينما هما كذلك اذ أقبل الطائي فقال النعمان : والله ما رأيت أكرم منكما وما أدري أيكما أكرم أهذا الذي ضمنك وهو الموت أم أنت وقد رجعت الى القتل والله لا أكون ألأم الثلاثة فأطلقه وأمر برفع يوم بؤسه ، وانشد الطائي

ولقدْ دعَتْني للخلافِ عَشيرتي * فأبيْتُ عندَ تجَهُّمِ الاقوالِ
إني امرؤٌ مني الوفاءُ خليقةٌ * وفعالِ كلِّ مهذَّبٍ بذَّالِ

فقال النعمان : ما حملك على الوفاء قال : ديني قال : وما دينك قال : النصرانية قال : أعرضها علي فعرضها عليه فتنصر النعمان .

(ضده)

قيل • كتب صاحب بريد همذان الى المأمون وهو بخراسان يعلمه ان كاتب صاحب البريد المعزول اخبره ان صاحبه وصاحب الخراج كانا تواطئا على اخراج مائتي الف درهم من بيت المال واقتسماها بينهما ، فوقع المأمون : إنا نرى قبول السعاية شراً من السعاية لان السعاية

دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شيء كمن قبله وأجازه فأنف الساعي عند ذلك وقال : يا أمير المؤمنين رضي الله عنك المعذرة فان الساعي وان كان في سعايته صادقاً لقد كان في صدقه لئيما اذ لم يحفظ الحرمة ولم يف لصاحبه . قال . ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فقال يا امير المؤمنين عندي نصيحة قال . وما نصيحتك هذه ، قال . فلان كان عاملا ليزيد بن معاوية وعبد الملك والوليد فخانهم فيما تولاه ثم اقتطع اموالا كثيرة جليلة فمر باستخراجها منه ، قال . انت شر منه واخون حيث اطلعت على أمره وأظهرته ولولا انى انفر النصاح لعاقبتك ولكن اخترمني خصلة من ثلاث ، قال . اعرضهن يا امير المؤمنين ، قال . ان شئت فتشنا عما ذكرت فان كنت صادقا مقتناك وان كنت كاذباً عاقبناك وان استقلت اقلناك ، فاستقاله الرجل

— محاسن السخاء —

روى عن نافع قال ، لقي يحيى بن زكرياء عليه السلام ابليس لعنه الله فقال . أخبرني بأحب الناس اليك وأبغضهم اليك . قال ، أحبهم اليّ كل مؤمن بخيل وأبغضهم اليّ كل منافق سخي . قال : ولم ذلك . قال : لان السخاء خلق الله الاعظم فاخشى أن يطلع عليه في بعض سخائه فيغفر له . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : السخي قريب من الله قريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة قريب من النار ولجاهل سخي أحب الى الله عز وجل من عابد بخيل وأدوأ الداء البخل . وقال صلى الله عليه وسلم : ما أشرقت شمس الا ومعها ملكان يناديان يسمعان الخلائق غير الجن والانس وهما الثقلان اللهم عجل لمنفق خلفاً ولمسك تلفاً وملكان يناديان أيها الناس هلموا الى ربكم فان ما قل وكفى خير مما كثر وألهى . وعن الشعبيّ قال . قالت أم البنين ابنة عبد العزيز أخت عمر بن عبد العزيز وكانت تحت الوليد ابن عبد الملك . لو كان البخل قميصاً ما لبسته أو طريقا ما سلكتها وكانت تعتق في كل يوم رقبة وتحمل على فرس في سبيل الله وكانت تقول ، البخل كل البخل من بخل على نفسه بالجنة . وقيل أعتقت هند بنت عبد المطلب في يوم واحد أربعين رقبة . وقال بعض الحكماء : ثواب الجود خلف ومحبة ومكافأة وثواب البخل حرمان واتلاف ومذمة . وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : يا علي كن شجاعا فان الله يحب الشجاع وكن سخيا فان الله يحب السخي وكن غيوراً فان الله يحب الغيور يا عليّ وان انسان سألك حاجة ليس لها باهل فكن أنت أهلا لها . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : السخاء شجرة في الجنة من أخذ منها بغصن مدّ به الى الجنة ، وقال عبد العزيز بن مروان : لو لم يدخل على البخلاء في لؤمهم الا سوء ظنهم بالله عز وجل

لكان عظيما ، وقال صلى الله عليه وسلم تجافوا عن ذنب السخي فان الله آخذ بيده كلما عثر . وقال بهرام جور : من أحب أن يعرف فضل الجود على سائر الاشياء فلينظر الى ما جاد الله به على الخلق من المواهب الجليلة والرغائب النفيسة والنسيم والريح كما وعدهم الله فى الجنان فانه لولا رضاه الجود لم يصطفه لنفسه . وقال الموبذان لابرويز : أكنتم تعنون أنتم وآباؤكم بالمعروف وتترصدون عليه المكافأة ، قال : لا ولا نستحسن ذلك لخولنا وعبيدنا فكيف نرى ذلك وفى كتاب ديننا من فعل معروفا خفيا وأظهره ليتطول به على المنعم عليه فقد نبذ الدين وراء ظهره واستوجب أن لا نعده من الابرار ولا نذكره فى الاتقياء والصالحين . قيل وسئل الاسكندر ما أكبر ما شيدت به ملكك ، قال ابتدارى الى اصطناع الرجال والاحسان اليهم . قال وكتب ارسطاليس فى رسالته الى الاسكندر . واعلم ان الايام تأتى على كل شىء فتخلقه وتخلق آثاره وتميت الافعال الا ما رسخ فى قلوب الناس فاودع قلوبهم محبة أبدية تبقى بها حسن ذكرك وكريم فعالك وشرف آثارك . قال ولما قدم بزرجمهر الى القتل قيل له . انك فى آخر وقت من أوقات الدنيا واول وقت من أوقات الآخرة فتكلم بكلام تذكر به . فقال : أى شىء أقول الكلام كثير ولكن ان أمكنك أن تكون حديثا حسنا فافعل . قيل : وتنازع رجلان أحدهما من أبناء العجم والآخر اعرابى فى الضيافة فقال الاعرابى : نحن أقرى للضيف . قال وكيف ذلك . قال : لان أحدنا ربما لا يملك الا بعيراً فاذا حل به ضيف نحره له فقال له الاعجمى فنحن أحسن مذهبا فى القرى منكم ، قال : وماذاك ، قال : نحن نسمى الضيف مهمان ومعناه انه أكبر من فى المنزل وأملكنا به ، وقال بعض الحكماء : بلغ الجود من قام بالمجهود . وقيل : الجواد من لم يضن بالموجود . وقال المأمون : الجود بذل الموجود والبخل سوء الظن بالمعبود . قيل : وشكا رجل الى إياس بن معاوية كثرة ما يهب و يصل الناس و ينفق . قال ان النفقة داعية الرزق وكان جالسا على باب فقال للرجل اغلق هذا الباب فاغلقه فقال : هل تدخل فيه الريح قال : لا . قال فافتحه ففتحه فجعلت الريح تخترق فى البيت فقال : هكذا الرزق اغلقت فلم تدخل الريح فكذا اذا أمسكت لم يأتك الرزق . قيل ووصل المأمون محمد بن عباد المهلبى بمائة ألف دينار ففرقها على اخوانه فبلغ ذلك المأمون فقال : يا أبا عبد الله ان بيوت الاموال لا تقوم بهذا . فقال يا أمير المؤمنين البخل بالموجود سوء الظن بالمعبود ، وعن أمية بن يزيد الاموى قال كنا عند عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية فجاءه رجل من أهل بيته فسأله المعونة على تزويج فقال له قولا ضعيفا فيه وعد وقلة اطماع ، فلما قام من عنده ومضى دعا صاحب خزانته فقال اعطه أربعمائة دينار . فاستكثرناها وقلنا : كنت رددت عليه رداً ظننا أنك تعطيه شيئاً قليلاً فاذاً

أنت أعطيته أكثر مما أمل . فقال : انى أحب أن يكون فعلى أحسن من قولى ، وبحاتم يضرب المثل فى السخاء . فحدثنا عن بعض حالات حاتم قيل : كان حاتم جواداً شاعراً وكان حيثما نزل عرف منزله وكان ظفراً اذا قاتل غلب واذا غنم نهب واذا سئل وهب واذا ضرب بالقداح سبق واذا أسر أطلق ، وكان أقسم أن لا يقتل واحد أمه ، قيل : ولما بلغ حاتماً قول المتلمس الضبعى

قليلُ المالِ تُصلحُهُ فيبقى * ولا يَبقى الكثيرُ على الفَسادِ
وحفظُ المالِ أيسرُ من بُغاهُ * وضربٍ فى البلاد بغيرِ زاد

فقال : ماله قطع الله لسانه يحرض الناس على البخل أفلا قال

فلا الجودُ يُفنى المالَ قبل فنائهِ * ولا البُخْلُ فى مال الشحيح يَزيدُ
فلا تلتمِسْ رزْقاً بعيشٍ مُقتَّرٍ * لكلّ غدٍ رِزْقٌ يعودُ جديدُ
ألمْ ترَ أن الرّزْقَ غادٍ ورائحٌ * وأن الذى أعطاك سوْفَ يُعيدُ

قيل . ونزل على حاتم ضيف ولم يحضره القرى فنحر ناقة الضيف وعشاه وغدّاه وقال : انك قد أقرضتنى ناقتك فاحتكم علىّ . قال : راحلتين . قال : لك عشرون أرضيت ؟ قال نعم وفوق الرضى . قال : لك أربعون . ثم قال لمن بحضرته من قومه من أتانا بناقة فله ناقتان بعد الغارة فاتوه بأربعين فدفعها الى الضيف ، وحكوا عن حاتم انه خرج فى الشهر الحرام يطلب حاجة فلما كان بأرض عنزة ناداه أسير فيهم . يا أبا سفانة قد أكلنى الاسار والقمل . قال ، والله ما أنا فى بلادى ولا معى شئ وقد اسأت إلى ان نوهت باسمى فذهب الى العنزيين فساومهم فيه واشتراه منهم وقال . خلوا عنه وأنا أقيم مكانه فى قيده حتى اؤدى فداه ، ففعلوا فأتاهم بفداء . قيل ولما . مات حاتم خرج رجل من بنى أسد يعرف بأبى الخيبرى فى نفر من قومه وذلك قبل ان يعلم كثير من العرب بموته فاناخوا بقبره فقال . والله لاحلفن للعرب انى نزلت بحاتم وسألته القرى فلم يفعل وجعل يضرب القبر برجله و يقول

عجّلْ أبا سَفّانةٍ قِراكا * فسوْفَ أُنبى سائلى ثَنَاكا

فقال بعضهم : مالك تنادى رمة وباتوا مكانهم فقام صاحب القول من نومه مذعوراً قال : ياقوم عليكم مطاياكم فان حاتماً أتانى فانشدنى

أبا الخَيْبرِىّ وأنت امرُؤٌ * ظلومُ العشيرةِ شتّامُها
فماذا أردْتَ إلى رِمّةٍ * بدَوِيّةٍ صَخِبَتْ هامُها
تُبغىّ أذاها وإعْسارَها * وحوْلكَ طىٌّ وأنْعامُها
وإنّا لنُشْبعُ أضيافَنا * منَ الكوم بالسّيف نعتامُها

وقيل في المثل : هو اجود من كعب بن مامة وكان من اياد و بلغ من جوده انه خرج في ركب فيهم رجل من بني النمر بن قاسط في شهر ناجر والجأهم العطش فضلوا فتصافنوا ماء فجعل النمري يشرب نصيبه فاذا اراد كعب ان يشرب نصيبه قال : آثر اخاك النمري فيؤثر حتى اضر به العطش فلما رأى ذلك استحث ناقته و بادر حتى رفعت له اعلام الماء وقيل له كعب فانك وارد فمات قبل ان يرد وتجار فيقه . ومن قول ابي تمام

هوَ البحرُ منْ أيّ النّواحي أتيتَهُ * فلُجّتُهُ المعروفُ والجودُ ساحلُه
كريمٌ إذا ماجئتَ للعُرْفِ طالباً * حَباكَ بما تحْوي عليهِ أناملُه
فلوْلمْ يكنْ في كفّهِ غيرُ نفسهِ * لجاد بها فليتّقِ اللهَ سائلُه

وللبحتري

لوْ أنّ كفّكَ لمْ تجدْ لمؤمّلٍ * لكفاهُ عاجلُ وجهكَ المتهلّلُ
ولوْ أن مجدَكَ لم يكنْ متقادماً * أغناكَ آخرُ سوددٍ عنْ أوّلِ

ولبكر بن النطاح

بطلٌ بصدْرِ حُسامهِ وسِنانهِ * أجلانِ منْ صدَرٍ ومن إيرادِ
وَرِثَ المكارمَ وابْتناها قاسمٌ * بصفائحٍ وأسنّةٍ وجيادِ
ياعصمةَ العربِ التي لوْلمْ تكنْ * حيًّا إذًا كانتْ بغيرِ عمادِ
ان العيونَ إذا رأتكَ حِدادُها * رجعتْ من الإجلالِ غيرَ حدادِ
و إذا رَميتَ الثّغرَ منك بعزْمةٍ * فتّحتَ منه مواضعَ الأ[illegible]دادِ
وكأنّ رُمحَكَ مُنْقعٌ في عُصْفُرٍ * وكأنّ سَيْفكَ سُلّ من فرْصادِ
لوْ صالَ منْ غضبٍ أبودلَفٍ على * بيضِ السُّيُوفِ لذُبْنَ في الاغمادِ
أوْزَى ونوّرَ للعداوةِ والهوى * نارَيْنِ نارَ دمٍ ونارَ زنادِ

قال أبوهفان: أنشدت هذه الابيات عبد العزيز بن أبي دلف بسرمن رأى . فقال: هـ سمعت بمثل هذه الابيات . قلت: لا . قال: ولغيره في أبي دلف

ولوْ يجوزُ لقال الناسُ كلهمُ * لوْلا أبودلَفٍ ماأوْرقَ الشجرُ

قال ابن يحيي النديم: دعاني المتوكل ذات يوم وهو مخمور فقال: أنشدني قول عمارة في اهـ بغداد . فانشدته

مَنْ يشتري مني ملوكَ مُخرّمٍ * أبِعْ حسناً وابني هشامٍ بدرْهَمِ
وأُعطي رَجاءً بعد ذاكَ زيادةً * وأَمْنَحُ ديناراً بغيرِ تندُّمِ

فإنْ طلبوا منى الزّيادة زِدتُهُمْ * أبا دُلفٍ والمُستطيلَ بنَ أكثمِ

فقال المتوكل: ويلى على ابن البوال على عقبيه يهجو شقيق دولة العباس قال: فهل عندك من لمدح فى أبى دلف القاسم بن عيسى شىء . قلت: نعم يا أمير المؤمنين قول الاعرابى الذى يقول فيه

أبا دُلفٍ إنّ السّماحة لم تزلْ * مُغلّلةً تشكو إلى الله غُلّها

فبشّرها ربى بميلادِ قاسم * فأرسلَ جبريلاً اليها فحلّها

وقال غيره

حرٌّ إذا جئتَهُ يوماً لتسأله * أعطاك ما ملكتْ كفّاه واعتذرا

يُخفِى صنائعَهُ والله يُظهِرُها * إن الجميلَ إذا أخفيتَهُ ظهرا

وقال آخر

فتىً عاهدَ الرحمنَ فى بذلِ ماله * فليس تراهُ الدّهرَ إلا على العهدِ

فتىً قصُرتْ آمالُهُ عنْ فِعالهِ * وليس على الحرّ الكريم سوى الجهْدِ

وقال آخر

إذا ما أتاهُ السّائلون توقدتْ * عليه مَصابيحُ الطّلاقةِ والبِشرِ

له فى ذُرى المعروفِ نُعمى كأنها * مواقعُ ماءِ المُزْنِ فى البلدِ القفْرِ

وقال آخر

عاد السرُورُ اليك فى الاعيادِ * وسَعِدْتَ منْ دُنياكَ بالإسْعادِ

رفقاً بعبدٍ جَلّ ما أوليتَهُ * رفقاً فقدْ أثقلتَه بأيادى

مَلأ النفوسَ مَهابةً ومحبّةً * بدْرٌ بدا مُتغمّراً بسواد

ماإنْ أرى لك مُشبِهاً فمِنْ أرى * إنّ الكِرامَ قليلةُ الانداد

وقال فى ابن ابى دواد

بدا حين أثْرَى بإخوانه * ففلّلَ عنهمْ شباةَ العدَمْ

وحذّرَهُ الحزمُ صرفَ الزمانِ * فبادرَ قبلَ انتقالِ النّعَمْ

فليس وإن بخلَ الباخلو * نَ يقرُعُ سِنّا له منْ ندمْ

ولا ينكتُ الارضَ عند السّؤال * ليمنعَ سؤّالَهُ عن نَعمْ

ولكنْ يُرى مُشرِقاً وجهُهُ * ليُرْغِمَ فى ماله منْ رغِمْ

ويروى فى الحديث: انه لا يجتمع الشح والايمان فى قلب عبد صالح أبدا. ويقولون:

الشحيح أغدر من الظالم اقسم الله بعزته لا يسا كنه بخيل فى جنته وقال النبي صلى الله عليه وسـ
من فتح له باب من الخير فلينتهزه فانه لا يدرى متى يغلق عنه . وقال الشاعر فى ذلك

لیس فى كلّ ساعةٍ وأوانٍ * تتهيّا صنائعُ الإِحسان
فإذا أمكنتْ تقدّمتُ فيها * حذراً منْ تعذّرِ الإِمكان

وذكر عبد الله بن جعفر بن ابى طالب رضى الله عنه : أن أمير المؤمنين علياً صلوات الله ع
بعثه الى حكيم بن حزام بن خويلد يسأله مالا فانطلق به الى منزله فوجد فى الطريق صوفا فاخـ
ومر بقطعة كساء فاخذها فلما صار الى المنزل اعطاه طرف الصوف فجعل يفتله حتى صيره خيـ
ثم دعا بغرارة مخرقة فرقعها بالكساء وخيطها بالخيط وصرفها ثلاثين الف درهم فحملت معه . ف
وأتى قوم قيس بن سعد بن عبادة الانصارى رحمه الله يسألونه فى حمالة فصادفوه فى حائط له يتـ
ما يسقط من التمر فيعزل جيده ورديئه على حدة فهموا بأن يرجعوا عنه وقالوا . ما نظن عنـ
خيراً ثم كلموه فاعطاهم فقال رجل من القوم : لقد رأيناك تصنع شيئاً لا يشبه فعالك فقال وماذ
فاخبروه فقال : ان الذى رأيتم يؤول الى اجتماع ما ينفع و ينمو . ومنها قيل : الذود الى الذ
ابل . وانشد

رُبَّ كبيرٍ هاجهُ صغيرُ * وفى البحورِ تغرقُ البحورِ

وقال آخر

قدْ يلحقُ الصّغيرُ بالجليلِ * وإنما القَرْمُ من الافيلِ
وسحُقُ النخلِ من الفسيلِ

قال واتى رجل طلحة بن عبيد الله فسأله حمالة فرآه يهنأ بعيراً له فقال ياغلام اخرج اليه بدرة فقبضـ
وقال اردت ان انصرف حين رأيتك تهنأ البعير فقال انا لا نضيع الصغير ولا يتعاظمنا الكبير

(مساوى البخل)

المثل السائر فى البخل : هو ابخل من مادر . وهو رجل من بنى هلال بن عامر بلغ من ـ
انه كان يسقى ابله فبقى فى اسفل الحوض ماء قليل فسلح فيه ومدر الحوض به فسمى مادراً
وذكروا ان بنى هلال و بنى فزارة تنافروا الى انس بن مدرك وتراضوا به . فقالت بنو هلا
يا بنى فزارة أكلتم ايرالحمار فقالت بنو فزارة : لم نعرفه . وكان سبب ذلك أن ثلاثة اصطحبوا فزار
وثعلبي وكلابى فصادفوا حمار وحش ومضى الفزارى فى بعض حوائجه فطبخوا وأكلوا و
للفزارى ايرالحمار فلما رجع قالا : قد خبانا لك حقك فتكل . فاقبل ياكل ولا يسيغه . فجـ

يضحكان ففطن واخذ السيف وقام اليهما وقال ، لتأ كلن منه أولاقتلنكما فامتنعا فضرب أحدهما فقتله وتناوله الآخر فأكل منه ،، فقال فيهم الشاعر

نشدتك يافزار وأنت شيخ * إذا خيرت تخطئ في الخيار
أصيحانية أدمت بسمن * أحب اليك أم ايرُ الحمار
بلى ايرُ الحمار وخصيتاه * أحب إلى فزارة من فزاري

فقالت بنو فزارة : منكم يابنى هلال من سقى ابله فلما رويت سلح فى الحوض ومدره بخلا فنفرهم أنس بن مدرك على الهلاليين فاخذ الفزاريون منهم مائة بعير وكانوا تراهنوا عليها ، وفى بنى هلال يقول الشاعر

لقد جللت خزياً هلال بن عامر * بنى عامر طرا بسلحة مادر
فأف لكم لا تذكروا الفخر بعدها * بنى عامر أنتم شرار العشائر

وفى المثل، هوابخل من ابى حباحب . وهو رجل فى الجاهلية بلغ من بخله انه كان يسرج السراج فاذا اراداحد أن يأخذ منه اطفاه ، فضرب به المثل ، ومنه صاحب نحيح بن سلكة اليربوعى فانه ذكر : ان نحيحا اليربوعى خرج يومايتصيد فعرض له حمار وحش فاتبعه حتى دفع الى اكمة فاذا هو برجل اعمى اسود قاعد فى اطمار بين يديه ذهب وفضة ودر وياقوت فدنا منه فتناول بعضها ولم يستطع ان يحرك يده حتى القاه فقال : ياهذا ماهذا الذى بين يديك وكيف يستطاع اخذه وهل هو لك ام لغيرك فانى اعجب مما ارى اجواد انت فتجود لنا أم بخيل فاعذرك ، فقال الاعمى : اطلب رجلا فقد منذ سنين وهو سعد بن خشرم بن شماس فأتنى به نعطك ماتشاء . فانطلق نحيح مسرعا قد استطير فؤاده حتى وصل الى قومه ودخل خباءه ووضع راسه فنام لما به من الغم لا يدرى من سعد بن خشرم فأتاه آت فى منامه فقال له : يانحيح ان سعد بن خشرم فى حى بنى محلم من ولد ذهل بن شيبان . فسأل عن بنى محلم ثم سأل عن خشرم بن شماس فاذا هو بشيخ قاعد على باب خبائه فحياه نحيح فرد عليه السلام ، فقال له نحيح من أنت ، قال : انا خشرم بن شماس قال له فاين ولدك سعد قال خرج فى طلب نحيح اليربوعى وذلك ان آتيا أتاه فى منامه فحدثه ان بالاله فى نواحى بنى يربوع لا يعلم به الا نحيح اليربوعى فضرب نحيح فرسه ومضى وهو يقول

أيطلبنى من قد عنانى طلابه * فياليتنى ألقاك سعد بن خشرم
أتيت بنى يربوع تبغى لقاءنا * وجئت لكى ألقاك حى محلم

فلما دنا من محلته استقبله سعد فقال له نحيح : ايها الراكب هل لقيت سعدا فى بنى يربوع قال انا سعد فهل تدل على نحيح . قال ، انا نحيح وحدثه بالحديث ، فقال ، الدال على الخير كفاعله —

وهو اول من قالها — فانطلقا حتى اتيا ذلك المكان فتوارى الرجل الاعمى عنهما وترك المال فاخذ سعد كله فقال نجيح : ياسعد قاسمني . فقال له : أطوعني وعن مالي كشحا . وأبى أن يعطي شيئاً فانتضى نجيح سيفه فجعل يضربه حتى برد فلما وقع قتيلا تحول الرجل الحافظ للمال سعلا فاسرع في اكل سعد وعاد المال الى مكانه فلما رأى نجيح ذلك ولى هاربا الى قومه . قيل وكان ابو عبس بخيلا وكان اذا وقع الدرهم في يده نقره باصبعه ثم يقول : كم من مدينة قد دخلتها ويد وقعت فيها فالآن استقر بك القرار واطمأنت بك الدار ثم يرمى به في صندوقه فيكون آخر العهد به . قيل : ونظر سليمان بن مزاحم الى درهم فقال في شق : لا اله الا الله ، وفي شق : محمد رسول الله ما ينبغي ان تكون الا معاذة وقذفه في صندوقه . وذكروا انه كان بالرى عامل على الخراج يقال له المسيب فأتاه شاعر يمتدحه فلم يعطه شيئاً ثم سعل سعلة فضرط ، فقال الشاعر

أتيتُ المُسيَّبَ في حاجةٍ * فما زال يَسْعَلُ حتى ضَرَطْ
فقال غَلِطنا حسابَ الخَراجِ * فقلتُ من الضرْطِ جاءَ الغلطْ

فما زالوا يقولون ذلك حتى هرب منها من غير عزل . قال : وكتب ارسطاطاليس الى رجل بشيء فلم يفعل فكتب اليه : ان كنت أردت فلم تقدر فمعذور وان كنت قدرت ولم ترد فسيأتيك يوم تريد فيه فلا تقدر ، قال : وسمع أبو الاسود الدؤلي رجلا يقول من يعشي الجائع ، فعشاه ثم قام الرجل ليخرج فقال . هيهات تخرج فتؤذي الناس كما آذيتني ، ووضع رجله في الادهم حتى أصبح ، قال : وكان رجل يأتي ابن المقفع فيلح عليه وسأله أن يتغدى عنده ويقول : لعلك تظن اني أتكلف لك شيئاً والله لا أقدم لك الا ما عندي فلما أتاه لم يجد في بيته الا كسراً يابسة وملح جريش ، وجاء سائل الى الباب فقال له ، وسع الله عليك ، فلم يذهب فقال ، والله لئن خرجت اليك لادقن رأسك . فقال ابن المقفع للسائل . ويحك لو عرفت من صدق وعيده ما أعرف من صدق وعده لم تزد كلمة ولم تقم طرفة عين ، قال ، وكتب ابراهيم بن سيابة الى صديق له كثير المال يستسلفه . فكتب اليه : العيال كثير والدخل قليل والمال مكذوب عليه فكتب اليه : ان كنت كاذبا فجعلك الله صادقا وان كنت صادقا فجعلك الله معذورا . وكتب آخر الى آخر يصف رجلا : أما بعد فانك كتبت تسأل عن فلان كانك هممت به أو حدثتك نفسك بالقدوم اليه فلا تفعل فان حسن الظن به لا يقع في الوهم الا بخذلان الله والطمع فيما عنده لا يخطر على القلب الا بسوء التوكل على الله والرجاء فيما في يده لا ينبغي الا بعد اليأس من رحمة الله انه يرى الايثار الذي يرضى به التبذير الذي يعاقب عليه والاقتصاد الذي أمر به الاسراف الذي يعاقب عليه وان بني اسرائيل لم يستبدلوا العدس والبصل بالمن والسلوى الا لفضل أخلاقهم

وقديم علمهم وان الصنيعة مرفوعة والصلة موضوعة والهبة مكروهة والصدقة منحوسة والتوسع ضلالة والجود فسوق والسخاء من همزات الشياطين وان مواساة الرجال من الذنوب الموبقة والافضال عليهم من احدى الكبائر وأيم الله انه يقول ان الله لا يغفر أن يؤثر المرء في خصاصة على نفسه و يغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن آثر على نفسه فقد ضل ضلالا بعيدا كأنه لم يسمع بالمعروف الا في الجاهلية الذين قطع الله أدبارهم ونهى المسلمين عن اتباع آثارهم وان الرجفة لم تأخذ أهل مدين الا لسخاء كان فيهم ولا أهلكت الريح عادا الا لتوسع كان منهم فهو يخشى العقاب على الانفاق و يرجو الثواب على الاقتار ويعد نفسه خاسراً و يعدها الفقر و يأمرها بالبخل خيفة أن تمر به قوارع الدهر وأن يصيبه ما أصاب القرون الاولى فاقم رحمك الله مكانك واصطبر على عسرك عسى الله أن يبدلنا واياك خيرا منه زكاة وأقرب رحما . ولبعض الكتاب أما بعد فان كثير المواعيد من غير نجح عار على المطلوب اليه وقلتها مع نجح الحاجة مكرمة من صاحبها وقد رددتنا في حاجتنا هذه في كثرة مواعيدك من غير نجح لها حتى كنا قد رضينا بالتعلل لها دون النجاح ، كقول القائل

لا تجعلنّا ككمّون بمزرعة * إنْ فاتهُ الماءُ أرْوتهُ المواعيدُ

وكتب آخر ، ما رأيت مثل طيّب قولك أمر سوء فعلك ولا مثل بسط وجهك خالفه طول تنكيدك ولا مثل قرب عدتك باعدها افراط مطلك ولا مثل أنس مذاهبك أوحش منه اختبار عواقبك حتى كان الدهر أوعدك لطيف الحيلة بالمكر بأهل الخلة وكأنه زينك فهم بالخديعة لتدرك منهم فرصة الهلكة . وقد قيل : وعد الكريم نقد وتعجيل ووعد اللئيم مطل وتأجيل . وقال بعضهم: وعدتنا مواعيد عرقوب ومطلتنا مطل نعاس الكلب وغررتنا غرور السراب ومنيتنا أماني الكمون . ولبعضهم أما بعد فلا تدعني معلقا بوعدك فالعذر الجميل أحسن من المطل الطويل فان كنت تريد الانعام فانجح وان تعذرت الحاجة فاوضح واعلمني ذلك لاصرف وجه الطلب الى غيرك . وذكروا ان فتى من مراد كان يختلف الى عمرو بن العاص فقال له ذات يوم: ألك امرأة . قال ، لا . قال ، فتزوج وعلى المهر . فرجع الى أمه فاخبرها الخبر فقالت

إذا حدّثتك النفسُ إنك قادرٌ * على ماحوتْ أيدي الرجالِ فكذبِ

فتزوج وأتى عمرو بن العاص فاعتل عليه ولم ينجز وعده فشكى ذلك الى أمه فقالت

لا تغضبنّ على أمرئٍ في مالهِ * وعلى كرائمِ حُرّ مالكَ فاغضبِ

ووصف اعرابي رجلا فقال ، له بشر مطمع ومطل مؤيس وكنت منه أبدا بين الطمع واليأس لا بذل سريح ولا مطل مريح ، وقال اعرابي ، أنا من فلان في أماني تهبط العصم وخلف

يذكر العدم ولست بالحريص الذى اذا وعده الكذوب علق نفسه لديه وأتعب راحلته اليه وذكر اعرابى رجلا فقال ، له مواعيد عواقبها المطل وثمارها الخلف ومحصولها اليأس ، ويقال سرعة اليأس أحد النجحين ، وقال بعضهم مواعيد فلان مواعيد عرقوب ولمع الآل وبرق الخلّب وأمانى الكمون ونار الحباحب وصلف تحت الراعدة ! ومما قيل فى ذلك

أرُوحُ وأغدُوا ونحوكم فى حوائجى * فأُصبِحُ فيها غدوةً كالذى أُمسى

وقد كنتُ أرجو للصديقِ شفاعتى * فقد صِرْتُ أرْضى أن أشفّعْ فى نفسى

ولابى نواس

وعدْتنى وعدَكَ حتى إذا * أطعمْتنى فى كنزِ قارونِ

جئتَ من الليل بغسّالةٍ * تغسلُ ما قلتَ بصابون

ولابى تمام

يحتاجُ مَن يرتجى نوالكمُ * إلى ثلاثٍ من غيرِ تكذيبِ

كنوزِ قارونَ أن تكونَ له * وعمرِ نوحٍ وصبرِ أيوبِ

وقال آخر

إنى رأيتُ من المكارمِ حسبَكم * أنْ تلبَسوا خزّ الثيابِ وتشبعَوا

وقال حسان بن ثابت

إنى لاعجبُ من قولٍ غُرِرْتَ به * حُلوٍ يُمدُّ اليه السمعُ والبصرُ

لو تسمعُ العُصْمُ من صُمّ الجبالِ به * ظلّت من الراسياتِ العُصْمُ تنحدرُ

كالخمرِ والشهدِ يجرى فوق ظاهره * وما لباطنه طعمٌ ولا خبرُ

وكالسَّرابِ شبيهاً بالغديرِ وانْ * تبغِ السَّرابَ فلا عينٌ ولا أثرُ

لا ينبُتُ العُشْبُ عن بَرْقٍ وراعِدةٍ * غرّاءَ ليس لها سَيلٌ ولا مطرُ

وقال آخر

رأيتُ أبا عُثمانَ يبذلُ عِرْضَهُ * وخُبزُ أبى عثمانَ فى أحرَزِ الحِرْزِ

يَحِنُّ الى جاراته بعد شبْعهِ * وجاراتُه غرثى تحِنُّ إلى الخُبزِ

وقال آخر

ما كنتُ أحسِبُ أن الخبزَ فاكهة * حتى نزلتُ على أوفى بن منصورِ

الحابسُ الرَّوْثَ فى أعفاجِ بغلته * خوفاً على الحَبّ من لقْطِ العصافير

وقال آخر

نَوَالكَ دونهُ خرطُ القتادِ * وخُبزُك كالثريَّا في البعادِ
ترى الإصلاحَ صومكَ لا لنُسْكٍ * وكَسْرَ الخبزِ منْ عمل الفساد
أرَى عمرَ الرَّغيفِ يطولُ جدًّا * لديكَ كأنهُ منْ قومِ عادِ

وقال آخر

اللؤمُ منك على الطعامْ طِباعُ * فعيالُ بيتك ما حييتُ جياعُ
وإذا يمرُّ ببابِ دارك سائلٌ * حملتْ عليه نوابحٌ وسباعُ
وعلى رغيفك حيةٌ مسمومةٌ * وعلى خُوانِك عقربٌ وشُجاعُ

وقال آخر

ياتاركَ البيتِ على الضيفِ * وهارباً عنهُ من الخوفِ
ضيفُكَ قدْ جاءَ بخبزٍ له * فارْجع وكنْ ضيفاً على الضيفِ
إذا اشتهى الضيفُ طبيخَ الشتا * أتاهُ بالشهوةِ في الصيفِ
وإن دنا المسكينُ من بابهِ * شدَّ على المسكينِ بالسَّيفِ

وقال آخر

أرَى ضيفَكَ بالدَّارِ * وكرْبُ الجوعِ يغشاهُ
على خبزِكَ مكتوبٌ * فسيكفيكهمُ اللهُ

وقال آخر

لأبي نوحٍ رغيفٌ * أبدًا في حُجْرِ دايهْ
أبدًا يمسحهُ الدَّهرُ بكُمٍّ ووِقايهْ
وله كاتبُ سرٍّ * خطَّ فيه بعنايهْ
فسيكفيكهمُ اللهُ إلى آخرِ الآيهْ

وقال آخر

الخبزُ يبطي حين يدعو به * كأنهُ يقدمُ مِنْ قافِ
ويمدحُ الملحَ لأصحابِهِ * يقولُ هذا ملحُ سيرافِ
سيَّانِ أكلُ الخبزِ في دارِه * وقلعُ عينيهِ بخطافِ

وقال آخر

فتىً لا يَغارُ على عِرْسهِ * ولكنْ يَغارُ على خُبزِه
فمنهُ يدُ الجودِ مقبوضةٌ * وكفُّ السَّماحةِ في عجزِه

وقال آخر

يصونون أثوابَهمْ في التُّخوتِ * وأزواجَهُمْ بذلةٌ في السكك
يُنحُّونَ مَنْ رامَ رُغْفانَهمْ * ويَدنونَ مَنْ رامَ حلَّ التِّكك

وقال آخر

أمّا الرغيفُ على الخُوا * نِ فمِنْ حماماتِ الحَرَمْ
ماإنْ يُجَسُّ ولا يُمَـسُّ ولا يُذاقُ ولا يُشَمْ
فتَراهُ أخضرَ يابساً * بالى النقُوشِ من الهَرَمْ

وقال آخر

أتينا أباطاهر مُفطِرين * إلى دارِه فرَجعنا صياما
وجاءَ بخبزٍ لهُ حامِضٌ * فقلتُ دعوهُ وموتوا كراما

وقال آخر

تبخلُ بالماءِ ولوْ أنهُ * مُنغمِسٌ في وسطِ النيلِ
شُحّاً فلا تطمعُ في خبزِه * ولو تشفَّعْتَ بجبريل

وعن حذيفة بن محمد الطائي قال: قال الرشيد مالاحد من المولدين مالابى نواس في الهجاء

وما رَوَّحتَنا لتذُبَّ عنا * ولكنْ خِفتَ مَرْزئةَ الذُّباب
شرابُك كالسرابِ إذا التقَيْنا * وخُبزُك عندَ مُنقطِعِ التُّراب

وقال آخر

خانَ عهدي عمرٌو وما خُنتُ عهدَهْ * وجَفاني وما تغيَّرْتُ بعدَهْ
ليس لي ما حَييتُ ذنبٌ إليهِ * غيرَ أني يوْماً تغديتُ عندَهْ

وقال الخليل بن احمد العروضى الازدى

فكفّاهُ لم تُخلَقا للندى * ولم يكُ بُخلُهُما بِدْعهْ
فكفٌّ على الخبزِ مقبوضةٌ * كما نقَصتْ مائةٌ تسْعهْ
وكفٌّ ثلاثةُ آلافِها * وتِسعُ مِئيها لها شِرْعهْ(١)

---

(١) قلت فى هامش الاصل مانصه وذكر جعفر بن محمد التميمي فى كتابه الجامع في اللغه الشرعه المثل وقال هذه شرعة ذاك أي مثله وعلى هذا تأولوا قول الخليل رحمه الله فكف وذكر الابيات الثلاثة ثم قال يريد مثلها أى مثل

وقال ابن ابى البغل

وكلٌّ منْ أجْتديهِ فى بلدٍ * أرْمُ مما لديهِ فى صفدِ
يَعقُدُ له باليسارِ أرْبعـةً * منقوصةً تسعة الى العدد

وقال آخر

أتيتُ أباعمْرٍو أُرَجّي نوَالَهُ * فزادأبو عمرٍو على حَزَنى حُزنا
فـكنْتُ كباغى القَرْنِ أسْلمَ أُذنهُ * فآبَ بلا أُذُنٍ ولم يستفدْ قرنا

— محاسن الشجاعه —

قيل ، كان باليمامة رجل من بنى حنيفة يقال له جحدر بن مالك وكان لسنا فاتكا شجاعا شاعرا وكان قد أبر على أهل هجر وناحيتها فبلغ ذلك الحجاج بن يوسف فكتب الى عامل اليمامة يوبخه بتلاعب جحدر به ويأمره بالتجرد فى طلبه حتى يظفر به فبعث العامل الى فتية من بنى يربوع ابن حنظلة فجعل لهم جعلا عظيما ان هم قتلوا جحدرا أوأتوه به أسيرا ووعدهم ان يوفدهم الى الحجاج ويسنى فرائضهم فخرج الفتية فى طلبه حتى اذا كانوا قريبا منه بعثوا اليه رجلا منهم يريه انهم يريدون الانقطاع اليه والتحرم به فوثق بهم واطمأن اليهم فبينماهم على ذلك اذشدوه وثاقا وقدموا به الى العامل فبعث به معهم الى الحجاج وكتب يثنى على الفتية فلماقدموا على الحجاج قال له أنت جحدر . قال ، نعم : قال . ماحملك على ما بلغنى عنك ، قال ، جراءة الجنان وجفوة السلطان وكلب الزمان ، قال ، وما الذى بلغ من أمرك فيجترئ جنانك ويصلك سلطانك ولا يكلب زمانك ، قال لو بلانى الامير لوجدنى من صالحى الاعوان وبهم الفرسان وممن أوفى على أهل الزمان قال الحجاج انا قاذفوك فى قبة فيها أسد فان قتلك كفانا مؤنتك وان قتلته خليناك ووصلناك قال قد أعطيت اصلحك الله الامنية واعظمت المنة وقربة المحنة فامر به فاستوثق منه بالحديد والقى فى السجن وكتب الى عامله بكسكر يأمره ان يصيد له اسدا ضاريا فلم يلبث العامل ان بعث اليه باسود ضاريات قد ابرت على أهل تلك الناحية ومنعت عامة مراعيهم ومسارح دوابهم فجعل منها واحدا فى تابوت يجر على عجلة فلماقدموا به على الحجاج امر فالقى فى حيز واجيع ثلاثا ثم بعث الى جحدر فاخرج واعطى سيفا ودلى عليه فمشى الى الاسد وانشأ يقول

ليْثٌ وليْثٌ فى مكانٍ ضنْكِ * كلاهُمـا ذو أنَفٍ ومَحْكِ
وصوْلةٍ فى بطشـةٍ وفتكِ * إن يَكشِفِ اللهُ قِناعَ الشـكّ

لاولى وأناأرى أن تكون شرعه هاهنا دنا وسنه قال هذا الهادينا

وظَفرًا بجُؤجُؤ وبَرْكِ * فهو أحقُّ منزلٍ بتَرْكِ
الذئبُ يعوِي والغرابُ يبكي

حتى اذا كان منه على قدر رمح تمطى الاسد و زأر وحمل عليه فتلقاه جحدر بالسيف فضرب هامته ففلقها وسقط الاسد كانه خيمة قوضتها الريح فانثنى جحدر وقد تلطخ بدمه لشدة حملة الاسد عليه فكبر الناس فقال الحجاج ياجحدر ان احببت ان ألحقك ببلادك واحسن صحبتك وجائزتك فعلت بك وأن أحببت أن تقيم عندنا أقمت فاسنينا فريضتك قال اختار صحبة الامير ففرض له ولجماعة اهل بيته وانشأ جحدر يقول

يا جُملُ إنكِ لوْ رأيتِ بسالتي * في يوم هَيجٍ مُرْدِفٍ وعجاجِ
وتقدُّمي لليثِ أرْسُفُ نحوَهُ * حتى أُكابدَهُ على الإِحراجِ
جَهْمٌ كأنّ جبينَهُ لما بدا * طَبَقُ الرَّحا مُتفجِّرُ الأثباجِ
يَرْنو بناظرتين تحسبُ فيهما * مَنْ ظنَّ خالَهُما شَعاعُ سراجِ
شَثْنٌ بَراثِنُهُ كأنّ نُيُوبَهُ * زُرْقُ المعاولُ أوْشَذاةُ زجاجِ
وكأنما خِيطتْ عليهِ عباءَةٌ * بَرْقاءَ أوْ خَلَقٌ منَ الديباجِ
قِرْنانِ مُحتضِرانِ قدْ رَبَّتْهُما * أمُّ المنيةِ غيرُ ذاتِ نتاجِ
وعلمتُ أني إنْ أبيتُ نِزالَهُ * أني من الحجّاجِ لستُ بناجِ
فمشيْتُ أرْسُفُ في الحديدِ مكبَّلاً * بالموتِ نفسي عند ذاكَ أُناجي
والناسُ منهمْ شامتٌ وعصابةٌ * عَبَراتُهُمْ لي بالحُلوقِ شواجي
ففلقْتُ هامتَهُ فخرَّ كأنه * أُطُمٌ تقوَّضَ مائلَ الابراجِ
ثمَّ انثنَيْتُ وفي قميصي شاهدٌ * مما جرى منْ شاخبِ الاوْداجِ
أيقنْتُ أني ذو حِفاظٍ ماجدٌ * مِنْ نسلِ أملاكٍ ذوي أتْواجِ
فلئنْ قذفتُ إلى المنيةِ عامدًا * إني لخيرِكَ بعدَ ذلك راجي
عَلِمَ النساءُ بأني لا أنثني (١) * إذ لا يثِقْنَ بغيرَةِ الازْواجِ

وحكى عن الطفيل بن عامر العمري قال : خرجت ذات يوم أريد الغارة وكنت رجلا أحب الوحدة فبينما أنا أسير اذ ضللت الطريق الذي أردته فسرت أياما لا أدري أين أتوجه حتى نفد زادي فجعلت آكل الحشيش و ورق الشجر حتى أشرفت على الهلاك و يئست من الحياة

«١» المشهور في رواية البيت « ممن يغار على النساء حفيظة البيت الخ »

فبينا أنا أسير اذ أبصرت قطيع غنم فى ناحية من الطريق فملت اليها واذا شاب حسن الوجه فصيح اللسان قال لى : يا ابن العم أين تريد . فقلت : أردت حاجة لى فى بعض المدن وما أظنني الا قد ضللت الطريق . فقال : أجل ان بينك وبين الطريق مسيرة أيام فانزل حتى تستريح وتطمئن وتريح فرسك فنزلت فرمى لفرسي حشيشاً وجاء الى بثريد كثير ولبن ثم قام الى كبش فذبحه وأجج ناراً وجعل يكبب لى ويطعمنى حتى اكتفيت فلما اجننا الليل قام وفرش لى وقال . قم فارم بنفسك فان النوم أذهب لتعبك وأرجع لنفسك فقمت ووضعت رأسي فبينا أنا نائم اذ أقبلت جارية لم تر عيناى مثلها قط حسنا وجمالا فقعدت الى الفتى وجعل كل واحد منهما يشكو الى صاحبه ما يلقى من الوجد به فامتنع على النوم لحسن حديثهما فلما كان فى وقت السحر قامت الى منزلها فلما أصبحنا دنوت منه فقلت له . ممن الرجل . قال . أنا فلان بن فلان . فانتسب لى فعرفته فقلت له . ويحك ان أباك لسيد قومه فما حملك على وضعك نفسك فى هذا المكان . فقال ، أنا والله أخبرك كنت عاشقاً لابنة عمى هذه التى رأيتها وكانت هى أيضاً لى وامقة فشاع خبرنا فى الناس فأتيت عمى فسألته أن يزوجنيها فقال . يا بنى والله ما سألت شططاً وما هى بآثر عندى منك ولكن الناس قد تحدثوا بشىء وعمك يكره المقالة القبيحة ولكن أنظر غيرها فى قومك حتى يقوم عمك بالواجب لك . فقلت . لا حاجة لى فيما ذكرت وتحملت عليه بجماعة من قومى فردهم وزوجها رجلا من ثقيف له رئاسة وقدر فحملها الى ههنا — وأشار بيده الى خيم كثيرة بالقرب منا — فضاقت على الدنيا برحبها وخرجت فى أثرها فلما رأتنى فرحت فرحا شديداً فقلت لها . لا تخبرى أحداً انى منك بسبيل ثم أتيت زوجها وقلت . انا رجل من الازد أصبت دماً وأنا خائف وقد قصدتك لما أعرف من رغبتك فى اصطناع المعروف ولى بصر بالغنم ان رأيت أن تعطيني من غنمك شيئاً فأكون فى جوارك وكنفك فافعل . قال . نعم وكرامة فاعطانى مائة شاة وقال لى . لا تبعد بها من الحى وكانت ابنة عمى تخرج الى كل ليلة فى الوقت الذى رأيت وتنصرف فلما رأى حسن حال الغنم أعطانى هذه فرضيت من الدنيا بما ترى . قال ، فأقمت عنده أياما فبينا أنا نائم اذ نبهنى وقال ، يا أخا بنى عامر ، قلت له ، ما شأنك ، قال ، ان ابنة عمى قد أبطأت ولم تكن هذه عادتها و والله ما أظن ذلك الالامر حادث فحدثنى . فجعلت أحدثه ، فأنشأ يقول

مابالُ مَيّةَ لاتأتى كَعادتِها * هلْ هاجها طربٌ أوْ صدَّها شغلُ
لكنَّ قلبيَ لايعنيهِ غيرُكمُ * حتى المماتِ ولالى غيركمْ أملُ
لوْ تعلمين الذى بى منْ فراقكمُ * لَماَ اعتذرْتِ ولا طابتْ لكِ العللُ

نفسي فداؤك قد أحللتَ بي حرقاً * تكاد من حرّها الاحشاء تنفصلُ
لو كان عاديةٌ منهُ على جبلٍ * لزلّ وانهدّ من أركانه الجبلُ

فوالله ما اكتحل بغمض حتى انفجر عمود الصبح وقام ومر نحو الحي فابطأ عني ساعة ثم أقبل ومعه شيء وجعل يبكي عليه . فقلت له ، ما هذا ، قال ، هذه ابنة عمي افترسها السبع فاكل بعضها ووضعها بالقرب مني فاوجع والله قلبي ثم تناول سيفه ومر نحو الحي فابطأ هنيهة ثم أقبل الي وعلى عاتقه ليث كانه حمار فقلت له . ما هذا . قال . صاحبي . قلت . وكيف علمته . قال . اني قصدت الموضع الذي اصابها فيه وعلمت انه سيعود الى ما فضل منها فجاء قاصداً الى ذلك الموضع فعلمت انه هو فحملت عليه فقتلته ثم قام فحفر في الارض فامعن واخرج ثوباجديداً وقال . يا اخا بني عامر اذا انا مت فادرجني معها في هذا الثوب ثم ضعنا في هذه الحفرة وهل التراب واكتب هذين البيتين على قبرنا وعليك السلام

كنا على ظهرِها والعيشُ في مَهلٍ * والدّهرُ يجمعنا والدارُ والوطنْ
فخاننا الدّهرُ في تفريقِ الفتنا * واليومَ يجمعُنا في بطنِها الكفنُ

ثم التفت الى الاسد وقال

ألا أيُّها الليثُ المُدِلُّ بنفسِهِ * هُبِلْتَ لقد جرّتْ يداك لنا حُزنا
وغادرْتني فرْداً وقد كنتُ آلفاً * وصيّرْتَ آفاقَ البلادِ لنا سِجْنا
أأصحَبُ دهرًا خانني بفراقِها * معاذَ إلهي أن أكون له خِدْنا

ثم قال . يا اخا بني عامر اذا فرغت من شأننا فصح في ادبار هذه الغنم فردها الى صاحبها ثم قام الى شجرة فاختنق حتى مات فقمت فادرجتهما في ذلك الثوب ووضعتهما في تلك الحفرة وكتبت البيتين على قبرهما ورددت الغنم الى صاحبها وسألني القوم فاخبرتهم الخبر فخرج جماعة منهم فقالوا والله لننحرن عليه تعظيماله فخرجوا واخرجوا مائة ناقة وتسامع الناس فاجتمعوا الينا فنحرت ثلاثمائة ناقة ثم انصرفنا . وقيل لما كان من أمر عبد الرحمن بن الاشعث الكندي ما كان قال الحجاج اطلبوا لي شهاب بن حرقة السعدي في الاسرى او القتلى فطلبوه فوجدوه في الأسرى فلما ادخل على الحجاج قال له من انت قال انا شهاب بن حرقة والله لا قتلنك قال لم يكن الامير بالذي يقتلني قال ولم قال لان في خصالا يرغب فيهن الامير قال وما هن قال ضروب بالصفيحة هزوم للكتيبة احمي الجار واذب عن الذمار واجود على العسر واليسر غير بطيء عن النصر قال الحجاج ما احسن هذه الخصال فاخبرني باشد شيء مر عليك قال نعم اصلح الله الامير

بينا انا اسـير * ومركبي وثير   في عصبة من قومي * في ليلتي ويومي

يمضون كالاجادل * في الحرب كالبواسل   انا المطاع فيهم * في كل مايليهم

فسرت خمساً عوماً * وبعد خمس يوما   حتى وردت ارضا * ماان ترام عرضا

من بلد البحرين * عند طلوع العين   فهجتهم نهاراً * التمس المغارا

حتى اذا كان السحر * من بعدماغاب القمر   اذا انا بعير * يقودها خفير

موقرة متاعا * مقبلة سراعا   فصلت بالسنان * مع سادة فتيان

فسقتها جميعا * احثها سريعا   اريد رمل عالج * امعج بالعناجج

اسير في الليالى * خرقاً بعيداً خالى   وقد لقينا تعباً * وبعد ذاك نصبا

حتى اذا هبطنا * من بعدما صعدنا   عنت لنا بيدانه * قد كان فيها عانه

رميتها بقوسى * في مهمه كالترس   حتى اذا ما امعنت * بالقفر ثم درمت

وردت قصراً منهلا * في جوفه طام حلا   وعنده خيمه * في جوفها نعيمه

عزيزة كالشمس * فاقت جميع الانس   فعجت مهرى عندها * حتى وقفت معها

حييت ثم زدت * في لطف وحييت   فقلت يالعروب * والطفلة العروب

هل عندكم قراء * اذ نحن بالعراء   قال نعم برحب * في لطف وقرب

اربع هنا عتيدا * ولاتكن بعيدا   حتى يجيئك عامر * مثل الهلال زاهر

فعجت عن قريب * في باطن الكثيب   حتى رأيت عامراً * يحمل ليثاً خادراً

على عتيق سابح * كمثل طود اللامح

قال . وكان الحجاج متكئا فاستوى جالساً ثم قال . ويحك دعنا من السجع والرجز وخذ في الحديث . قال . نعم ايها الامير ثم نزل فربط فرسه وجمع حجارة واوقد عليها نارا وشق عن بطن الاسد والقى مراقه في النار فجعلت اصلح الله الامير اسمع لحم الاسد لشيشاً فقالت له نعمة . قد جاءنا ضيف وانت في الصيد . قال . فما فعل ، قالت . هاهو ذاك بظهر الكثيب والخيمة فأومأت الى فاتيتها فاذا انا بغلام امرد كان وجهه دارة القمر فربط فرسي الى جنب فرسه ودعاني الى طعامه فلم امتنع من اكل لحم الاسد لشدة الجوع فاكلت انا ونعمة منه بعضه وأتى الغلام على آخره ثم مال الى رق فيه خمر فشرب ثم سقاني فشربت ثم شرب الغلام حتى أتى على آخره فبينا نحن كذلك اذ سمعت وقع حوافر خيل اصحابي فقمت وركبت فرسي وتناولت رمحي وصرت معهم ثم قلت ياغلام خل عن الجارية ولك ماسواها ، فقال ، ويلك احفظ الممالحة ، قلت لابد من الجارية

فالتفت اليها وقال لحاقنى ثم قال يافتيان هل لكم فى العافية والا فارس وفارس فبرز اليه رجل من أصحابى فقال له الغلام، من أنت فلست أقاتل من لا أعرفه ولا أقاتل الا كفؤا أعرفه فقال أنا عاصم بن كلبة السعدى فشد عليه: وأنشا يقول

إنك يا عاصمُ بى لجاهلْ * إذ رُمْتَ أمرًا أنت عنه ناكلْ
إنى كَمِىٌّ فى الحروب باسلْ * ليثٌ إذا اصطكّ الليوثُ بازلْ
ضَرّابُ هامات العدى مُنازلْ * قتّالُ أقران الوَغا مُقاتلْ

ثم طعنه فقتله وقال: يافتيان هل لكم فى العافية والا فارس وفارس فتقدم اليه آخر من أصحابى فقال له الغلام • من أنت فقال أنا صابر بن حرقة فشد عليه وأنشأ يقول

إنك والإلهِ لستَ صابرا * على سِنانٍ يجلُبُ المقادرا
ومُنصلٍ مثلَ الشهابِ باترا * فى كفّ قَرْمٍ يمنعُ الحرائرَ
إنى إذا رُمْتُ أمراً فآسرًا * يكونُ قِرْنى فى الحُروبِ بائرا

ثم طعنه فقتله وقال: يافتيان هل لكم فى العافية والا فارس لفارس فلما رأيت ذلك هالنى أمره وأشفقت على أصحابى فقلت: احملوا عليه حملة رجل واحد فلما رأى ذلك انشأ يقول

الآن طابَ الموْتُ ثم طابا * إذ تطلبون رخصةً كَعابا
ولا نُريدُ بعدَها عِتابا

فركبت نعيمة فرسها وأخذت رمحها فما زال يجالدنا ونعيمة حتى قتل منا عشرين رجلا فاشفقت على أصحابى فقلت: ياغلام قد قبلنا العافية والسلامة • فقال: ما كان أحسن هذا لو كان أولا ونزلنا وسالمنا ثم قلت ياعامر بحق المماحة من أنت قال أنا عامر بن حرقة الطائى وهذه ابنة عمى ونحن فى هذه البرية منذ زمان ودهر ما مر بنا أنسى غيركم فقلت من أين طعامكم قال حشرات الطير والوحش والسباع قلت فمن أين شرابكم قال الخمر أجلبها من بلاد البحرين كل عام مرة أو مرتين قلت ان معى مائة من الابل موقرة متاعا فخذ منها حاجتك فقال لا أرب لى فيها ولو أردت ذلك لكنت أقدر عليه فارتحلنا عنه منصرفين • فقال الحجاج الآن ياعدو الله طاب قتالك لغدرك بالفتى قال كان خروجى على الامير أصلحه الله اعظم من ذلك فان عفى عنى الاسير رجوت أن لا يؤاخذنى بغيره فاطلقه ووصله ورده الى بلده

— ضده —

قال • دخل أبو زبيد الطائى على عثمان بن عفان فى خلافته وكان نصرانيا فقال له بلغنى انك

تحيد وصف الاسد . فقال له : لقد رأيت منه منظراً وشهدت منه مخبراً لا يزال ذكره يتجدد على قلبي . قال : هات مامر على رأسك منه . قال خرجت يا أمير المؤمنين فى صبابة من افناء قبائل العرب ذوى شارة حسنة ترتمى بنا المهارى باكسائها القزوانيات ومعنا البغال عليها العبيد يقودون عتاق الخيل نريد الحارث بن أبى شمر الغسانى ملك الشام فاخروّط بنا المسير فى حمارة القيظ حتى اذا عصبت الافواه وذبلت الشفاه وشالت المياد واذكت الجوزاء المعزاء وذاب الصيخدون مرّ الجندب وضايق العصفور الضب فى وجاره قال قائلنا : أيها الركب غوّروا بنا فى دوح هذا الوادى فاذا واد كثير الدغل دائم الغلل شجراؤه مغنة وأطياره مرنة فحططنا رحالنا بأصول دوحات كنهبلات فاصبنا من فضلات المزاود واتبعناها بالماء البارد فانا لنصف حرّ يومنا ومماطلته ومطاولته اذ صرّ أقصى الخيل أذنيه وفحص الارض بيديه ثم مالبث أن جال فحمحم وبال فهمهم ثم فعل فعله الذى يليه واحد بعد واحد فتضعضعت الخيل وتكعكعت الابل وتقهقرت البغال فمن نافر بشكاله وناهض بعقاله فعلمنا أن قد أتينا وانه السبع لاشك فيه ففزع كل امرئ منا الى سيفه واستله من جربانه ثم وقفنا له رزدقا فأقبل يتظالع فى مشيته كأنه مجنوب أو فى هجار لصدره نحيط ولبلاعيمه غطيط ولطرفه وميض ولارساغه نقيض كأنما يخبط هشيما أو يطأ صريما واذا هامة كالمجنّ وخد كالمسنّ وعينان سجراوان كأنهما سراجان يقدان وقصرة ربلة ولهزمة رهلة وكتد مغبط وزور مفرط وساعد مجدول وعضد مفتول وكف شثنة البراسن الى مخالب كالمحاجن ثم ضرب بذنبه فارهج وكشر فافرج عن أنياب كالمعاول مصقولة غير مفلولة وفم أشدق كالغار الاخرق ثم تمطى فاسرع بيديه وحفز وركيه برجليه حتى صار ظله مثليه ثم أقعى فاقشعرّ ثم مثل فاكفهرّ ثم تجهم فازبأرّ فلا والذى بيته فى السماء مااتقيناه باول من أخ لنا من بنى فزارة كان ضخم الجزارة فوهصه ثم أقعصه فقضقض متنه وبقر بطنه فجعل يلغ فى دمه فذمرت أصحابى فبعد لأى مااستقدموا فكرّ مقشعر الزبرة كأن به شيهما حوليا فاختلج من دونى رجلا أعجر ذا حوايا فنفضه نفضة فتزايلت أوصاله وانقطعت أوداجه ثم نهم فقرقر ثم زفر فبربر ثم زأر فجرجر ثم لحظ فوالله لخلت البرق يتطاير من تحت جفونه عن شماله ويمينه فارتعشت الايدى واصطكت الارجل وأطت الاضلاع وارتجت الاسماع وحملجت العيون وانخزلت المتون ولحقت الظهور البطون ثم ساءت الظنون . وأنشأ يقول

عَبوسٌ شَموسٌ مُصلَخِدٌّ خُناسٌ * جَرِىءٌ على الارواحِ لِلقِرْنِ قاهِرُ

مَنيعٌ ويحمى كلَّ وادٍ يرُومُــهُ * شديدٌ أُصولِ الماضغينَ مُكابِرُ

بَراثِنُهُ شَثْنٌ وعيناهُ فى الدُّجى * كجمرِ الغضاقى وجهِهِ الشرُّ ظاهِرُ

يدُلُّ بانيابٍ حدادٍ كأنها ٥ إذا قلصَ الاشداقَ عنها خَناجرُ

فقال عثمان : ا كنفف لا أم لك فلقد أرعبت قلوب المسلمين ولقد وصفته حتى كأنى انظر اليه يريد يواثبني . وقيل فى المثل : هو أجبن من هجرس ــ وهو القرد ــ وذلك انه لا ينام الا وفى يده حجر مخافة أن يأكله الذئب ، وحدثنا رجل بمكة قال : اذا كان الليل رأيت القرود تجتمع فى موضع واحد ثم تبيت مستطيلة واحداً فى أثر واحد فى يد كل واحد منهم حجر لئلا ترقد فيأتيها الذئب فيأكلها وان نام واحد وسقط الحجر من يده فزع فتحرك الآخر فصار قدامه فلا تزال كذلك طول الليل فتصبح وقد صارت مع الموضع الذى باتت فيه على ثلاثة أميال أو أكثر جبناً ، وقيل : هو أجبن من صافر ، وهو طائر يتعلق برجليه وينكس رأسه ثم يصفر ليلته كلها خوفا من أن ينام فيؤخذ ، وقيل أيضاً هو جأبن من المنزوف ضرطاً ، وكان من حديثه أن نسوة من العرب لم يكن لهن رجل فتزوجت واحدة منهن برجل كان ينام الى الضحى فاذا انتبه ضربنه وقلن له قم فاصطبح و يقول لو لعادية نبهتنني ــ أى خيل عادية عليكن مغيرة فادفعها عنكن فلما رأين ذلك فرحن وقلن ان صاحبنا الشجاع ثم أقبلن وقلن تعالين نجربه فاتينه كما كن يأتينه فأيقظنه فقال لو لعادية نبهتنني . فقلن له : نواصى الخيل معك ، فجعل يقول الخيل الخيل و يضرط حتى مات فضرب به المثل . وقيل لجبان انهزمت فغضب الامير عليك ، قال يغضب الامير وأنا حى أحب الى من أن يرضى وانا ميت ، وقيل لبعض المجان مالك لا تغزوا ، قال والله انى لابغض الموت على فراشى فكيف أمر اليه ركضاً ، قال وقال الحجاج لحميد الارقط وقد أنشده قصيدة يصف فيها الحرب ياحميد هل قاتلت قط ، قال لا أيها الامير الا فى النوم قال وكيف كانت وقعتك ، قال انتبهت وأنا منهزم ، ومما قيل فى ذلك من الشعر

ظلمتْ تُشجّعنى هندٌ بتضليلِ * والشجاعةِ خطبٌ غيرَ مجهُولِ
هاتى شُجاعاً لغيرِ القتل مَصْرَعُهُ * أوْجدْكِ ألفَ جبان غيرِ مقتول
الحرْبُ توسعُ مَنْ يَصْلى بهاحَرَباً ٥ يُتْمَ العيالِ و إثْكالَ المثاكيلِ
اسمُ الوغى أشْتقَّ من غوغاءَ يُحْرِبُها * يَغْدُون للموْتِ كالطيرِ الابابيل
واللهِ لوْ أنَّ جبريلاً تكفّلَ لى * بالنصر ماخاطرَتْ نفسى لجبريل
هلْ غيرَ أنْ يَعذِرُونى أنّى فَشِلٌ * فكلٌّ هذا نَعَمْ فاغرُوا بتَعزيلى
إنْ أعْتذِرْ منْ فِرارى فى الوغى أبداً * كانَ اعْتذارى رَدِيداغيرَ مقبولِ
إسْمَع أُخبِّرْكَ عنْ بأسى بذى سَلب * خِلافَ بأسِ المَساعيرِ البَهاليل

لمّا بدتْ منهمُ نحوى عَشوْزَنةٌ * شمّاءُ تشرعُ فى عرضى وفى طولى
فقلتُ ويحكُمُ لا ترْهبوا جلدى * رُمحى كسيرٌ وسيفى غيرُ مصقولِ
لمّا اتّقيتهمُ طوعاً بذاتِ يدٍ * وانصعتُ أطوى الفلا ميلاً إلى ميل
اللهُ خلّصنى منهمْ وفلسفتى * حتى تخلّصتُ مخضوبَ السّراويل

وقال آخر

أضحتْ تشجّعنى هندٌ فقلتُ لها * إنّ الشّجاعةَ مقرونٌ بها العطبُ
لا والذى حجّتِ الانصارُ كعبتَه * ما يشتهى الموتَ عندى من له أربُ
للحرْب قومٌ أضلّ اللهُ سعْيَهمْ * إذا دعتْهمْ إلى حومَاتها وثبوا
ولستُ منهمْ ولا أهوىٰ فعالَهمُ * لا القتلُ يعجبُنى منهم ولا السلبُ

وقال آخر

يقولُ لىَ الاميرُ بغيرِ جُرْمٍ * تقدّمْ حينَ حلّ بنا المِراسْ
فمالى إنْ أطعتُكَ فى حياةٍ * ولا لى غيرَ هذا الرّأسْ راسْ

— محاسن حب الوطن —

قال عمر بن الخطاب لولا حب الوطن لخرب بلد السوء ، وكان يقال بحب الاوطان عمرت البلدان ، وقال جالينوس يتروح العليل بنسيم أرضه كما تتروح الارض الجدبة ببلل المطر ، وقال بقراط تداوى كل عليل بعقاقير أرضه فان الطبيعة تنزع الى غذائها ، ومما يؤكد ذلك قول اعرابى وقد مرض بالحضر فقيل له ما تشتهى . فقال مخيضاً رو ياوضباً مشويا ، وقد قيل أحق البلدان بنزاعك اليها بلد أمصك حلب رضاعه ، وقيل احفظ أرضاً أرسخك رضاعها وأصلحك غذاؤها وارع حمى أكننك فناؤه ، وقيل لا تشك بلداً فيه قبائلك ، وقيل من علامة الرشد أن تكون النفس الى أوطانها مشتاقة والى مولدها توّاقة ، وحدثنا بعض بنى هاشم قال قلت لاعرابى من أين اقبلت قال من هذه البادية قلت واين تسكن منها قال مساقط الحمى حمى ضرّية ما إن لعمر الله أريد بها بدلا ولا أبتغى عنها حولا حفتها الفلوات فلا يعلو لح ماؤها ولا تحمى تربتها ليس فيها أذى ولا قذى ولا وعك ولا موم ونحن بأرفه عيش واوسع معيشة وأسبغ نعمة قلت مما طعامكم قال بخ بخ الهبيد والضباب واليرابيع مع القنافذ والحيات وربما والله أكلنا القد واشتوينا الجلد فلا نعلم أحداً أخصب منا عيشاً فالحمد لله على ما رزق من السعة وبسط من حسن الدعة ، وقيل

لاعرابى كيف تصنع بالبادية اذا انتصف النهار وانتعل كل شىء ظله فقال وهل العيش الا ذاك يمشى أحدنا ميلا فيرفض عرقا كانه الجمان ثم ينصب عصاه ويلقى عليها كساه وتقبل الرياح من كل جانب فكانه فى إيوان كسرى ، وقال بعض الحكماء عسرك فى بلدك خير من يسرك فى غربتك . وقيل لاعرابى ما الغبطة قال الكفاية ولزوم الاوطان والجلوس مع الاخوان ، وقيل فما الذل قال التنقل فى البلدان والتنحى عن الاوطان ، وقال بعض الادباء الغربة ذلة والذلة قلة ، وقال الآخر لا تنهضن عن وطنك ووكرك فتنقصك الغربة وتضيعك الوحدة ، وشبهت الحكماء الغريب باليتيم اللطيم الذى ثكل أبويه فلا أم ترأمه ولا أب يحدب عليه ، وكان يقال الغريب عن وطنه ومحل رضاعه كالغرس الذى زايل ارضه وفقد شربه فهو ذاو لا يثمر وذابل لا ينضر ، وكان يقال الجالى عن مسقط رأسه كالعير الناشز عن موضعه الذى هو لكل سبع فريسة ولكل كاب قنيصة ولكل رام رمية . وأحسن من ذلك وأصدق قول الله عز وجل (ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء) وقال تعالى (ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم) فقرن جل ذكره الجلاء عن الوطن بالقتل . وقال تقدست أسماؤه (وما لنا أن لا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) فجعل القتال بازاء الجلاء وقال النبى صلى الله عليه وسلم الخروج عن الوطن عقوبة . ومما قيل فى ذلك من الشعر

إذا ما ذكرْتُ الثّغرَ فاضتْ مدامعى * وأضحَى فؤادى نهبَةً للهَماهم
حنيناً إلى أرضٍ بها اخضرَّ شاربى * وحُلّتْ بها عنّى عُقودُ التمائم
وألطفُ قومٍ بالفتى أهلُ أرْضهِ * وأرْعاهمُ للمَرءِ حقَّ التقادُم

وقال آخر

أحنُّ إلى أرْضِ الحِجاز وحاجَتى * قيامٌ بنَجدٍ دونها الطرْفُ يَقصُرُ
وما نظرى منْ نحوِ نجْدٍ بنافِعى * أجَلْ لا ولكنى على ذاكَ أنظرُ
ففى كلّ يومٍ نَظرَةٌ ثمَّ عَبْرَةٌ * لعينيكَ يجرى ماؤُها يتَحدّرُ
مَتى يَسْتريحُ قلبٌ فإما مُحاذِرٌ * حزينٌ وإما نازحٌ يتذكّرُ

وقال آخر

نَقّلْ فؤادكَ حيثُ شئتَ منَ الهوىٰ * ما الحُبُّ إلاّ للحَبيبِ الاوّلِ
كَمْ منزلٍ فى الارض يألفهُ الفتى * وحَنينُهُ أبداً لاوّلِ منزلِ

وقال ابن ابى السرح قرات على حائط بيتى شعر وهما

إنّ الغريب ولوْ يكون ببلدةٍ * يُجبى إليه خراجُها لغريبْ
وأقلُّ ما يلقى الغريبُ منَ الاذى * أنْ يُستذلَّ وأنْ يُقالَ كذوب

قال وقرأت على حائط بعسكر مكرم

إنّ الغريبَ إذا يُنادي مُوجعاً * عندَ الشدائدِ كانَ غيرَ مُجاب
فاذا نظرتَ إلى الغريبِ فكنْ له * مُترحِماً لتباعُدِ الاحبابِ

وقال وقرأت على حائط ببغداد

غريبُ الدّارِ ليسَ لهُ صديقٌ * جميعُ سُؤاله أينَ الطريقْ
تعلّقَ بالسُّؤالِ لكلّ شئٍ * كما يتعلّقُ الرَّجلُ الغريقْ
لاتجزَعْ فكلُّ فتىً سيأتى * على حالاتهِ سَعةٌ وضيقُ

قال ووجدت على حائط باب مكتوبا

عليكَ سَلامُ اللهِ ياخيرَ مَنزلٍ * رَحلنا وخلفناكَ غيرَ ذميم
فإنْ تكُنِ الايّامُ فرّقنَ بيننا * فما أحدٌ منْ ريْبها بسليم

وقال آخر

وإنّ اغترابَ المرءِ منْ غير حاجةٍ * ولا فاقةٍ يسمو لها لعجيبْ
فحسبُ امرىءٍ ذُلاً ولو أدركَ الغنى * ونالَ ثراهُ أنْ يُقالُ غريبْ

وقال آخر

إنَّ الغريبَ وإنْ يكن فى غبطةٍ * لمُعذبٌ وفؤادُه محزُونُ
ومتى يكونُ معَ التغرُّبِ عاشِقاً * ومُفارقاً ياربِّ كيفَ يكونُ

وقال آخر

إنّ الغريبَ ذليلٌ أينَ ما سلكا * لوْ أنهُ ملكٌ كلَّ الورىٰ مَلكا
إذا تغنى حمامُ الايكِ فى غُصنٍ * حنَّ الغريبُ إلى أوطانه فبكى

وقال آخر

سَلِ اللهَ الإيابَ منَ المَغيبِ * فكم قدْ ردَّ مثلكَ منْ غريبِ
وسَلِّ الحزْنَ منك بحسن ظنٍّ * ولا تيأسْ من الفرج القريبِ

وقال آخر

تصبّرْ ولا تعجلْ وُقيتَ منَ الرّدىٰ * لعلَّ إيابَ الظاعنينَ قريبُ

فقلتُ وفى قلبى جوًى لفراقها * ألا لا تصبّرنى فلستُ اجيبُ

وقال آخر

أعاذلَ حُبى للغريب سَجيّةٌ * وكلُّ غريب للغريب حبيبُ
لئن قلتُ لمْ أجزعْ من البين إنْ مضَوا * لطيّتهمْ إنى إذاً لكذوبُ
بلى غَرّاتُ الشّوقِ أضرمتِ الحشا * ففاضتْ لها منْ مُقلتىّ غروبُ

وقال آخر

إذا اغترَبَ الكريم رأى أموراً * مُجالة يشيبُ لها الوَليدُ

وقال آخر

ما كنتُ أحسبُ أنْ يكو * نَ كَذَا تفرُّقنا سَريعا
بَخِلَ الزّمانُ علىّ أنْ * نبقَىٰ كما كُنا جَميعا
فأحلنى فى بَلدةٍ * وأحالكَ البلدَ الشّسيعا
قدْ كنتُ أنتظرُ الوِصا * لَ فصرْتُ أنتظرُ الرُّجوعا

وقال آخر

نسيمُ الخُزامَى والرّياحُ التى جرتْ * بنجْدٍ على نجْدٍ تذكّرُنى نجْدَا
أتانى نسيمُ السّدْرِ طيباً إلى الحِمى * فذكّرنى نجْدًا فقطعنى وجْدَا

وفى معناه (الدعاء للمسافر) بايمن طالع واشرطائر . ولا كبا بك مركب ولا اشمت بك مذهب ولا تعذر عليك مطلب سهل الله لك السير واناك القصد وطوى لك البعد بعسرة الظفر وكرامة المدخر على الطائر الميمون والكوكب السعد الى حيث تتقاصر أيدى الحوادث عنك وتتقاعس نوائب الايام دونك بسهولة المطلب ونجاح المنقلب كان الله لك فى سفرك خفيرا وفى حضرك ظهيرا بسعى نجيح واوب سريع بصرك الله محلك وهداك رحلك وسرباو بتك اهلك ولا زلت آمنا مقيما وظاعنا باسعد جدوانجح مطلب واسر منقلب واكرم بداة واحمد عاقبة اشخص مصحوبا بالسلامة والكلاءة آتيا بالنجح والغبطة محوطا فيما تطالعه بالعناية والشفقة فى ودائع الله وكنفه وجواره وستره وامانه وحفظه وذمامه وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم انى اريد سفراً فقال فى كنف الله وستره زودك الله التقوى ووجهك الى الخير حيثما كنت استخلف الله فيك واستخلفه منك وقال الشاعر

فى كنف الله وفى ستره * من ليس يخلوا القلبُ من ذكرِه

وقال آخر

إرْحلْ أبا بشرٍ بأيْمنِ طائرٍ * وعلى السّعادة وَالسَّلامةِ فانزلِ

— ضده —

قال بعض حكماء الفلاسفة اطلبوا الرزق فى البعد فانكم ان لم تكسبوا مالا غنمتم عقلا كثيرا، وقال آخر لا يألف الوطن الا ضيق العطن، وقيل لا توحشنك الغربة اذا آنستك النعمة ، وقيل الفقير فى الاهل مصروم والغنى فى الغربة موصول ، وقال لا تستوحش من الغربة اذا أنست مصروما، وقيل أوحش قومك ما كان فى ايحاشهم أنسك واهجر وطنك ما نبت عنه نفسك، وانشد

لا يمنعنّكَ خفضُ العيش فى دَعةٍ * نزُوعُ نفسٍ إلى أهلٍ وَأوْطانِ

تلقى بكلّ بلادٍ إنْ حللْت بها * أهْلاً بأهْلٍ وَجيرَاناً بجيرَانِ

وقال آخر

نبتْ بكَ الدّارُ فسِرْ آمناً * فللفتى حيث انتهى دارُ

وفى معناه (الدعاء على المسافر) بالبارح الاشأم والسانح الاعضب والصرد الانكد والسفر الابعد . لا استمرت به مطيته ولا استتبت به امنيته ولا تراخت منيته . بنحس مستمر وعيش مر . لا قرى اذا استضاف ولا أمن اذا خاف، ويقال ان عليا عليه السلام لما اتصل به مسير معاوية قال لا أرشد الله قائده ولا أسعد رائده ولا اصاب غيثا ولا سار الا ريثا ولا رافق الا ليثا . ابعده الله واسحقه واوقد على اثره واحرقه . لا حط الله رحله ولا كشف محله ولا بشر به اهله . لا زكى له مطلب ولا رحب له مذهب ولا يسر له مراما الا فرج الله له . غمه ولا سرى همه . لا سقاه الله ماء ولا حل عقده ولا اورى زنده . جعله الله سفر الفراق وعصى الشقاق ، وانشد

بأنكدِ طائرٍ وَبشرّ فالٍ * لأبعدِ غايةٍ وَأخسّ حالِ

بجَدّ السَّدِّ حيثُ يكونُ منى * كما بين الجنوبِ إلى الشّمال

غريباً تمتطى قدمَيْكَ دَهْراً * على خوْفٍ تحنُّ إلى العيال

وقال آخر

إذا استقلتْ بكَ الرّكابُ * فحيْثُ لا درَّتِ السَّحابُ

وحيْثُ لاتبتغى فـــلاحاً * وحيْثُ لا يُرْتجى إيابُ
وحيثْ ماذرْتَ فيــه يوْماً * قابَلكَ الذئبُ والغْــرابْ

وقال آخر.

فسرْ بالنُّحوسِ إلى بَلدَةٍ * تُعَمَّرُ فيها ولا تُرْزَقُ
ولا تَسرَعِ الارضُ منْ زهْرةٍ * ولا يَثمرُ الشجَرُ المُوقْ

وقال آخر

تغيضُ البِحارُ بها مرَّةً * ويكدى السحاب بها المغدق

وقال آخر

أدنى خطاك الهنـد والصـين * وكلُّ نحْسٍ بك مقْرون
بحيْثُ لا يأنَسُ مُستَوْحِشٌ * وحيْثُ لايفـرَحُ محزونْ
تهْوىْ بك الارضْ إلى بلدةٍ * ليْسَ بها ماءٌ ولا طـين

— محاسن الدهاء والحيل —

الهيثم بن الحسن بن عمار قال، قدم شيخ من خزاعـة أيام المختار فنزل على عبد الرحمن بن أبان الخزاعى فلما رأى ما تصنع سوقة المختار من الاعظام جعل يقول: ياعباد الله اباالمختار يصـنع هـذا والله لقد رأيته يتتبع الاماء بالحجاز فبلغ ذلك المختار فدعا به وقال، ماهـذا الذى بلغنى عنك. قال، الباطل، فأمر بضرب عُنقه، فقال، لا والله لا تقـدر على ذلك. قال، ولم. قال. امادون ان أنظر اليك وقد هدمت مدينـة دمشق حجرا حجرا وقتلت المقاتلة وسبيت الذرية ثم تصلبنى على شجرة على نهر والله انى لاعرف الشـجرة الساعـة وأعرف شاطئ ذلك النهر فالتفت المختار الى أصحابه فقال لهم: ان الرجل قد عرف الشجرة فحبس حتى اذا كان الليل بعث اليـه فقال، ياأخا خزاعة أو مزاح عند القتل. قال، أنشدك الله ان أقتل ضياعا. قال، وما تطلب ههنا. قال، أربعـة آلاف درهم اقضى بها دينى. قال، ادفعوها اليـه واياك ان تصبح بالكوفة فقبضها وخرج عنه، قال كان سراقة البارقى من ظرفاء أهل الكوفة فأسره رجـل من أصحاب المختار فأتى به المختار فقال له أسرك هذا قال سراقة كذب والله ما أسرنى الا رجل عليـه ثياب بيض على فرس أبلق فقال المختار الا ان الرجل قد عاين الملائكة خلوا سبيله فلما أفلت منه أنشأ يقول

ألا أبلغْ أبا إسحاقَ أنى * رأيتُ البُلْقَ دُهْماً مُصمتاتِ
أرى عَيْنيَّ مالمْ ترأياهُ * كِلانا عالِمٌ بالتُّرَّهاتِ
كفرتُ بوَحيِكمْ وجعلتُ نذراً * علىَّ قِتالَكمْ حتى المماتِ

وعنه قال ، كان الاحوص بن جعفر المخزومى يتغدى فى دير اللج فى يوم شديد البرد ومعه حمزة بن بيض وسراقة البارقى فلما كان على ظهر الكوفة وعليهما الوبر والخز عليهما الاطمار قال حمزة لسراقة أين يذهب بنا فى البرد ونحن فى أطمار قال سأكفيكه فبيناهو يسير إذدنا منهم راكب مقبل فحرك سراقة دابته نحوه وواقفه ساعة ولحق بالاحوص فقال له ما خبّرك الراكب قال زعم ان خوارج خرجت بالقطقطانة قال بعيد . قال ان الخوارج تسير فى ليلة ثلاثين فرسخا وأكثر وكان الاحوص أحد الجبناء فثنى رأس دابته وقال ردوا طعامنا نتغدى فى المنزل فلما حاذى منزله قال لاصحابه ادخلوا ومضى الى خالد بن عبد الله القسرى فقال خرجت خارجة بالقطقطانة فنادى خالد فى العسكر فجمعهم ووجه خيلا تركض نحو اللج لتعرف الخبر فاعلموه انه لا أصل للخبر فقال للاحوص من أعلمك : هذا قال سراقة قال وأين هو قال فى منزلى فأرسل اليه من أتاه به قال أنت أخبرته عن الخارجة قال ما فعلت أصلح الله الامير قال له للاحوص أتكذبنى بين يدى الامير قال خالد ويحك أصدقنى قال نعم أخرجنا فى هذا البرد وقد ظاهر الخز والوبر ونحن فى أطمارنا هذه فأحببت أن أرده فقال له خالد ويحك وهذا مما يتلاعب به وسراقة هذا هو القائل

قالوا سُراقةُ عِنِّينٌ فقلتُ لهمْ * اللهُ يعلمُ أنى غيرُ عِنِّينِ
فإنْ ظننتمْ بىَ الشيءُ الذى زعموا * فقرِّبونىَ منْ بنتِ ابن ياسين

وذكروا أن شبيب بن يزيد الخارجى مر بغلام مستنقع فى الفرات فقال له ياغلام اخرج انى أسألك فعرفه الغلام فقال له انى أخاف أفآمن أنا اذا خرجت حتى البس ثيابى قال نعم فخرج وقال والله لا ألبسها اليوم فضحك شبيب وقال خدعتنى ورب الكعبة ووكل به رجلا من أصحابه يحفظه أن لا يصيبه أحد بمكروه قال وكان رجل من الخوارج يقول

فمنّا يزيدُ والبطينُ وقعنبٌ * ومنّا أميرُ المؤمنينَ شَبيبُ

فسار البيت حتى سمعه عبد الملك بن مروان فأمر بطلب قائله فأتى به فلما وقف بين يديه قال أنت القائل (ومنا أمير المؤمنين شبيب)

قال لم أقل هكذا ياأمير المؤمنين انما قلت * ومنا أميرَ المؤمنين شبيب *

فضحك عبد الملك وأمر بتخلية سبيله فتخلص بدهائه وفطنته لازالة الاعراب من الرفع

الى النصب وزعموا أن عمر و بن معدى كرب هجم فى بعض غاراته على شابة جميلة منفردة وأخذها فلما أمعن بها بكت فقال ما يبكيك قالت أبكى لفراقى بنات عمى هن مثلى فى الجمال وأفضل منى خرجت معهن فانقطعنا عن الحى قال وأين هن قالت خلف ذلك الجبل ووددت اذ أخذتنى انك أخذتهن معى فامض الى الموضع الذى وصفته فمضى الى هنالك فما شعر بشئ حتى هجم على فارس شاك فى السلاح فعرض عليه المصارعة فصرعه الفارس ثم عرض عليه ضروبا من المناوشة فغلبه الفارس فى كلها فسأله عمرو عن اسمه فاذا هو ربيعة بن مكدم الكنانى فاستنقذ الجارية وعن عطاء ان مخارق بن عفان ومعن بن زائدة تلقيا رجلا ببلاد الشرك ومعه جارية لم يريا أحسن منها شبابا وجمالا فصاحا به خل عنها ومعه قوس فرمى بها وهابا الاقدام عليه ثم عاد ليرمى فانقطع وتره وسلم الجارية وأسند فى جبل كان قريبا منه فابتدراه وأخذا الجارية وكان فى أذنها قرط فيه درة فانتزعاه من أذنها فقالت وما قدر هذه لو رأيتما درتين معه فى قلنسوته وفى القلنسوة وتر قد أعده ونسيه من الدهش فلما سمع قول المرأة ذكر الوتر فاخذه وعقده فى قوسه فوليا ليست لهما همة الا النجاء وخليا عن الجارية وعن الهيثم قال كان الحجاج حسودا لا يتم له صنيعة حتى يفسدها فوجه عمارة بن تميم اللخمى الى عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فظفر به وصنع ما صنع ورجع الى الحجاج بالفتح ولم ير منه ما احب وكره منافرته وكان عاقلا رفيقا فجعل يرفق به ويقول أيها الامير أشرف العرب أنت من شرفته شرف ومن وضعته اتضع وما ينكر ذلك لك مع رفقك ويمنك ومشورتك ورأيك وما كان هذا كله الا بصنع الله وتدبيرك وليس أحد أشكر لبلائك منى ومن ابن أشعث وما خطره حتى عزم الحجاج على المسير الى عبد الملك فاخرج عمارة معه وعمارة يومئذ على أهل فلسطين أمير فلم يزل يلطف بالحجاج فى مسيره ويعظمه حتى قدموا على عبد الملك فلما قامت الخطباء بين يديه واثنت على الحجاج قام عمارة فقال ياامير المؤمنين سل الحجاج عن طاعتى ومناصحتى وبلائى قال الحجاج ياامير المؤمنين صنع وصنع ومن باسه ونجدته وعفافه كذا وكذا وهو ايمن الناس نقيبة وأعلمهم بتدبير وسياسة ولم يبق فى الثناء عليه غاية فقال عمارة قد رضيت يأأمير المؤمنين قال نعم فرضى الله عنك حتى قالها ثلاثا فى كلها يقول قد رضيت قال عمارة فلا رضى الله عن الحجاج ياامير المؤمنين ولا حفظه ولا عافاه فهو والله السيئ التدبير الذى قد أفسد عليك أهل العراق والب الناس عليك وما اتيت الا من قبله ومن قلة عقله وضعف رأيه وقلة بصره بالسياسة فلك والله أمثالها ان لم تعزله فقال الحجاج مه ياعمارة فقال لا مه ولا كرامة كل امرأة له طالق وكل مملوك له حر ان سار تحت راية الحجاج ابدا قال انى أعلم انه ما خرج هذا منك الا عن معتبة ولك عندى العتبى وأرسل اليه ارجع اليه فقال ما كنت أظن أن عقلك على هذا أرجع اليه بعد الذى كان من طعنى عليه وقولى عند أمير المؤمنين ما قلت فيه لا ولا كرامة

— ضده —

قيل فى المثل هو أحمق من عجل وهو عجل بن لجيم وذلك انه قيل له ما سميت فرسك ففقأ عينه وقال سميته الاعور فقال الشاعر فيه

رَمتْني بنو عِجْلٍ بداءِ أبيهمْ * وأيُّ امرىءٍ فى الناسِ أحمقُ من عِجْلِ
أليسَ أبوهمْ عارَ عينَ جَوادِهِ * فصارتْ به الامثالُ تُضْرَبُ فى الجهل

وقيل هو أحمق من هبنقة وبلغ من حمقه انه ضل له بعير فجعل ينادى من وجد بعيرى فهو له فقيل له ولمَ تنشده قال واين حلاوة الظفر والوجدان، واختصمت اليه الطفاوة وبنو راسب فى رجل ادعى هؤلاء وهؤلاء فيه فقالوا قد رضينا بحكم أول طالع يطلع علينا فطلع عليهم هبنقة فلما رأوه قالوا انظروا بالله من طلع علينا فلما دنا قصوا عليه القصة فقال هبنقة الحكم فى هذا بين اذهبوا به الى نهر البصرة فالقوه فيه فان كان راسبيا رسب وان كان طفاوياً طفى فقال الرجل لا أريد ان أكون من احد هذين الحيين ولا حاجة لى فى الديوان: وقيل هو احمق من دغة وهى مارية بنت مغنج تزوجت فى بنى العنبر وهى صغيرة فلما ضربها المخاض ظنت انها تريد الخلاء فخرجت تتبرز فصاح الولد فجاءت منصرفة فصاحت يا اماه هل يفتح الجعر فاه قالت نعم ويدعوا أباه فسبت بنو العنبر بذلك فقيل بنو الجعراء وقيل هو احمق من باقل وكان اشترى عنزا باحد عشر درهما فسئل بكم اشتريت العنز ففتح كفيه وفرق اصابعه واخرج لسانه يريد احد عشر درهما فعيروه بذلك قال الشاعر

يَلومون فى حُمْقِهِ باقلاً * كأنَّ الحَماقةَ لم تُخلَقِ
فلا تكثِرُوا العذْلَ فى عيِّهِ * فللصَّمْتُ أجملُ بالاموقِ
خُروجُ اللسانِ وفتحِ البنانِ * أحبُّ الينا مِنَ المنطقِ

ومما قيل فيه ايضا من الشعر

ياثابتَ العقْلِ كم عاينتَ ذا حُمْقٍ * الرِّزقُ أغرى به مِن لازمِ الجرَبِ
فإنّني واجدٌ فى الناسِ واحدةً * الرِّزقُ أروَغُ شىءٍ عن ذوى الأدبِ
وخَصلةً ليس فيها من يُخالفُنى * الرِّزقُ والنَّوْكُ مقرُونانِ فى سببِ

وقال آخر

أرَى زَمناً نَوْكاهُ أسعدُ خَلْقِهِ * على أنهُ يَشقى به كلُّ عاقلِ
عَلا فوْقَهُ رجلاهُ والرَّأسُ تحتهُ * فكبَّ الاعالى بارتفاعِ الأسافلِ

وقال آخر

كمْ مِنْ قويٍ قويّ فى تقلبهِ * مهذّبِ اللّبّ عنه الرّزقَ منحرِفْ
ومن ضعيفٍ ضعيفِ العقلِ مختلطٍ * كأنهُ منْ خليجِ البحرِ يغترِفْ

﴿ محاسن المفاخرة ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر . وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً ينشد بيتاً من شعر

إنى امرؤٌ حِمْيَرِيٌّ حين تنسبنى * لا مِنْ رَبيعةَ آبائى ولا مُضَرِ

فقال له ذلك ألأمُ لك وأبعد عن الله ورسوله . وقال بعضهم

إذا مُضَرُ الحمراءُ كانت أرومتى * وقام بنصرى خازمٌ وابنُ خازمِ
عطستُ بأنفٍ شامخٍ وتناولتْ * يداىَ الثريّا قاعداً غيرَ قائمِ

شعيب بن ابراهيم عن علىّ بن زيد عن عبد الله بن الحارث عن عبد المطلب بن ربيعة قال مرّ العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه بنفر من قريش وهم يقولون انما محمد فى أهله مثل نخلة نبتت فى كناسة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد منه فخرج حتى قام فيهم خطيباً ثم قال أيها الناس من أنا . قالوا أنت رسول الله . قال أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ان الله عز وجل خلق خلقه فجعلنى من خير خلقه ثم جعل الخلق الذى أنا منهم فريقين فجعلنى من خير الفريقين من خلقه ثم جعل الخلق الذى أنا منهم شعوباً فجعلنى فى خيرهم شعباً ثم جعلهم بيوتا فجعلنى من خيرهم بيتاً فانا خيركم بيتا وخيركم والدا وانى مباه لكم قم ياعباس فقام عن يمينه ثم قال قم ياسعد فقام عن يساره فقال يقرب امرؤ منكم عما مثل هذا وخالا مثل هذا ، وحدثنا سنان ابن الحسن التسترى عن اسماعيل بن مهران العسكرىّ عن أبان بن عثمان عن عكرمة عن ابن عباس رحمهما الله تعالى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرض نفسه على القبائل خرج وأنا معه وأبو بكر وكان عالما بانساب العرب فوقفنا على مجلس من مجالس العرب عليهم الوقار والسكينة فتقدم أبو بكر فسلم عليهم فردوا عليه السلام فقال ممن القوم فقالوا من ربيعة ، قال من هامتها أم لهازمها . قالوا بل من هامتها العظمى ، قال وأى هامتها قالوا ذهل ، قال ذهل الاكبر أم ذهل الاصغر قالوا بل الاكبر ، قال فمنكم عوف الذى كان يقال لا حرّ بوادى عوف قالوا لا ، قال أفمنكم بسطام بن قيس صاحب اللواء ومنتهى الاحياء قالوا لا قال أفمنكم جساس بن مرة حامى الذمار ومانع الجار . قالوا لا قال أفمنكم المزدلف صاحب العمامة قالوا لا ، قال أفأنتم أخوال الملوك من كندة قالوا لا قال أفأنتم أصهار الملوك من لخم قالوا

لا قال فلستم من ذهل الاكبر اذاً أنتم من ذهل الاصغر . فقام اليه اعرابى غلام حين بقل وجهه فاخذ بزمام ناقته ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على ناقته يسمع مخاطبته، فقال

لنا على سائلنا أن نسألَهْ * والعبءُ لا تعرفُهُ أو تحملَهْ

ياهذا إنك قد سألتنا أى مسألة شئت فلم نكتمك شيئاً فاخبرنا ممن أنت ، فقال أبو بكر من قريش . فقال بخ بخ أهل الشرف والرئاسة فاخبرنى من أى قريش أنت . قال من بنى تيم بن مرة ، قال أفمنكم قصى بن كلاب الذى جمع القبائل من فهر فكان يقال له مجمع قال ابو بكر لا قال أفمنكم هاشم الذى يقول فيه الشاعر

عمرو العلى هشمَ الثريدَ لقومهِ * ورجالُ مكةَ مسنتون عجاف

قال أبو بكر لا ، قال أفمنكم شيبة الحمد الذى كان وجهه يضىء فى الليلة الداجية مطعم الطير قال لا ، قال أفمنكم المفيضين بالناس أنت، قال لا قال أفمن أهل الرفادة أنت قال لا قال أفمن أهل السقاية أنت، قال لا، قال أفمن أهل الحجابة أنت . قال لا ، قال أما والله لو شئت لأخبرتك لست من أشراف قريش . فاجتذب أبو بكر زمام ناقته منه كهيئة المغضب ، فقال الاعرابى

صادفَ دَرَّ السيلِ دَرٌّ يدفعهُ * فى هضبةٍ ترفعُهُ وتضعهْ

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال، على كرم الله وجهه فقلت يا أبا بكر لقد وقعت من هذا الاعرابى على باقعة ، قال أجل يا أبا حسن مامن طامة الا وفوقها طامة وان البلاء موكل بالمنطق ، قال واتى الحسن بن على رضى الله عنهما معاوية بن أبى سفيان وقد سبقه ابن عباس رحمه الله فامر معاوية بانزاله فبينما معاوية مع عمرو بن العاص ومروان بن الحكم وزياد المدعى الى أبى سفيان يتحاورون فى قديمهم ومجدهم اذ قال معاوية قد أكثرتم الفخر ولو حضركم الحسن ابن على وعبد الله بن عباس لقصروا من أعنتكم ، فقال زياد وكيف ذاك يا أمير المؤمنين وما يقومان لمروان بن الحكم فى عزب منطقه ولا لنا فى بواذخنا فابعث اليهما حتى نسمع كلامهما فقال معاوية لعمرو ماتقول فى هذا الليل فابعث اليهما فى غد فبعث معاوية بابنه يزيد اليهما فاتيا فدخلا عليه وبدأ معاوية فقال انى أجلكما وأرفع قدركما عن المسامرة بالليل ولا سيما أنت يا أبا محمد فانك ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد شباب أهل الجنة فشكرا له فلما استويا فى مجلسهما علم عمرو أن الحدة ستقع به فقال والله لا بد أن أتكلم فان قهرت فسبيل ذلك وان قُهرت أكون قد ابتدأت فقال ياحسن إنا قد تفاوضنا فقلنا ان رجال بنى أمية أصبر على اللقاء وأمضى فى الوغاء وأوفى عهداً وأكرم خيما وأمنع لما وراء ظهورهم من بنى عبد المطلب ، ثم تكلم مروان ابن الحكم فقال كيف لا يكون ذلك وقد قارعناهم فغلبناهم وحاربناهم فملكناهم فان شئنا عفونا

وان شئنا بطشنا ، ثم تكلم زياد فقال ماينبغي لهم أن ينكروا الفضل لاهله ويجحدوا الخير في مظانه نحن الحملة في الحروب ولنا الفضل على سائر الناس قديماً وحديثاً ، فتكلم الحسن ابن علي رضي الله عنه فقال ليس من الحزم أن يصمت الرجل عند إيراد الحجة ولكن من الإفك ان ينطق الرجل بالخنا ويصور الكذب في صورة الحق ياعمرو أفتخاراً بالكذب وجراءة على الافك مازلت أعرف مثالبك الخبيثة أبديها مرة بعد مرة أذكر مصابيح الدجى وأعلام الهدى وفرسان الطراد وحتوف الاقران وابناء الطعان وربيع الضيفان ومعدن العلم ومهبط النبوة وزعمتم أنكم أحمى لما وراء ظهوركم وقد تبين ذلك يوم بدر حين نكصت الابطال وتساورت الاقران واقتحمت الليوث واعتركت المنية وقامت رحاها على قطبها وفرّت على نابها وطار شرار الحرب فقتلنا رجالكم ومنّ النبي صلى الله عليه وسلم على ذراريكم وكنتم لعمري في هذا اليوم غير مانعين لما وراء ظهوركم من بني عبد المطلب ثم قال وأما أنت يامروان فما أنت والإكثار في قريش وأنت ابن طليق وأبوك طريد تنتقلب في خزاية الى سوءة وقد أوتي بك الى أمير المؤمنين يوم الجمل فلما رأيت الضرغام قد دميت براثنه واشتبكت أنيابه كنت كما قال الاول

بصبصن ثم رمين بالابعار

فلما منّ عليك بالعفو وأرخى خناقك بعدما ضاق عليك وغصصت بريقك لاتقعد منا مقعد أهل الشكر ولكن تساوينا وتجارينا ونحن من لايدركنا عار ولا يلحقنا خزاية ثم التفت الى زياد وقال وما أنت يازياد وقريش ما أعرف لك فيها أديماً صحيحاً ولا فرعاً نابتاً ولا قديماً ثابتاً ولا منبتاً كريماً كانت أمك بغياً يتداولها رجالات قريش وفجار العرب فلما ولدت لم تعرف لك العرب والداً فادعاك هذا - يعني معاوية - فمالك والافتخار تكفيك سمية ويكفينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي سيد المؤمنين الذي لم يرتد على عقبيه وعماي حمزة سيد الشهداء وجعفر الطيار في الجنة وأنا وأخي سيد أشباب أهل الجنة ، ثم التفت الى ابن عباس فقال انما هي بغاث الطير انقض عليها البازي فاراد ابن عباس أن يتكلم فاقسم عليه معاوية أن يكف فكف ثم خرجا فقال معاوية أجاد عمرو الكلام أوّلا لولا أن حجته دحضت وقد تكلم مروان لولا أنه نكص ثم التفت الى زياد فقال مادعاك الى محاورته ما كنت الا كالحجل في كف العقاب . فقال عمرو أفلا رميت من ورائنا قال معاوية اذاً كنت شريككم في الجهل أفأفاخر رجلا رسول الله صلى الله عليه وسلم جده وهو سيد من مضى ومن بقي وأمه فاطمة سيدة نساء العالمين ثم قال لهم والله لئن سمع أهل الشام ذلك انه للسوأة السوآء فقال عمرو لقد أبقى عليك ولكنه طحن مروان وزياداً طحن الرحا بثفالها ووطئهما وطء البازل القراد بمنسمه . فقال زياد والله لقد فعل ولكنك يامعاوية تريد الاغراء بيننا وبينهم لاجرم والله لاشهدت مجلسا يكونان فيه الا كنت معهما

على من فاخرهما فخلا ابن عباس بالحسن رضى الله عنه فقبّل بين عينيه وقال افديك يا ابن عمى والله مازال بحرك يزخر وأنت تصول حتى شفيتنى من أولاد البغايا ثم ان الحسن رضى الله عنه غاب أياما ثم رجع حتى دخل على معاوية وعنده عبد الله بن الزبير فقال معاوية يا أبا محمد انى أظنك تعبا نصبا فأت المنزل فأرح نفسك فقام الحسن رضى الله عنه فخرج فقال معاوية لعبد الله بن الزبير لوافتخرت على الحسن فانت ابن حوارىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته ولابيك فى الاسلام نصيب وافر ، فقال ابن الزبير أنا له ثم جعل ليلته يطلب الحجج فلما أصبح دخل على معاوية وجاء الحسن رضى الله عنه فحياه معاوية وسأله عن مبيته فقال خير مبيت وأكرم مستفاض فلما استوى فى مجلسه قال له ابن الزبير لولا انك خوار فى الحروب غير مقدام ما سلمت لمعاوية الامر وكنت لا تحتاج الى اختراق السهوب وقطع المراحل والمفاوز تطلب معروفه وتقوم ببابه وكنت حريا أن لا تفعل ذلك وأنت ابن علىّ فى بأسه ونجدته فما أدرى ما الذى حملك على ذلك أضعف حال أم وهى نحيزة ما أظن لك مخرجا من هذين الحالين أما والله لو استجمع لى ما استجمع لك لعلمت أنى ابن الزبير وانى لا أنكص عن الابطال وكيف لا أكون كذلك وجدتى صفية بنت عبد المطلب وأبى الزبير حوارىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشد الناس بأسا وأكرمهم حسبا فى الجاهلية وأطوعهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فالتفت الحسن اليه وقال أما والله لولا أن بنى أمية تنسبنى الى العجز عن المقال لكففت عنك تهاونا بك ولكن سأبين ذلك لتعلم انى لست بالكليل أاياى تعير وعلىّ تفتخر ولم تك لجدك فى الجاهلية مكرمة الا تزوّجه عمتى صفية بنت عبد المطلب فبذخ بها على جميع العرب وشرف بمكانها فكيف تفاخر من فى القلادة واسطتها وفى الاشراف سادتها نحن أكرم أهل الارض زندا لنا الشرف الثاقب والكرم الغالب ثم تزعم أنى سلمت الامر لمعاوية فكيف يكون ويحك كذلك وأنا ابن أشجع العرب ولدتنى فاطمة سيدة النساء وخيرة الامهات لم افعل ويحك ذلك جبنا ولا فرقا ولكنه بايعنى مثلك وهو يطلب بترة ويداجينى المودة فلم أثق بنصرته لانكم بيت غدر وأهل احن وتر فكيف لا تكون كما أقول وقد بايع أمير المؤمنين ابوك ثم نكث بيعته ونكص على عقبيه واختدع حشية من حشايا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضل بها الناس فلما دلف نحو الاعنة ورأى بريق الاسنة قتل بمضيعة لا ناصر له وأتى بك أسيرا وقد وطئتك الكماة باظلافها والخيل بسنابكها واعتلاك الاشتر فغصصت بريقك واقعيت على عقبيك كالكلب اذا احتوشته الليوث فنحن ويحك نور البلاد واملاكها وبنا تفتخر الأمة والينا تلقى مقاليد الامور وأنت تختدع النساء ثم تفتخر على بني الانبياء لم تزل الأقاويل منا مقبولة وعليك وعلى أبيك مردودة دخل الناس فى دين جدى طائعين وكارهين ثم بايعوا أمير المؤمنين صلوات الله عليه فسار الى أبيك

وطلحة حين نكثا البيعة وخدعا عرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلا عند نكثهما بيعته وأتى بك أسيراً تبصبص بذنبك فناشدته الرحم الا يقتلك فعفى عنك فأنت عتاقة أبى وأنا سيدك وأبى سيد أبيك فذق وبال أمرك فقال ابن الزبير اعذرنا يا أبا محمد فانما حملني على محاورتك هذا واشتهى الاغراء بيننا فهلا إذ جهلت أمسكت عنى فانكم أهل بيت سجيتكم الحلم ، قال الحسن يامعاوية انظر أأكع عن محاورة أحد ويحك أتدرى من أى شجرة أنا والى من أنتمى انته قبل أن اسمك بسمة يتحدث بها الركبان فى آفاق البلدان ، قال ابن الزبير هو لذلك أهل فقال معاوية أما انه قد شفا بلابل صدرى منك ورمى مقتلك فبقيت فى يده كالحجل فى كف البازى يتلاعب بك كيف شاء فلا أراك تفتخر على أحد بعد هذا ، وذكروا أن الحسن بن على صلوات الله عليهما دخل على معاوية فقال فى كلام جرى من معاوية فى ذلك

فيما الكلامُ وقدْ سَبقْتُ مُبرِّزاً * سَبْقَ الجوادِ منَ المَدى والمقْوَسِ

فقال معاوية ، إياى تعنى والله لآتينك بما يعرفه قلبك ولا ينكره جلساؤك انا ابن بطحاء مكة أنا ابن أجودها جوداً وأكرمها أبوة وجدوداً وأوفاها عهوداً أنا ابن من ساد قريشاً ناشئاً ، فقال الحسن ، أجل اياك أعنى افعلىّ تفتخر يامعاوية وأنا ابن ماء السماء وعروق الثرى وابن من ساد أهل الدنيا بالحسب الثاقب والشرف الفائق والقديم السابق وابن من رضاه رضى الرحمن وسخطه سخط الرحمن فهل لك أب كأبى أو قديم كقديمى فان تقل لا تغلب وان تقل نعم تكذب فقال ، أقول لا تصديقاً لقولك ، فقال الحسن رضى الله عنه

ألحقُّ أبلَجُ لا تَزيغُ سَبيلُهْ * والحقُّ يعرفُهْ ذوو الالبابِ

قال ، وقال معاوية ذات يوم وعنده أشراف الناس من قريش وغيرهم أخبرونى باكرم الناس أباً واماً وعماً وعمة وخالا وخالة وجداً وجدة ، فقام مالك بن عجلان وأومى الى الحسن بن علىّ صلوات الله عليه فقال ، هو ذا أبوه علىّ بن أبى طالب وأمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمه جعفر الطيار وعمته أم هانئ بنت أبى طالب وخاله القاسم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالته زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجده رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدته خديجة بنت خويلد ، فسكت القوم ونهض الحسن فأقبل عمرو بن العاص على مالك فقال . أحب بنى هاشم حملك على أن تكلمت بالباطل ، فقال ابن عجلان ماقلت الا حقاً . وما أحد من الناس يطلب مرضاة مخلوق بمعصية الخالق الا لم يعط أمنيته فى دنياه وختم له بالشقاء فى آخرته بنو هاشم أنضركم عوداً وأوراكم زنداً أكذلك هو يامعاوية ، قال اللهم نعم ، قال واستأذن الحسن بن علىّ رضى الله عنه على معاوية وعنده عبد الله بن جعفر وعمرو بن العاص فأذن له فلما أقبل قال عمرو قد جاء كم الفهه العيى الذى كأن بين لحييه عقلة ، فقال عبد الله بن

جعفر مه والله لقد رمت صخرة ململمة تنحط عنها السيول وتقصر دونها الوعول لا تبلغها السهام . فاياك والحسن اياك فانك لا تزال راتعاً فى لحم رجل من قريش ولقد رميت فما برح سهمك وقدحت فما أورى زندك فسمع الحسن الكلام فلما أخذ مجلسه قال يامعاوية لا يزال عندك عبد يرتع فى لحوم الناس أما والله لئن شئت ليكونن بيننا ما تتفاقم فيه الامور وتحرج منه الصدور ثم أنشأ يقول

أتأمرُ يامعاويَ عبدَ سَهمٍ * بشتمى والملاَ منا شهودُ
إذا أخذتْ مجالسها قريشٌ * فقدْ علمتْ قريشٌ ما تُريدُ
أأنتَ تظلُّ تشتمنى سفاهاً * لضغنٍ ما يزولُ ولا يبيدُ
فهلْ لكَ منْ أبٍ كأبى تُسامى * به مَنْ قدْ تُسامى أوْ تكيدْ
ولا جدٌّ كجَدّى ياابنَ حَرْبٍ * رسول الله إنْ ذُكرَ الجدود
ولا أمٌّ كأمّى منْ قريشٍ * إذا ماحُصّلَ الحسبُ التّليدُ
فما مثلى تهكّمَ ياابنَ حرْبٍ * ولا مثلى يُنَهنِهُهُ الوعيدْ
فمهلا لا تهجْ منّا أموراً * يَشيبُ لهولها الطفلُ الوليدْ

وذكروا أن عمرو بن العاص قال لمعاوية ابعث الى الحسن بن علىّ فأمره أن يخطب على المنبر فلعله يحصر فيكون فى ذلك ما نعيره به فبعث اليه معاوية فأمره ان يخطب فصعد المنبر وقد اجتمع الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال . أيها الناس من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فانا الحسن بن على بن أبى طالب ابن عم النبى أنا ابن البشير النذير السراج المنير أنا ابن من بعثه الله رحمة للعالمين أنا ابن من بعث الى الجن والانس أنا ابن مستجاب الدعوة أنا ابن الشفيع المطاع أنا ابن أول من ينفض رأسه من التراب أنا ابن أول من يقرع باب الجنة أنا ابن من قاتلت معه الملائكة ونصر بالرعب من مسيرة شهر وامعن فى هذا الباب ولم يزل حتى اظلمت الارض على معاوية فقال ياحسن قد كنت ترجو أن تكون خليفة ولست هناك ، قال الحسن انما الخليفة من سار بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل بطاعته وليس الخليفة من دان بالجور وعطل السنن واتخذ الدنيا أباً وأماً ولكن ذلك ملك اصاب ملكا يتمتع به قليلا ويعذب بعده طويلا وكان قد انقطع عنه واستعجل لذته وبقيت عليه التبعة فكان كما قال الله تعالى (وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين) ثم انصرف . فقال معاوية لعمرو . ما أردت الا هتكى ما كان أهل الشام يرون أحداً مثلى حتى سمعوا من الحسن ما سمعوا قال وقدم الحسن بن على رضى الله عنه على معاوية فلما دخل عليه وجد عنده عمرو بن العاص ومروان بن الحكم والمغيرة بن شعبة

وصناديد قومه ووجوه أهل بيته ووجوه أهل اليمن وأهل الشام فلما نظر اليه معاوية أقعده على سريره وأقبل عليه بوجهه يريه السرور به وبقدومه فحسده مروان وقد كان معاوية قال لهم لا تحاوروا هذين الرجلين فقد قلدا كم العار عند أهل الشام — يعني الحسن بن علي رضي الله عنه وعبد الله بن عباس — فقال مروان يا حسن لولا حلم أمير المؤمنين وما قد بناه له آباؤه الكرام من المجد والعلا ما اقعدك هذا المقعد ولقتلك وانت لهذا مستحق بقودك الجماهير الينا فلما قاومتنا وعلمت الا طاقة لك بفرسان اهل الشام وصناديد بني أمية أذعنت بالطاعة واحتجزت بالبيعة وبعثت تطلب الامان اما والله لولا ذلك لاراق دمك ولعلمت انا نعطي السيوف حقها عند الوغى فاحمد الله اذ ابتلاك بمعاوية وعفى عنك بحلمه ثم صنع بك ما ترى فنظر اليه الحسن وقال ويلك يا مروان لقد تقلدت مقاليد العار في الحروب عند مشاهدتها والمخاذلة عند مخالطتها هبلتك امك لنا الحجج البوالغ ولنا عليكم ان شكرتم النعم السوابغ ندعوكم الى النجاة وتدعوننا الى النار فشتان ما بين المنزلتين تفتخر ببني أمية وتزعم انهم صبر في الحرب اسد عند اللقاء ثكلتك الثواكل اولائك البهاليل السادة والحماة الذادة والكرام القادة بنو عبد المطلب اما والله لقد رايتهم انت وجميع من في المجلس ما هالتهم الاهوال ولا حادوا عن الابطال كالليوث الضارية الباسلة الحنقة فعندها وليت هاربا واخذت اسيراً فقلدت قومك العار لانك في الحروب خوار اتهريق دمي فهلا اهرقت دم من وثب على عثمان في الدار فذبحه كما يذبح الجمل وانت تثغو ثغاء النعجة وتنادي بالويل والثبور كالمراة الوكعاء ما دفعت عنه بسهم ولا منعت دونه بحرب قد ارتعدت فرائصك وغشي بصرك واستغثت كما يستغيث العبد بربه فانجيتك من القتل ثم جعلت تبحث عن دمي وتحض على قتلي ولو رام ذلك معاوية معك لذبح ابن عفان وانت معه أقصر يداً واضيق باعا واجبن قلباً من ان تجسر على ذلك ثم تزعم اني ابتليت بحلم معاوية اما والله لهو أعرف بشانه واشكر لنا إذ وليناه هذا الامر فمتى بداله فلا يغضين جفنه على القذى معك فوالله لاعنفن اهل الشام بجيش يضيق فضاؤه ويستأصل فرسانه ثم لا ينفعك عند ذلك الروغان والهرب ولا تنتفع بتدريجك الكلام فنحن من لا يجهل آباؤنا الكرام القدماء الاكابر وفروعنا السادة الاخيار الافاضل انطق إن كنت صادقاً . فقال عمرو ينطق بالخنا وتنطق بالصدق ثم انشأ يقول

قدْ يضرُطُ العَيرُ والمُكواةُ تأْخذُه * لا يضرُطُ العيرُ والمُكواة في النارِ

ذق وبال امرك يا مروان فاقبل عليه معاوية فقال قد نهيتك عن هذا الرجل وانت تابى الا انهماكا فيما لا يعنيك اربع على نفسك فليس ابوه كابيك ولا هو مثلك انت ابن الطريد الرشيد وهو ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم الكريم ولكن رب باحث عن حتفه بظلفه فقال مروان أرم دون بيضتك وقم بحجة عشيرتك ثم قال لعمرو ولقد طعنك أبوه فوقيت نفسك بخصيتيك ومنها ثنيت

أعنتك وقام مغضبا فقال معاوية لاتجار البحار فتغمرك ولا الجبال فتقهرك واسترح من الاعذار قال والتقى عمرو بن العاص الحسن بن علي عليهما السلام في الطواف فقال ياحسن ازعمت ان الدين لا يقوم الا بك و بأبيك فقد رأيت الله أقامه بمعاوية فجعله ثابتاً بعدميله و بيناً بعد خفائه افيرضى الله قتل عثمان أم من الحق ان تدور بالبيت كما يدور الجمل بالطحين عليك ثياب كغرقى البيض وانت قاتل عثمان والله انه لالم للشعث واسهل للوعث ان يوردك معاوية حياض أبيك فقال الحسن صلواة الله عليه ان لاهل النار علامات يعرفون بها وهي الالحاد في دين الله والموالاة لاعداء الله والانحراف عن دين الله والله انك لتعلم ان عليا لم يتريث في الامر ولم يشك في الله طرفة عين وايم الله لتنتهين يا ابن العاص أولا قرعن قصتك — يعني جبينه — بقراع وكلام واياك والجراءة علي فاني من عرفت لست بضعيف المغمز ولا هش المشاشة — يعني العظام — ولا مريء المأكلة واني لمن قريش كاوسط القلادة معرق حسبي لا أدعى لغير أبي وقد تحاكمت فيك رجال من قريش فغلب عليك الامها حسبا وأعظمها لعنة فاياك عني فانما أنت نجس ونحن أهل بيت الطهارة أذهب الله عنا الرجس وطهرنا تطهيرا وقال واجتمع الحسن بن علي صلوات الله عليهما وعمرو بن العاص فقال الحسن قد علمت قريش بأسرها اني منها في عز أرومتها لم اطبع على ضعف ولم أعكس على خسف أعرف نسبي وادعى لابي فقال عمرو وقد علمت قريش انك ابن أقلها عقلا و أكثرها جهلا وان فيك خصالا لو لم يكن فيك الا واحدة منها لشملك خزيها كما شمل البياض الحالك وأيم الله لئن لم تنته عما أراك تصنع لاكبسن لك حافة كجلد العائط اذا عتاطت رجمها فاتحمل أرمينك من خللها بأحر من وقع الاثافي أعرك منها أديمك عرك السلعة فانك طالما ركبت المنحدر ونزلت في أعراض الوعر التماسا للفرقة وارصادا للفتنة ولن يزيدك الله فيها الا فظاعة فقال الحسن أما والله لو كنت تسمو بحسبك وتعمل برأيك ما سلكت فج قصد ولا حللت رأية مجد أما والله لو أطاعنا معاوية لجعلك بمنزلة العدو الكاشح فانه طالما تأخر شأوك واستسر داؤك وطمح بك الرجال الى الغاية القصوى التي لا يورق بها غصنك ولا يخضر منها رعيك أما والله لتوشكن يا ابن العاص أن تقع بين لحيي ضرغام ولا ينجيك منه الروغان اذا التفت حلقتا البطان ابن المنذر عن أبيه عن الشعبي عن ابن عباس انه دخل المسجد وقد سار الحسين بن علي رضي الله عنه الى العراق فاذا هو بابن الزبير في جماعة من قريش قد استعلاهم بالكلام فجاء ابن عباس فضرب بيده على عضد ابن الزبير وقال أصبحت والله كما قال الشاعر

يالكِ مِنْ قُنبرةٍ بمَعْمَرِ * خلالكِ الجوُّ فبيضي واصفِري
ونقِّري ما شِئتِ أنْ تُنقري * قدْ ذهبَ الصَّيادُ عنكِ فابشري

لا بدَّ من أخذكِ يوماً فاصبري

خلت الحجاز من الحسين بن علي واقبلت تهدر في جوانبها فغضب ابن الزبير وقال والله انك لترى انك أحق بهذا من غيرك فقال ابن عباس انما يرى ذلك من كان في حال شك وانا من ذلك على يقين قال وبأي شيء استحق عندك انك بهذا الامر أحق مني فقال ابن عباس لانا أحق ممن يدل بحقه وبأي شيء استحق عندك انك أحق بها من سائر العرب الا بنا فقال ابن الزبير استحق عندي اني احق بها منكم لشرفي عليكم قديما وحديثا فقال أنت أشرف أم من شرفت به فقال ان من شرفت به زادني شرفا الى شرفي قال ففي الزيادة أم منك فتبسم ابن عباس فقال ابن الزبير يا ابن عباس دعني من لسانك هذا الذي تقلبه كيف شئت والله يا بني هاشم لا تحبوننا أبداً قال ابن عباس صدقت نحن أهل بيت مع الله لا نحب من أبغضه الله قال يا ابن عباس أما ينبغي لك أن تصفح عن كلمة واحدة قال انما يصفح عمن أقر وأما من هر فلا والفضل لاهل الفضل قال ابن الزبير فأين الفضل قال عند أهل البيت لا تصرفه عن أهله فتظلم ولا تضعه في غير أهله فتندم قال ابن الزبير أفلست من أهله قال بلى ان نبذت الحسد ولزمت الجدد وانقضى حديثهما وروى عن ابن عباس انه قال قدمت على معاوية وقد قعد على سريره وجمع من بني أمية ووفود العرب عنده فدخلت وسلمت وقعدت فقال يا ابن عباس من الناس فقلت نحن قال فاذا غبتم قلت فلا أحد قال فانك ترى أني قعدت هذا المقعد بكم قلت نعم فبمن قعدت قال بمن كان مثل حرب بن أمية قلت من كفأ عليه أناءه واجاره بردائه قال فغضب وقال أرحني من شخصك شهرا فقد أمرت لك بصلتك وأضعفتها لك فلما خرج ابن عباس قال لخاصته ألا تسألوني ما الذي أغضب معاوية قالوا بلى فقل بفضلك قال ان أباه حربا لم يلق أحداً من رؤساء قريش في عقبه ولا مضيق الا تقدمه حتى يجوزه فلقيه يوما رجل من تميم في عقبه فتقدمه التميمي فقال حرب انا حرب بن أمية فلم يلتفت اليه وجازه فقال موعدك مكة فخافه التميمي ثم أراد دخول مكة فقال من يجيرني من حرب بن أمية فقيل له عبد المطلب فقال عبد المطلب أجل قدراً من أن يجير على حرب فأتى ليلا الى دار الزبير بن عبد المطلب فدق بابه فقال الزبير لعبده قد جاءنا رجل اما طالب قرى واما مستجير وقد أجبناه الى ما يريد ثم خرج الزبير اليه فقال التميمي

لاقيتُ حرْبا في الثنيةِ مُقبلا * والصُّبحُ أبلجَ ضوْؤُه للسَّاري

فدعا بصوْتٍ واكْتنى ليَروعني * وسَما عليَّ سُموَّ ليْثٍ ضاري

فتركْتُه كالكلبِ يَنبحُ ظِلّه * وأتيْتُ قرْمَ مَعالِمٍ ونِفارِ

ليْثاً هِزبْراً يُستجارُ بِعزّه * رحْبَ المباءَةِ مكْرِماً للجار

ولقد حلفت بمكةٍ وبزمزمٍ * والبيت ذى الاحجار والاستار
إن الزبير لمانعى من خوفهِ * ما كبَّرَ الحجاجُ فى الامصار

فقدمه الزبير وأجاره ودخل به المسجد فرآه حرب فقام اليه فلطمه فحمل عليه الزبير بالسيف فولى هاربا يعدو حتى دخل دار عبد المطلب فقال أجرنى من الزبير فأكفأ عليه جفنة كان هاشم يطعم فيها الناس فبقى تحتها ساعة ثم قال له اخرج قال وكيف أخرج وعلى الباب تسعة من بنيك قد احتبوا بسيوفهم فألقى عليه رداء كان كساه اياه سيف بن ذى يزن له طرتان خضراوان فخرج عليهم فعلموا أنه قد أجاره عبد المطلب فتفرقوا عنه قال وحضر مجلس معاوية عبد الله بن جعفر فقال عمرو بن العاص قد جاءكم رجل كثير الخلوات بالتمنى والطربات بالتغنى محب للقيان كثير مزاحه شديد طماحه صدود عن الشبان ظاهر الطيش رخى العيش أخاذ بالسلف منفاق بالسرف فقال ابن عباس كذبت والله انت وليس كما ذكرت ولكنه لله ذكور ولنعمائه شكور وعن الخنا زجور جواد كريم سيد حليم اذا رمى أصاب واذا سئل أجاب غير حصر ولا هياب ولا عيابة مغتاب حل من قريش فى كريم النصاب كالهزبر الضرغام الجرىء المقدام فى الحسب القمقام ليس بدعى ولا دنى لا كمن اختصم فيه من قريش شرارها فغلب عليه جزارها فاصبح الامها حسبا وأدناها منصبا ينوء منها بالذليل و يأوى منها الى القليل مذبذب بين الحيين كالساقط بين المهدين لا المضطر فيهم عرفوه ولا الظاعن عنهم فقدوه فليت شعرى بأى قدر تتعرض للرجال و بأى حسب تعتد به عند انتضال انفسك وأنت الوغد اللئيم والنكد الذميم والوضيع الزنيم أم بمن تنمى اليهم وهم أهل السفه والطيش والدناءة فى قريش لا بشرف فى الجاهلية شهروا ولا بقديم فى الاسلام ذكروا جعلت تتكلم بغير لسانك وتنطق بالزور فى غير اقرانك والله لكان أبين للفضل وأبعد للعدوان أن ينزلك معاوية منزلة البعيد السحيق فانه طالما سلس داؤك وطمح بك رجاؤك الى الغاية القصوى التى لم يخضر فيها رعيك ولم يورق فيها غصنك فقال عبد الله بن جعفر اقسمت عليك لما أمسكت فانك عنى ناضلت ولى فاوضت فقال ابن عباس دعنى والعبد فانه قد يهدر خاليا ولا يجد ملاحيا وقد أتيح له ضيغم شرس للاقران مفترس وللارواح مختلس فقال بن العاص دعنى يا أمير المؤمنين انتصف منه فوالله ما ترك شيئا قال ابن عباس دعه فلا يبقى المبقى الا على نفسه فوالله ان قلبى لشديد وان جوابى لعتيد وانى لكما قال نابغة بنى ذبيان

وقدماً قد قرعتُ وقارعونى * فما نزُرَ الكلامُ ولا شجانى
يَصُدُّ الشاعرُ العرّافُ عنى * صُدودَ البكرِ عن قرمٍ هجانِ

قال و بلغ عائمة بنت عائم(١) ثلب معاوية وعمرو بن العاص لبنى هاشم فقالت لاهل مكة أيها الناس ان بنى هاشم سادت فجادت وملكت وملكت وفضلت وفضلت واصطفت

---

(٢) هكذا فى الاصل وفى نسخة عاتمه بنت عاتم : وفي المسامرات غانمه بنت غانم

واصطفيت ليس فيها كدر عيب ولا افك ريب ولا خسر واطاغين ولا خازين ولا نادمين ولاهم من المغضوب عليهم ولا الضالين ان بني هاشم أطول الناس باعا وأمجد الناس أصلا وأعظم الناس حلما وأكثر الناس علما وعطاء منا عبد مناف المؤثر وفيه يقول الشاعر

كانتْ قريشٌ بيْضةٌ فتفلقَتْ * فالْمُحٌ خالصها لعبدِ منافِ

وولده هاشم الذي هشم الثريد لقومه وفيه يقول الشاعر

عمْرُ والْعُلا هشمَ الثريدَ لقوْمه * ورجالُ مكةَ مُسْنتونَ عجافُ

ومنا عبد المطلب الذي سقينا به الغيث وفيه يقول أبو طالب

ونحنُ سِنيُّ المْحلِ قامَ شفيعُنا * بمكةَ يدعو والمياهُ تغورُ

وابنه أبو طالب عظيم قريش وفيه يقول الشاعر

آتيْه مَلكا فقامَ بحاجتي * وترى العُليّجَ خائباً مذموما

ومنا العباس بن عبد المطلب أردفه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه ماله وفيه يقول الشاعر

رديفُ رسولِ اللهِ لم ترَ مثلهُ * ولا مثله حتى القيامةِ يولدُ

ومنا حمزة سيد الشهداء وفيه يقول الشاعر

أبا يَعْلى بكَ الاركانُ هُدّتْ * وأنتَ الماجد البرُّ الوصول

ومنا جعفر ذو الجناحين أحسن الناس حالا وأكملهم كمالا ليس بغدار ولا جبان أبدله الله بكلتي يديه جناحين يطير بهما في الجنة وفيه يقول الشاعر

هاتوا كجَعْفرِنا ومثلَ علّينا * كانا أعزَّ الناسِ عندَ الخالق

ومنا ابو الحسن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه أفرس بني هاشم وأكرم من احتبى وانتعل وفيه يقول الشاعر

عليٌّ ألفَ الفُرقانَ صُحْفاً * ووالى المُصطفى طفلاً صبياً

ومنا الحسن بن عليّ عليه السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد شباب أهل الجنة وفيه يقول الشاعر

ياأجلّ الانام ياابن الوصيّ * أنتَ سبْطُ النبي وابن عليّ

ومنا الحسين بن عليّ حمله جبريل عليه السلام على عاتقه وكفاه بذلك فخرا وفيه يقول الشاعر

حُبُّ الحسيْنِ ذخيرةٌ لمُحبّهِ * يارَبِّ فاحشرْني غداً في حزْبه

يامعشر قريش والله مامعاوية كامير المؤمنين عليّ ولا هو كما يزعم هو والله شانئ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأني آتيه معاوية وقائلة له ما يعرق منه جبينه ويكثر منه عويله وأنينه فكتب

عامل معاوية اليه بذلك فلما بلغه أنها قربت منه أمر بدار ضيافة فنظفت وألقى فيها فرش فلما قربت من المدينة استقبلها يزيد فى حشمه ومماليكه فلما دخلت المدينة أتت دار أخيها عمرو بن عاثم فقال لها يزيد ان أباعبد الرحمن يأمرك أن تنتقلى الى دار ضيافته وكانت لا تعرفه فقالت من أنت كلأك الله قال أنا يزيد بن معاوية قالت فلا رعاك الله ياناقص لست بزائد فتغير لون يزيد وأتى أباه فأخبره فقال هى أسن قريش وأعظمهم حلماً قال يزيد كم تعدلها قال كانت تعد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة عام وهى من بقية الكرام فلما كان من الغد أتاها معاوية فسلم عليها فقالت على المؤمنين السلام وعلى الكافر بن الهوان والملام ثم قالت أفيكم عمرو بن العاص قال عمرو ها أنا ذا قالت أنت تسب قريشاً و بنى هاشم وأنت أهل السب وفيك السب واليك يعود السب ياعمرو أنى والله عارفة بك و بعيوبك وعيوب أمك وأنى أذكر ذلك ولدت من أمة سوداء مجنونة حمقاء تبول من قيامها وتعلوها اللئام و إذا لامسها الفحل فكان نطفتها أنفذ من نطفته ركبها فى يوم واحد أربعون رجل وأما أنت فقد رأيتك غاو ياً غير مرشد ومفسداً غير مصلح والله لقد رأيت فحل زوجتك على فراشك فما غرت ولا أنكرت وأما أنت يامعاوية فما كنت فى خير ولا ربيت فى نعمة فمالك ولبنى هاشم انساؤك كنسائهم أم أعطى أمية فى الجاهلية والاسلام ما أعطى هاشم وكفى فخراً برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معاوية أيتها الكبيرة أنا كاف عن بنى هاشم قالت فانى أكتب عليك كتاباً فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا ربه أن يستجيب لى خمس دعوات فاجعل تلك الدعوات كلها فيك فخاف معاويه فحلف أن لا يسب بنى هاشم أبداً فهذا ما كان بين معاوية و بين بنى هاشم من المفاخرة قال وكان على بن عبد الله بن عباس عند عبد الملك بن مروان فاخذ عبد الملك يذكر أيام بنى أمية فبيناهو على ذلك اذ نادى المنادى بالأذان فقال أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فقال علىّ

هذى المكارمُ لاَ قعبانِ منْ لبن * شيباً بماءٍ فعادا بعدُ أبوالا

فقال عبد الملك الحق فى هذا أبين من أن يكابر علىّ بن محمد النديم قال دخلت على المتوكل وعنده الرضى فقال ياعلىّ من أشعر الناس فى زماننا قلت البحترى قال و بعده قلت مروان بن ابى حفصة عبدك فالتفت الى الرضى فقال ياابن عم من أشعر الناس قال على بن محمد العلوى قال وما تحفظ من شعره قال قوله

لقدْ فاخرتنامنْ قريْشٍ عِصابةٌ * بمطِّ خُدودٍ وامتدادِ أصابعِ
فلما تنازعْنا القضاءَ قضى لنا * عليهمْ بما نهوىَ نداءُ الصّوامعِ

فقال المتوكل مامعنى قوله ــ نداء الصوامع ــ قال الشهاده قال وأبيك انه أشعر الناس ومما قيل

في هذا المعنى من الشعر قوله أيضا

بلغنا السماء بانسابنا * ولولا السماء لجزنا السماء
فحسبك من سؤدد أننا * بحسن البلاء كشفنا البلاء
إذا ذكر الناس كنا ملوكا * وكانوا عبيداً وكانوا إماء
يطيب الثناء لآبائنا * وذكر علي يطيب الثناء
هجاني رجال ولم أهجهم * أبي الله لي أن أقول الهجاء

وقال آخر

وإني من القوم الذين عرفتهم * إذا مات منهم سيد قام صاحبه
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
نجوم سماء كلما انقض كوكب * بدا كوكب تأوي اليه كواكبه

وقال آخر

خطباء حين يقول قائلهم * بيض الوجوه مقاول لسن
لا يفطنون لعيب جارهم * وهم لحفظ جوارهم فطن

— ضده —

عن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتخروا بآبائكم في الجاهلية فوالذي نفسي بيده لما يدحرج الجعل برجله خير من آبائكم الذين ماتوا في الجاهلية قال وكان الحسن البصري يقول يا ابن آدم لم تفتخر وانما خرجت من سبيل بولين نطفة مشجت باقذار وقال بعضهم لرجل افتخر ويحك وأولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت فيما بينهما وعاء عذرة فما هذا الافتخار وروى عن ابن عباس أنه قال الناس يتفاضلون في الدنيا بالشرف والبيوتات والامارات والغنى والجمال والهيئة والمنطق ويتفاضلون في الآخرة بالتقوى واليقين وأتقاهم أحسنهم يقينا وأزكاهم عملا وأرفعهم درجة وقيل في ذلك

يزين الفتى في الناس صحة عقله * وإن كان محظوراً عليه مكاسبه
وشين الفتى في الناس قلة عقله * وإن كرمت آباؤه ومناسبه

وقيل لعامر بن قيس ما تقول في الانسان قال وما أقول فيمن ان جاع ضرع وان شبع بغى وطغى وقال بعض الحكماء لا يكون الشرف بالنسب الا ترى أن أخوين لاب وأم يكون احدهما اشرف من الآخر ولو كان ذلك من قبل النسب لما كان لاحد منهم على الآخر فضل لان نسبهما واحد ولكن ذلك من قبل الافعال لان الشرف انما هو بالفضل لا بالنسب قال الشاعر

أبوكَ أبي والجدُّ لاشكَّ واحدٌ * ولـكنّنا عُودانِ آسٌ وخِرْوَعُ

وبلغنا عن المدائني انه قال ليس السؤدد بالشرف وقد ساد الاحنف بن قيس بحلمه وحصين ابن المنذر برأيه ومالك بن مسمع بمحبته في العامة وسويد بن منجوف بعطفه على أرامل قومه وساد المهلب بن ابي صفرة بجميع هذه الخصال واما الشرف بالدين فالحديث المعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اتاه اعرابي فقال بابي انت وامي يارسول الله من اكرم الناس حسباً قال احسنهم خلقا وافضلهم تقوى فانصرف الاعرابي فقال ردوه ثم قال ياعرابي لعلك اردت اكرم الناس نسباً قال نعم يارسول الله قال يوسف الصديق صديق الله بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله فاين مثل هؤلاء الآباء في جميع الدنيا ما كان مثلهم ولا يكون مثلهم احد أبدا : وقال الشاعر في ذلك

ولمْ أرَ كالانسباطِ أبناءَ والدٍ * ولا كابيهمْ والداً حين يُنْسَبُ

قال ودخل عيينة بن حصن الفزاري على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتسب له فقال انا ابن الاشياخ الاكارم فقال صلى الله عليه وسلم انت إذاً يوسف صديق الرحمن عليه السلام ابن يعقوب اسرائيل الله اواسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله وقال صلى الله عليه وسلم خير البشر آدم وخير العرب محمد وخير الفرس سلمان الفارسي وخير الروم صهيب وخير الحبشة بلال قال وسمع عمر بن الخطاب وهو خليفة صوتا ولفظا بالباب فقال لبعض من عنده اخرج فانظر من كان من المهاجرين الاولين فادخله فخرج الرسول فوجد بلالا وصهيبا وسلمان فادخلهم وكان ابوسفيان بن حرب وسهيل ابن عمرو في عصابة من قريش جلوسا على الباب فقال يامعشر قريش انتم صناديد العرب واشرافها وفرسانها بالباب ويدخل حبشي وفارسي ورومي فقال سهيل ياابا سفيان انفسكم فلوموا ولا تذموا امير المؤمنين دعى القوم فأجابوا ودعيتم فابيتم وهم يوم القيامة أعظم درجات وأكثر تفضيلا فقال ابوسفيان لا خير في مكان يكون فيه بلال شريفا (فاما صناعات الاشراف) فانه روي ان اباطالب كان يعالج العطر والبز واما ابو بكر وعمر وطلحة وعبد الرحمن بن عوف فكانوا بزّازين وكان سعد بن ابي وقاص يعذق النخل وكان اخوه عتيبة نجارا وكان العاص بن هشام اخو ابي جهل بن هشام جزارا وكان الوليد بن المغيرة حدادا وكان عقبة بن ابي معيط خمارا وكان عثمان بن طلحة صاحب مفتاح البيت خياطا وكان ابوسفيان ابن حرب يبيع الزيت والادم وكان أمية بن خلف يبيع البرم وكان عبد الله بن جدعان نخاسا وكان العاص بن وائل يعالج الخيل والابل وكان جرير بن عمرو وقيس ابو الضحاك بن قيس ومعمر بن عثمان وسيرين بن محمد بن سيرين كانوا كلهم حدادين وكان المسيب ابو سعيد زياتا وكان ميمون بن مهران بزازا وكان مالك بن دينار وراقا وكان أبو حنيفة صاحب الرأي خزازا

وكان مجمّع الزاهد حائكا قيل اتخذ يزيد بن المهلب بستانا فى داره بخراسان فلما ولى قتيبة بن مسلم جعله لابله فقال مرزبان مرو هذا كان بستانا وقد اتخذته لابلك فقال قتيبة ان كان اشتربان وكان ابو يزيد بستانبان فمنها صار ذلك كذلك قال وذكروا ان المأمون ذكر أصحاب الصناعات فقال السوقة سفل والصنّاع انذال والتجار بخلاء والكتّاب ملوك على الناس والناس أربعة أصحاب الحرف وهى امارة وتجارة وصناعة وزراعة فمن لم يكن منهم صار عيالا عليهم

﴿ محاسن الثقة بالله سبحانه ﴾

قيل — خطب سليمان بن عبد الملك فقال الحمد لله الذى انقذنى من ناره بخلافته وقال الوليد ابن عبد الملك لاشفعن للحجاج بن يوسف وقرة بن شريك عند ربى وقال الحجاج يقولون مات الحجاج مه ما ارجوا الخير كله الا بعد الموت والله ما رضى الله البقاء الا لاهون خلقه عليه ابليس ابليس اذ قال (رَبِّ أنظِرْنِى الى يوم يُبعثونَ قال فإنكَ مِنَ المنظرِينَ الى يوْمِ الوقْتِ المعْلومِ) وقال ابو جعفر المنصور الحمد لله الذى اجارنى بخلافته وانقذنى من النار بها وحدثنى ابراهيم بن عبد الله عن أنس ابن مالك قال دخلنا على قوم من الانصار وفيهم فتى عليل فلم نخرج من عنده حتى قضى نحبه فاذا العجوز عند رأسه فالتفت اليها بعض القوم فقال استسلمى لامر الله واحتسبى قالت أمات ابنى قال نعم قالت أحق ما تقولون قلنا نعم فمدت يدها الى السماء وقالت اللهم انك تعلم انى أسلمت لك وهاجرت الى نبيك محمد صلوات الله عليه رجاء أن تغيثنى عند كل شدة فلا تحملنى هذه المصيبة اليوم فكشف ابنها الذى سجيناه وجهه وما برحنا حتى طعم وشرب وطعمنا معه

(ضده)

قال عيسى بن مريم صلوات الله تعالى عليه ، يامعشر الحواريين ان ابن آدم مخلوق فى الدنيا فى أربع منازل هو فى ثلاث منها واثق وهو فى الرابعة سيء الظن يخاف خذلان الله اياه فاما المنزلة الاولى فانه خلق فى ظلمات ثلاث ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة فوفاه الله رزقه فى جوف ظلمة البطن فاذا أخرج من ظلمة البطن وقع فى اللبن لا يخطو اليه بقدم ولا ساق ولا يتناوله بيد ولا ينهض اليه بقوة بل يكره اليه إكراها و يوجر إيجارا حتى نبت عليه لحمه ودمه فاذا ارتفع عن اللبن وقع فى المنزلة الثالثة من الطعام من أبويه يكسبان عليه من حلال وحرام فان مات عطف عليه الناس هذا يطعمه وهذا يسقيه وهذا يؤويه وهذا يكسوه فاذا وقع فى المنزلة الرابعة واشتد واستوى وكان رجلا خشى أن لا يرزق فيثب على الناس فيخون أماناتهم و يسرق أمتعتهم و يغصبهم أموالهم مخافة خذلان الله تعالى إياه

﴿محاسن طلب الرزق﴾

قال عمرو بن عتبة من لم يقدمه الحزم أخره العجز ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يا ابن آدم أحدث لى سفرا أحدث لك رزقا وفى بعض الحديث سافروا تغنموا ، وقال الكميت بن زيد الاسدى

وَلَنْ يُزِيحَ هُمُومَ النفسَ إنْ حضَرَتْ * حاجاتُ مِثلِكَ الا الرَّحلُ والجملُ

وقال أبو تمام الطائى

وطولَ مُقام المرءِ فى الحىّ مُخلِقٌ * لِديباجتيهِ فاغْترِبْ تتجدَّدِ

فإنى رأيتُ الشمسَ زيدتْ محبةً * إلى الناسِ أنْ ليستْ عليهمْ بسرْمَدِ

وقال بعض الحكماء لا تدع الحيلة فى التماس الرزق بكل مكان فان الكريم محتال والدنى عيال ، وأنشد

فَسِرْ فى بلادِ اللهِ والتمسِ الغِنى * تعِشْ ذا يسارٍ أوْ تموتَ فتُعذرا

ولا ترْضَ من عيْشٍ بدونٍ ولا تنمْ * وكيف ينامُ الليلَ من كان مُعسِرا

وتقول العامة كلب جوال خير من أسد رابض ، وتقول من غلى دماغه صائفا غلت قدره شاتيا ووقع عبد الله بن طاهر من سعى رعى ومن لزم المنام رأى الاحلام هذا المعنى سرقه من توقيعات أنوشروان فانه يقول هرك روذجرذهرك خسبد خواب بيند وأنشد

كَفى حزَناً أنَّ النَّوىٰ قذَفتْ بنا * بعيداً وأنَّ الرزْقَ أعْيتْ مذاهِبُهْ

ولوْ أنَّنا إذْ فرَّقَ الدَّهرُ بيننا * غِنىً واحِدٍ منَّا تموَّلَ صاحبُهْ

ولكنَّنا مِنْ دَهْرِنا فى مَؤونةٍ * يُكالِبُنا طَوْراً وطوْراً نُكالِبُهْ

وقال آخر

ومَنْ يكُ مِثلى ذا عِيالٍ ومُقتِراً * منَ المالِ يطرَحْ نفسَهُ كلَّ مَطرَحِ

لِيبلُغَ عُذْرًا أوْ ينالَ غنيمةً * ومُبلِغُ نفْسٍ عُذْرَها مِثلُ مُنجِحِ

وقال آخر

وليسَ الرِّزْقُ عنْ طلبٍ حثيثٍ * ولكنْ أدْلِ دلوَكَ فى الدِّلاءِ

تجِئْكَ بملْئِها وحيناً وطوْراً * تجىءُ بحمأةٍ وقليلِ ماءِ

﴿ضده﴾

قيل وجد فى بعض خزائن ملوك العجم لوح من حجارة مكتوب عليه كن لما لا ترجوا

أرجى منك لما ترجو فان موسى عليه السلام خرج ليقتبس ناراً فنودى بالنبوة و بلغنا عن ابن السماك انه قال لا تشتغل بالرزق المضمون عن العمل المفروض وكن اليوم مشغولا بما أنت مسؤل عنه غداً و إياك والفضول فان حسابها يطول . قال الشاعر

إنى عَلِمْتُ وعِلْمُ المَرْءِ يَنفعُهُ * أنَّ الذى هوَ رزْقى سوْفَ يأتينى
أسْعى لهُ فيُعَنِّينى تطلبُهُ * ولوْ قعدْتُ أتانى لا يُعَنِّينى

وقال آخر

لعَمْرُك ما كلُّ التَّعطلِ ضائرٌ * ولا كلُّ شُغْلٍ فيهِ للمرءِ منفعهْ
إذا كانتِ الارْزاقُ فى القُرْبِ والنوىٰ * عليكَ سَواءً فاغتنمْ لذّةَ الدَّعهْ

وقال آخر

سَهّلْ عليكَ فانّ الرّزْقَ مَقْدُورُ * وكلُّ مُستأنفٍ فى اللوْحِ مَسْطورُ
أتى القَضاءُ بما فيهِ لمدّتهِ * وكلُّ مالم يكنْ فيهِ فمحظورُ
لا تكذبنَّ فخيرُ القوْلِ أصدقُهُ * إنّ الحريصَ على الدُّنيا لَمَغرُورُ

وقال آخر

لا تعتبنَّ على العِبادِ فإنما * يأتيكَ رِزْقُكَ حين يؤذَنُ فيهِ

وقال آخر

هىَ المَقاديرُ تجرى فى أعِنَّتها * فاصْبرْ فليس لها صبرٌ على حالِ
يوْماً تريشُ خسيسَ القوْمِ ترْفعُهُ * دُونَ السّماءِ و يوْماً تخفِضُ العالى

وقال آخر

إصْبرْ على زمَنٍ جَمٍّ نوائبُهُ * فليسَ منْ شِدّةٍ إلا لها فرَجُ
تلْقاهُ بالامْسِ فى عمياءَ مُظلِمةٍ * و يُصبحُ اليوْمَ قد لاحَتْ له السُّرُجُ

وقال آخر

ألا رُبَّ راجٍ حاجةٍ لا ينالُها * وآخرَ قدْ تُقضىٰ لهُ وهوَ آيسُ
يَجُولُ لها هذا و تُقضىٰ لغيرِهِ * فتأتى الذى تُقضىٰ وهوَ جالسُ

وقال آخر

فلمّا أنْ عُنيتُ بما ألاقى * وأعْيتْنى المسائلُ بالقُرُوضِ
دَعوْتُ اللهَ لا أرْجُو سِواهُ * ورَبُّ العرْشِ ذو فرَجٍ عريضِ

وقال آخر

يا صاحبَ الهمّ إنّ الهمَّ مُنفرِجٌ * أبشِرْ بخيرٍ كأنْ قد فرَّجَ اللهُ

اليأسُ يَقطعُ أحياناً بصاحبِه * لا تيأسَنّ فان الصّانعَ اللهُ

إذا ابتُليتَ فثِقْ باللهِ وارْضَ به * إنَّ الذى يكشفُ البلوى هو اللهُ

وقال آخر

وإذا تُصبْكَ من الحوادثِ نَكبةٌ * فاصبِرْ فكلُّ بَليّةٍ تتكشّفُ

﴿ محاسن المواعظ ﴾

قال الاصمعى حججت فنزلت ضرية فاذا اعرابى قد كور عمامته على رأسه وقد تنكب قوساً فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس انما الدنيا دار ممرّ والآخرة دار مقر فخذوا من ممرّكم لمقركم ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم أما بعد فانه لن يستقبل أحد يوما من عمره الا بفراق آخر من أجله فاستعجلوا الا نفسكم لما تقدمون عليه لا لما تظعنون عنه وراقبوا من ترجعون اليه فانه لا قوى أقوى من خالق ولا ضعيف أضعف من مخلوق ولا مهرب من الله الا اليه وكيف يهرب من يتقلب بين يدى طالبه (وإنما توَفَّوْنَ أُجورَكُمْ يومَ القيامةِ فمنْ زُحزِحَ عنِ النارِ وأُدْخِلَ الجنةَ فقدْ فازَ وما الحياةُ الدُّنيا إلاّ متاعُ الغُرُور). وقال بعض الاعراب ان الموت ليقتحم على بنى آدم كاقتحام الشيب على الشباب ومن عرف الدنيا لم يفرح بها فهو خائف ولم يحزن فيها على بلوى ولا طالب أغشم من الموت ومن عطف عليه الليل والنهار ارادياه ومن وكل به الموت أفناه وقال اعرابى كيف يفرح بعمر تنقصه الساعات وبسلامة بدن معرض للآفات لقد عجبت من المرء يفرّ من الموت وهو سبيله ولا أرى أحداً الا استدركه الموت وقيل وجد فى كتاب من كتب بزرجمهر صحيفة مكتوب فيها ان حاجة الله الى عباده أن يعرفوه فمن عرفه لم يعصه طرفة عين كيف البقاء مع الفناء وكيف يأس المرء على مافاته والموت يطلبه وقال كسرى لم يكن من حق عله أن يقتل وانى لنادم على ذلك (١). قال وحضرت الوفاة رجلا من حكماء فارس فقيل له كيف يكون حال من يريد سفراً بعيداً بغير زاد ويقدم على ملك عادل بغير حجة ويسكن قبراً موحشاً بغير أنيس

(١) هكذا فى الاصل وفى العبارة نقص فليحرر

﴿ ضده ﴾

قيل، لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز جزع أبوه عليه جزعاً شديداً فقال ذات يوم لمن حضره هل من منشد شعراً يعزيني به أو واعظ يخفف عني فاتسلى به، فقال رجل من أهل الشام : ياأمير المؤمنين كل خليل مفارق خليله بان يموت أو بان يذهب الى مكان . فتبسم عمر بن عبد العزيز وقال مصيبتي فيك زادتني الى مصيبتي مصيبة ، وأصيب الحجاج بن يوسف بمصيبة وعنده رسول لعبد الملك بن مروان فقال : ليت اني وجدت انساناً يخفف عني مصيبتي ، فقال له الرسول أقول، قال قل قال كل انسان مفارق صاحبه بموت أو بصلب أو بنار تقع عليه من فوق البيت أو يقع عليه البيت أو يسقط في بئر أو يغشى عليه أو يكون شيء لا يعرفه ، فضحك الحجاج وقال مصيبتي في أمير المؤمنين أعظم حين وجه مثلك رسولا

﴿ محاسن فضل الدنيا ﴾

قال عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه : الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها مسجد أنبياء الله ومهبط وحيه ومصلى ملائكته ومتجر أوليائه يكسبون فيها الرحمة ويربحون فيها الجنة فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها ونادت بفراقها ونعت نفسها وشوقت بسرورها الى السرور وببلائها الى البلاء تخويفاً وتحذيراً وترغيباً وترهيباً فيا أيها الذام للدنيا والمفتتن بغرورها متى غرتك أبمصارع آبائك من البلى أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرى كم عللت بكفيك وكم مرضت بيديك تبتغي لهم الشفاء وتستوصف لهم الاطباء وتلتمس لهم الدواء لم تنفعهم بطلبتك ولم تشفعهم بشفاعتك ولم تستشفهم باستشفائك بطبك مثلت بهم الدنيا مصرعك ومضجعك حيث لا ينفعك بكاؤك ولا يغني عنك أحباؤك ثم التفت الى قبور هناك فقال ياأهل الثراء والعز الازواج قد نكحت والاموال قد قسمت والدور قد سكنت هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم ثم قال لمن حضر : والله لو أذن لهم لاجابوا ان خير الزاد التقوى ، وأنشد

مَا أَحسنَ الدُّنيا وإِقبالَهَا ❊ إِذا أَطاعَ اللهَ مَنْ نالَها
مَنْ لَمْ يُواسِ الناسَ مِنْ فضلِها ❊ عرَّضَ للإِدبارِ إِقبالَها

قال أبو حازم الدنيا طالبة ومطلوبة طالب الدنيا يطلبه الموت حتى يخرجه منها وطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى توفيه رزقه ، وقال الحسن البصري بينا أنا أطوف بالبيت اذا انا بعجوز متعبدة فقلت من أنت ، فقالت من بنات ملوك غسان قلت فمن أين طعامك ، قالت اذا كان آخر النهار جاءتني امرأة متزينة فتضع بين يدي كوزاً من ماء ورغيفين ، قلت لها أتعرفينها ، قالت اللهم

لا ، قلت هى الدنيا خدمت ربك جلّ ذكره فبعث اليك الدنيا لخدمتك

﴿ ضده ﴾

زعموا أن زياد بن أبيه مرّ بالحيرة فنظر الى دير هناك فقال لخادمه لمن هذا قيل له هذا دير حرقة بنت النعمان بن المنذر فقال ميلوا بنا اليـه لنسمع كلامها فجاءت الى وراء الباب فـكلمها الخادم فقال لها : كلمى الامير ، فقالت أأوجز أم أطيل ، قال بل أوجزى قالت كنا أهل بيت طلعت الشمس علينا وما على الارض أحد أعز منا وما غابت تلك الشمس حتى رحمنا عـدونا قال فامر لها بأوساق من شعير فقالت ، أطعمتك يد شـبعاء جاعت ولا أطعمتك يد جوعاء شـبعت . فسر زياد بكلامها فقال لشاعر معه قيد هذا الـكلام ليدرس . فقال

سَل الخيْرَ أهلَ الخيرِ قِدْماً ولا تَسل * فتىً ذاقَ طعْمَ الخيرِ مُنذُ قريبِ

ويقال ، ان فروة بن إياس بن قبيصة انتهى الى دير حرقة بنت النعمان فالقاها وهى تبكى فقال لها ما يبكيك ، قالت ما من دار امتلأت سروراً الا امتلأت بعد ذلك ثبوراً ثم قالت

فبيْنا نسوسُ الناسَ والامرُ أمرُنا * إذا نحنُ فيهمْ سُوقةٌ نتنصّفُ

فأفٍّ لِدُنيا لايدومُ نعيمُها * تقلّبُ تاراتٍ بنا وتصرّفُ

قال ، وقالت حرقة بنت النعمان لسعد بن أبى وقاص لا جعـل الله لك الى لئيم حاجـة ولا زالت لـكريم اليك حاجة وعقد لك المنن فى أعناق الـكرام ولا أزال بك عن كريم نعمة ولا أزالها بغيرك الا جعلك سبباً لردها عليه ، قال وقال عبد الملك بن مروان لسلم بن يزيد الفهمى أى الزمان أدركت أفضل وأى ملوكه أكمل ، قال أما الملوك فلم أر إلا ذاما وحامـداً وأما الزمان فرفع أقواما ووضع آخرين وكلهم يذم زمانه لانه يبلى جديدهم ويهرم صغيرهم وكل ما فيه منقطع الا الامـل ، قال فاخبرنى عن فهم . قال هم كما قال الشاعر

درجَ الليْـلُ والنهارُ على فهْـم بنِ عمرو فأصـبحوا كالرّميمِ

وخلتْ دارُهمْ فأضحتْ قِفاراً * بعـدَ عِـزٍّ وثروَةٍ ونعيـم

وكذاكَ الزّمانُ يَذهَبُ بالنا * سِ وتبـقى ديارُهم كالرُّسومِ

قال : فمن يقول منكم

رأيتُ الناس مذْ خُلقوا وكانوا * يحبونَ الغـنيّ منَ الرّجالِ

وإنْ كانَ الغنىُّ أقلَّ خـيراً * بخيلاً بالقليـلِ من النّوالِ

فلا أدْرى عـلامَ وفيمَ هـذا * وماذا يرْتجونَ مـنَ المُحالِ

أللدُّنيا فليْسَ هُناكَ دُنيا * ولا يُرْجى لحادِثةِ الليالى

قال أناوقد كتمتها ، قال ولما دخل علىّ صلوات الله عليه المدائن فنظر الى إيوان كسرى أنشد بعض من حضره . قول الاسود بن يعفر

ماذا أأمّلُ بعدَ آلَ محرّقٍ * تركوا منازلهمْ وبعدَ إيادِ
أهلِ الخوَرْنقِ والسّدِيرِ وبارقٍ * والقصرُذى الشُّرُفاتِ من سِنْدادْ
نزلوا بأنقرَةٍ يسيلُ عليهمْ * ماءُ الفرات يجئُ منْ أطواد
أرْضٌ تخيَّرها لطيبِ نسيمها * كعْبُ بنُ مامةَ وابنُ أمّ دُوادِ
جرتِ الرّياحُ على محلّ ديارهمْ * فكأنما كانوا علىً ميعادِ
فإِذا النعيمُ وكلُّ ما يُلهى بهِ * يوْماً يصيرُ إلى بلى ونفادِ

وقال علىّ صلوات الله عليه أبلغ من ذلك قول الله تعالى (كمْ تركوا منْ جنّاتٍ وعُيون وزُرُوعٍ ومَقامٍ كريمٍ ونعْمَةٍ كانوا فِيها فاكِهِينَ كذَلِكَ وأوْرَثناها قوماً آخرِينَ فما بَكتْ عَليْهمْ السَّماءُ والارْضُ وما كانوا مُنْظرِينَ) . وقال عبدالله بن المعتز أهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام وقال غيره طلاق الدنيا مهر الجنة ، وذكروا ان اعرابيا ذكر الدنيا فقال هى جمة المصائب رنقة المشارب . وقال آخر الدنيا لا تمتعك بصاحب . قال أبو الدرداء من هوان الدنيا على الله تعالى انه لا يعصى الا فيها ولا ينال ماعنده الا بتركها . وقال اذا أقبلت الدنيا على امرىء اعارته محاسن غيره وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه . وقال الشاعر

أيا دُنيا حسرْتِ لنا قناعاً * وكان جمالُ وجْهكَ فى النقابِ
دِيارٌ طالما حُجِبتْ وعزّتْ * فأصبحَ اذنها سَهْلَ الحجابِ
وقدْ كانتْ لنا الايّامُ ذلّتْ * فقدْ قُرِنتْ بأيامٍ صِعابِ
كأنّ العيشَ فيها كان ظِلاً * يقلّبهُ الزّمانُ إلى ذهابِ

قال الاصمعى : وجد فى دار سليمان بن داود عليه السلام على قبة مكتوبا

ومنْ يحمَدِ الدُّنيا لشىءٍ يسُرُّه * فسوْف لعَمرى عنْ قريبٍ يلومُها
إذا أدبرتْ كانتْ على المرءِ حسْرةً * وإنْ أقبلتْ كانتْ كثيراً هُمومُها

وكان ابراهيم ابن أدهم ينشد

نُرقّعُ دُنيانا بتمْزيقِ ديننا * فلا دِيننا يبقى ولا ما نُرقّعُ

وقال أبو العتاهية

يا مَنْ ترفّع بالدُّنيا وزينتِها * ليْس الترفّعُ رفع الطينِ بالطينِ
إذا أردتَ شريفَ القومِ كلهِم * فانظرْ إلى مَلكٍ فى زىِّ مسكين
ذاكَ الذى عَظُمتْ فى الناسِ همتهُ * وذاكَ يَصلحُ للدنيا وللدين

وقال آخر

هَبِ الدُّنيا تُساقُ إليكَ عَفواً * أليْسَ مَصيرُ ذاكَ إلى زوالِ

وقال محمود الوراق

هىَ الدُّنيا فلا يغرُرْكَ منها * مخايِلُ تستفزُّ ذوى العقُول
أقلُّ قليلها يكفيكَ منها * ولكنْ لستَ تقنعُ بالقليل
تُشيدُ وتبتنى فى كلّ يوْم * وأنتَ على التجهُّز للرَّحيلِ
ومنْ هذا على الأيَّام تبقى * مَضارُبه بمَدْرجةِ السُّيول

وقال آخر

دُنيا تداولَها العبادُ ذميمةً * شيبتْ بأكرهَ من نقيعِ الحنظلِ
وثباتُ دُنيا ماتزالُ مُلمَّةً * منها فجائعُ مثلَ وقعِ الجندلِ

وقال آخر

حتى متى أنتَ فى دُنياكَ مُشتغلٌ * وعاملُ اللهِ بالرَّحمنِ مَشغولُ

وقال أبو نواس الحسن بن هانئ

دعِ الحرصَ على الدُّنيا * وفى العيْشِ فلا تطْمعُ
ولا تجمعْ لك المالَ * فما تدرى لمنْ تجمعُ
ولا تدْرى أفى أرْضكَ أمْ فى غيرها تُصرَعُ

قال الاصمعى سمعت أباعمرو بن العلاء يقول بينا أنا أدور فى بعض البرارى اذا أنا بصوت

وإنِ امرأً دُنياهُ أكبرُ همِّهِ * لمُستمْسكٌ منها بحبلِ غُرور

فقلت أءنسى أم جنى فلم يجبنى أحد فنقشته على خاتمى، قال وسمع يحيى بن خالد بيت العدوى فى صفة الدنيا

حتوفُها رصَدٌ وعيشُها نكدٌ * وشربُها رنقٌ ومُلكُها دُوَلُ

فقال : لقد نظم فى هذا البيت صفة الدنيا ، قال وسمع المأمون بيت أبى نواس

إذا امتحن الدُّنيا لبيبٌ تكشَّفتْ * لهُ عنْ عدوٍّ فى ثيابِ صديق

فقال : لوسئلت الدنيا عن نفسها ماوصفة نفسها كصفة أبي نواس وقيل للحسن البصرى ماتقول فى الدنيا ، قال ما أقول فى دار حلالها حساب وحرامها عقاب فقيل : ماسمعنا كلاما أوجز من هذا قال بلى كلام عمر بن عبد العزيز كتب اليه عدى بن أرطاة وهو على حمص أن مدينة حمص قد تهدمت واحتاجت الى صلاح حيطانها فكتب اليه حصنها بالعدل ونق طرقها من الظلم والسلام

— محاسن الزهد —

محمد بن الحسن عن أبي همام وكان قد عرف ضيغما قال . كنت معه فى طريق مكة فلما بعدنا فى الرمل نظر الى ماتلقى الابل من شدة الحر فبكى ضيغم فقلت . لودعوت الله أن يمطر علينا كان أخف على هذه الابل قال فنظر الى السماء وقال . إن شاء الله فعل قال فوالله ما كان الا أن تكلم حتى نشأت سحابة فهطلت ، وعن عطاء بن يسار ان أبامسلم الخولانى خرج الى السوق بدرهم يشترى لاهله دقيقاً فعرض له سائل فاعطاه بعضه ثم عرض له سائل آخر فاعطاه الباقى فاتى النجارين فملا مزوده من نشارة الخشب وأتى منزله فالقاه وخرج هاربا من أهله فاتخذت المرأة المزود فاذا دقيق حوارى لم تر مثله فعجنته وخبزته فلما جاء قال من أين لك هذا قالت الدقيق الذى جئت به ، وعن أبي عبد الله القرشى عن صديق له قال ، دخلت بئر زمزم فاذا بشخص ينزع الدلو مما يلى الركن فلما شرب أرسل الدلو فاخذته فشربت فضلته فاذا هو سويق لوز لم أر أطيب منه فلما كانت القابلة فى ذلك الوقت جاء الرجل وقد أسبل ثوبه على وجهه ونزع الدلو فشرب ثم أرسله فاخذته فشربت فضلته فاذا هو ماء مضروب بالعسل لم أر شيئاً قط أطيب منه فاردت أن آخذ طرف ثوبه فانظر من هو ففاتنى فلما كان فى الليلة الثالثة قعدت قبالة زمزم فى ذلك الوقت فجاء الرجل وقد أسبل ثوبه على وجهه فنزع الدلو فشرب وأرسله وأخذته وشربت فضلته فاذا هو أطيب من الاول فقلت ياهذا أسالك برب هذه البنية من أنت . قال تكتم على حتى أموت . قلت . نعم . قال لى . أنا سفيان الثورى وكانت تلك الشربة تكفينى اذا شربتها الى مثلها لا أجد جوعا ولا عطشاً ، وقال الاصمعى . رأيت اعرابياً يكدح جبهته بالارض يريد أن يجعل سجادة فقلت ما تصنع قال انى وجدت الاثر فى وجه الرجل الصالح . وقال الشاعر

كَيْفَ يبكى لمَحبَسٍ فى طُلولٍ * مَنْ سَيقضى ليوْم حبَس طويل
إنّ فى البعثِ والحِسابِ لشغلاً * عنْ وُقوفٍ برَسْم ربْع محيل

وقال آخر

إنّ الشقيّ الذى فى النارِ منزلهُ * والفوزُ فوزُ الذى ينجو من النار
يارَبِّ أسرفتُ فى ذنبى ومعصيتى * وقد علمتُ يقيناً سوءَ آثارى
فاغفرْ ذنوبا إلهى قد أحطتَ بها * ربَّ العبادِ وزحزحنى عن النار

وقال ذو الرمة

تعصى الإله وأنتَ تظهرُ حبّه * هذا محالٌ فى القياس بديعُ
لوْ كانَ حُبكَ صادقاً لأطعتَه * إنَّ المحبَّ لمنْ يُحبُّ مُطيعُ

وقال أبو نواس

أيا عجبا كيفَ يعصى الإلهُ أمْ كيفَ يجحدُه الجاحدُ
ولله فى كلّ تحريكةٍ * وتسكينةٍ فاعلمَنْ شاهدُ
وفى كلّ شيءٍ له آيةٌ * تدلُّ على أنّه واحدُ

وقال أيضاً

سُبحانَ مَنْ خلقَ الخلقَ منْ ضعيفٍ مهينِ
يسوقُهمْ منْ قرارٍ * إلى قرارٍ مكينِ
يحوزُ خلقاً فخلقاً * فى الحُجبِ دون العيونِ
حتى بدتْ حركاتٌ * مخلوقةٌ من سُكون

وقال آخر

أخى مابالُ قلبك ليس ينقى * كأنكَ ماتظنُّ الموتَ حقاً
ألا ياابنَ الذين مَضَوْا وبادُوا * أمَا واللهِ ما ذهبُوا لِتبقَى
وما لكَ غيرَ تقوى اللهِ زادٌ * إذا جعلتْ إلى اللهواتِ ترقى

وقال آخر

ياقلبُ مَهْلاً وكنْ على حذرٍ * فقدْ لعَمْرى أُمرتَ بالحذرِ
ما لكَ بالتُّرّهاتِ مُشتغلاً * أفى يديْكَ الأمنُ مِنْ سَقرِ

وقال آخر

إنْ كنتَ تؤمنُ بالقيا * مة واجترأت على الخطيّهْ
فلقدْ هلكتَ وإنْ جحدْ * تَ فذاك أعظمُ للبليّهْ

وقال آخر

وأفنيةُ الملوكِ مُحَجَّبات * وبابُ اللهِ مبذولُ الفِناءِ
فما أرجُو سِواهُ لكشفِ ضُرّي * ولا أفزَعْ إلى غيرِ الدُّعاءِ
ولا أدْعو إلى اللأواءِ كَهْفاً * سِوى مَنْ لا يَصَمُّ عنِ الدُّعاءِ

— ضده —

قيل ، كان جندى بقزوين يصلى فى بعض المساجد فافتقده المؤذن أياماً فصار اليه وقرع بابه عليه فخرج اليه فقال له المؤذن . أبومن ، قال . أبوالجحيم ، قال . بئس يا هذا ردالباب قال وقيل للقيني ما أيسر ذنبك ، قال . ليلة الدير ، قيل له . وما ليلة الدير . قال . نزلت بدير نصرانية فأكلت عندها طفشيلا بلحم خنزير وشربت خمرها وفجرت بها وسرقت كساءها وخرجت[1] . قيل أتى خمسة من الفتيان الى قرية فنزلوا على باب خان فقام أحدهم يصلى والباقون جلوس فمرت بهم نبطية فقالوا دلينا على قحبة قالت نعم كم أنتم . قالوا نحن أربعة . فأومى الذى يصلى بيده سبحان الله أنا الخامس : قال الشاعر

وإنّنى فى الصَّلاةِ أحضُرُها * ضَحْكةُ أهلِ الصَّلاةِ إنْ شهِدوا
أقعُدُ فى سَجدةٍ إذا ركَعُوا * وأرْفعُ الرَّأسَ إنْهمُ سَجَدُوا
أسْجُدُ والقوْمُ راكعون معاً * وأُسْرِعُ الوَثْبَ إنْهمُ قعدُوا
فلستُ أدرى إذا همُ فرَغوا * كمْ كان تلكَ الصَّلاةُ والعدَدُ

وقال آخر

وأُصلّى فأغْلَطُ الدَّهرَ فيها * بينَ سَبْعٍ وأرْبعٍ وثَمانِ
ومَواقيتُ حينِها لستُ أدْرى * ما أذانٌ مُوَقَّتٌ منْ أذانِ

وقال آخر

نِعْمَ الفتى لو كان يَعْرِفُ ربَّهُ * ويُقيمُ وَقْتَ صَلاتِه حَمَّادُ
عَدَلَتْ مَشافِرَهُ الدِّنانُ فأنفُهُ * مِثلُ القَدُومِ يَسُنُّهُ الحَدَّادُ
فابيَضَّ منْ شُربِ المدامةِ وجهُهُ * فَبياضُهُ يومَ الحِسابِ سَوادُ

وقال آخر

---

١) ذكر ابن قتيبة فى كتابه أخبار الشعراء هذه القصة لابى الطمحان القينى وتدنسبت هذه الخزية ايضا للفرزدق وفيها يقول له جرير

وكنت اذا نزلت بدار قوم * رحلت بخزية وتركت عاراً

إن قرأ العاديات في رجب * لم يعد منها إلا إلى رجب
بل نحن لا نستطيع في سنة * نختم تبت يدا أبي لهب

﴿ محاسن النساء النادبات ﴾

قيل، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحسن قول الخنساء في صخر أخيها

لابد من ميتة في صرفها غير * والدهر من شأنه حول وإضرار
وإن صخراً لتأتم الهداة به * كأنه علم في رأسه نار

وقيل للخنساء صفي لنا صخرا فقالت كان مطر السنة الغبراء وذعاف الكتيبة الحمراء قيل فمعاوية قالت حياء الجدبة اذا نزل وقرى الضيف اذا حل قيل فأيهما كان عليك أحنى قالت أما صخر فسقام الجسد وأما معاوية فجمرة الكبد . وأنشدت

أسدان محمرا المخالب نجدة * غيثان في الزمن الغضوب الأعسر
قمران في النادى رفيعا محتد * في المجد فرعا سودد متخير

وروى انها دخلت على عائشة أم المؤمنين وعليها صدار من شعر فقالت لها عائشة أتتخذين الصدار وقد نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: ياأم المؤمنين إن زوجي كان رجلا متلافا فامنفقا فقال لي: لو أتيت معاوية فاستعنتيه فخرجت وقد لقيني صخر فاخبرته فشاطرني ماله ثلاث مرات فقالت له امرأته، لو أعطيتها من شرارها — تعني الابل — فقال

تالله لا أمنحها شرارها * وهي حصان قد كفتني عارها
وإن هلكت مزقت خمارها * واتخذت من شعر صدارها

فلما هلك صخر اتخذت هذا الصدار ونذرت ان لا انزعه حتى أموت، قال ثور ابن معن السلمى حدثني أبي قال، دخلت على الخنساء في الجاهلية وعليها صدار من شعر وهي تجهز ابنتها فكلمتها في طرح الصدار فقالت، ياحمقاء والله لانا أحسن منك عرسا وأطيب منك درسا وأرق منك نعلا وأكرم منك بعلا ، قال عبد الرحمن بن مرة عن بعض أشياخه ان عمر بن الخطاب قال للخنساء، ما أقرح مافي عينيك، قالت، بكائي على السادات من مضر، قال، ياخنساء انهم في النار قالت، ذلك أطول لعويلي . ومما اخترنا من أشعارها قولها

تعرقني الدهر قرعاً وغمزا * وأوجعني الدهر نهشاً ووخزا
وأفنى رجالي فبادوا معاً * فأصبح قلبي لهم مستفزا
كأن لم يكونوا حمى يتقى * إذ الناس إذ ذاك من عز بزا

وكانوا سَراةَ بني مالكٍ * وزَيْنَ العشيرة مجداً وعزّاً
وهمْ في القديم صِحاحُ الاديم والكائنون من الناس حرْزا
بسمر الرّماح وبيض الصّفاح * فبالبيض ضرْباً وبالسُّمر وخزا
حَزَزْنا نواصيَ فرْسانِكمْ * وكانوا يظنونَ أنْ لا تُحزّا
ومنْ ظنَّ ممنْ يُلاقي الحروبَ * بأنْ لا يُصابَ فقدْ ظنَّ عجزا
نَعِفُّ ونَعرفُ حقَّ القِرَى * ونَتّخذُ الحمْدَ ذُخرًا وكنزا
ونَلبَسُ في الحرْب نَسْجَ الحديدِ * وفي السّلْم نَلبَسُ خزّا وقزّا

وروى خبر الخنساء من جهة أخرى ذكروا انها أقبلت حاجة فمرت بالمدينة ومعها أناس من قومها فاتوا عمر بن الخطاب فقالوا ، هذه خنساء فلو وعظتها فقد طال بكاؤها في الجاهلية والاسلام فقام عمر وأتاها وقال ، ياخنساء ، قال فرفعت رأسها فقالت ما تشاء وما الذي تريد ، فقال ، ما الذي أقرح مافي عينيك ، قالت ، البكاء على سادات مضر ، قال ، انهم هلكوا في الجاهلية وهم أعضاد اللهب وحشو جهنم ، قالت ، فداك أبي وأمي فذلك الذي زادني وجعا ، قال ، فانشديني ماقلت ، قلت ، اما اني لا أنشدك ماقلت قبل اليوم ولكني أنشدك ماقلته الساعة ، فقالت

سقى جَدَثاً أعراق غَمرةَ دُونَهُ * وَبيشةَ دِيماتُ الرَّبيعِ ووابلُهْ
وكنتُ أعيرُ الدَّمعَ قبلكَ مَنْ بكى * فأنتَ على مَنْ ماتَ قبلكَ شاغلُهْ
وأُرْعيهمُ سَمْعي إذا ذكروا الاسى * وفي الصّدْرِ منّي زَفرةٌ لا تُزايلُهْ

فقال عمر ، دعوها فانها لا تزال حزينة أبدا ، ليلى الاخيلية هجاها رجل من قومها ، فقال

ألا حَيِّيا ليلى وقُولا لها هَلا * فقدْ رَكِبَتْ إيرًا أغرَّ مُحجّلا

فاجابته

تُعَيّرُني داءً بأمّكَ مثلُهُ * وأيُّ جوادٍ لا يُقالُ لهُ هَلا

وذكروا انها دخلت على عبد الملك بن مروان فقال لها ، ياليلى هل بقي في قلبك من حب توبة فتى الفتيان شيء ، قالت ، وكيف أنساه وهو الذي يقول يا أمير المؤمنين

ولوْ أنَّ ليلى في ذُرَى مُتمنّعٍ * بنجرانَ لالتفّتْ عليَّ قُصورُها
حَمامةَ بطنِ الواديين تَرنّمي * سَقاكِ منَ الغُرّ الغوادي مَطيرُها
أبيني لنا لا زالَ ريشُكِ ناعماً(١) * ولا زِلْتِ في خضراءَ غُصنٍ نَضيرُها
تَقولُ رِجالٌ لا يَضيرُكَ نأيُها * بلى كلُّ ماشفَّ النفوسَ يَضيرُها

---

(١) رواية أبي علي القالي في أماليه ولازلت في خضراء غض نضيرها

ايذهَبُ رَيْعانُ الشبابِ ولم أزُرْ * كواعِبَ في هَمْدَان بيضاً نُحُورُها

قال، عمرك الله ان تذكريه، ولتوبة في ليلى الاخيلية

ولوْ أنَّ ليلى الاخْليَّةِ سَلّمتْ * عليَّ ودونى جنْدَلٌ وصَفائحُ

لسَلّمْتُ تسليمَ البشاشةِ أوْزَقى * إليها صَدَىً من جانبِ القبْرِ صائحُ

ولوْ أنّ ليلى فى السَّماءِ لاصْعَدَتْ * بطرْفى الى ليلى العُيُونُ اللّوامحُ

فلما مات توبة مرزوج ليلى بليلى على قبره فقال، لها سلمى على توبة فانه زعم فى شعره انه يسلم عليك تسليم البشاشة، فقالت ماتريد الى من بليت عظامه، فقال، والله لتفعلن، فقالت وهى على البعير، سلام عليك يا توبة فتى الفتيان، وكانت قطاة مستظلة فى ثقب من ثقب القبر فلما سمعت الصوت طارت وصاحت فنفر البعير ورمى بليلى فماتت فدفنت الى جنب قبر توبة، قال وسال الحجاج ليلى هل كان بينك وبين توبة ريبة قط . قالت لا والذى أساله صلاحك الا انه مرة قال لى قولا ظننت انه خنع لبعض الامر . فقلت له

وذِى حاجةٍ قلنا لهُ لا تَبُحْ بها * فليس اليها ما حَيِيتْ سبيلُ

لنا صاحِبٌ لا ينبغى انْ نخُونَهُ * وأنتَ لأُخرَى فارِغٌ وخليلُ

فما كلمنى بعد ذلك بشئ حتى فرق بينى وبينه الموت قال الحجاج فما كان بعد ذلك قالت لم يلبث أن قال لصاحب له اذا أتيت الحاضر من بنى عباد فقل باعلى صوتك

عَفا اللهُ عنها هلْ أبيتنَّ ليلةً * منَ الدَّهرِ لا يَسْرِى إلىَّ خيالُها

فلما سمعت الصوت خرجت فقالت

وعنهُ عَفا رَبّى وأحْسَنَ حالَهُ * تَعِزُّ علينا حاجةٌ لا يَنالُها

قال ودخلت ليلى على الحجاج فانشدته . قولها فيه

إذا نزلَ الحُجاجُ ارْضاً سَقيمةً * تَتَبَّعَ أقصى دائِها فشَفاها

شَفاها منَ الدَّاءِ العُضالِ الذى بها * غُلامٌ إذا هزَّ القناةَ ثَناها

أحَجّاجُ لا تُعْطى العُصاةَ مُناهمُ * ولا اللهُ يُعْطى للعُصاةِ مُناها

فوصلها الحجاج بألف دينار وقال لو قلت بدل غلام همام لكان أحسن . هند بنت عتبة أم معاوية بن أبى سفيان قيل لما قتل شيبة وعتبة ابنا ربيعة رثتهم هند . فقالت

إنى رأيتُ فساداً بعدَ إصلاحِ * فى عبدِ شَمْسٍ فقلبى غيرُ مُرتاحِ

هاجتْ لهمْ أدمُعٌ تَتْرَى ومنبَعُها * منْ رأسِ مَحْرُوبةٍ ما إنْ لها لاحى

لمّا تنادت بنو فهرٍ على حنقٍ * والموتُ بينهم ساعٍ لأرواح
كأنما النّسجُ فى قتلى مصرَّعةٍ * سُرُجٌ أضاءت على جُدْرٍ وألواح
يا آلَ هاشم آنا لأُنصالحُكم * حتى نرى الخيلَ تردى كلَّ كفاح
إنْ يُمكنِ اللهُ يوماً من هزيمتكم * يُورثْ نساءكمُ داءً بتقراح

فاجابتها عمرة بنت عبد الله بن رواحة الانصارى

ياهندُ مهلاً لقد لاقيتِ مُهيلةً * يومَ الاعنّةِ والارواحُ فى الرّاح
أُسدٌ غطارفةٌ غُرٌّ جحاجحةٌ * أبناءُ مُحصنةٍ بيضٌ لجحجاح
هنالكَ للفوزُ والرّضوانُ إنْ صبروا * معَ الرّسولِ فما آبوا بتقباح
اللهُ أهلكهمْ والاوسُ شاهدةٌ * والخزرجُ الغرُّ فيهم كلُّ مجتاح
لاتبعدَنّ فإنى غيرُ صارخةٍ * وكيفَ تصرخُ ذاتُ البعلِ ياصاح

﴿ النساء الماجنات ﴾

قال سليمان بن عبد الملك أنشدونى أحسن ما سمعتم من شعر النساء فقال بعضهم ياأمير المؤمنين سار رجل من الظرفاء فى بعض طرقاته اذ أخذته السماء فوقف تحت مظلة ليستكن من المطر وجارية مشرفة عليه فلما رأته حذفته بحجر فرفع رأسه، وقال

لوْ بتفاحةٍ رميتِ رجونا * ومنَ الرّمى بالحصاةِ جفاءُ

فاجابته

ماجهلنا الذى ذكرتَ منَ الشّكلِ ولا بالذى نراهُ خفاءُ

ودايةٌ معها فقالت

قد بدأتيهِ ماكرتِ وتجدّى * ليتَ شعرى فهلْ لهذا وفاءُ

وسائلة فى الباب فقالت

قدْ لعمرى دعوتها فأجابتْ * هىَ داءٌ وأنتَ منهُ شفاءُ

قال سليمان قاتلها الله هى والله أشعرهم

(عنان جارية الناطفى) قال السلولى دخلت يوما على عنان وعندها رجل اعرابى فقالت ياعم لقد أتى الله بك . قلت وماذاك قالت هذا الاعرابى دخل على فقال بلغنى انك تقولين الشعر فقولى بيتاً فقلت لها قولى فقالت قد ارتج على فقل أنت فقلت

لقدْ جدَّ الفراقُ وعيلَ صبرى * عشيّةَ عيرُهمْ للبينِ زُمّتْ

فقال الاعرابى

نظرْت إلى أواخِرِها ضُحيًّا * وقدْ بانتْ وأرْضَ الشّامِ أمّتْ

فقالت عنان

كتمْتُ هَواكمْ فى الصّدْرِ منى * على أنّ الدُّموعَ علىّ نمّتْ

فقال الاعرابى أنت والله أشعرنا ولولا انك بحرمة رجل لقبلتك ولكنى أقبل البساط وقال بعضهم دخلت على عنان فاذا عليها قميص يكاد يقطر صبغه وقد تناولها سيدها بضرب شديد وهى تبكى فقلت

إنّ عِناناً أرْسلَتْ دَمْعها * كالدُّرّ إذْ يَنْسلُّ مِنْ سِمْطِه

فقالت وأشارت الى مولاها

فليْتَ منْ يَضْرِبُها ظالماً * تَجِفُّ يُمْناهُ على سَوْطِه

فقال مولاها هى حرة لوجه الله ان ضربتها ظالما أو غير ظالم . قال واجتمع أبو نواس والفضل الرقاشى والحسين الخليع وعمر والوراق ومحكم بن رزين والحسين الخياط فى منزل عنان فتناشدوا الى وقت العصر فلما أرادوا الانصراف قالوا أين نحن الليلة فكل قال عندى، فقالت عنان بالله قولوا شعراً وأرضوا بحكمى . فقال الرقاشى

عذراءُ ذات احمرار * إنى بها لا أُحاشى
قوموا ندامایَ رَوُّوا * مُشاشكمْ منْ مُشاشى
وناطِحونى كؤُوساً * نِطاحُ صُلْبِ الكِباشِ
وإنْ تكلْتُ فحِلٌّ * لكمْ دَمى ورِياشى

فقال أبو نواس

لا بلْ إلىَّ ثِقاتى * قوموا بنا بحياتى
قوموا نلَذُّ جميعاً * بقولِ هاكِ وهاتِ
فإنْ أرَدْتمْ فتاةً * أتيتُكمْ بفتاتى
وإنْ أرَدْتمْ غلاماً * صادَفتمونى مؤاتى
فبادِرُوهُ مُجُوناً * فى وقتِ كلّ صلاةِ

وقال الحسين الخليع

أنا الخليعُ فقوموا * إلى شرابِ الخليعِ
إلى شرابٍ لذيذٍ * وأكلِ جَدْىٍ رضيعِ

ونيكِ أحوى رَخيمٍ * بالخَنْدَريسِ صَريع
قوموا تنالوا وَشِيكاً * مِثالَ مُلْكٍ رَفيع

وقال الوراق

قوموا إلى بيتِ عمروٍ * إلى سماعٍ وخَمْرِ
وساقياتٍ علينا * تُطاعُ في كلّ أمرِ
وبَيْسَرِيٍّ رَخيمٍ * يَزْهُو بجِيدٍ ونَحْرِ
فذاك بَرٌّ وإنْ شِئتُمْ أتَيْنا ببَحْر
هذا وليسَ عليكم * أُولى ولا وقتُ عَصْر

وقال محكم بن رازين

قوموا إلى دارِ لهو * وظِلّ بيتٍ دَفين
فيهِ من الوَرْدِ والمَرْ * زَنْجوشِ والياسمين
ورِيحِ مِسْكٍ ذَكِيٍّ * وجَيّدِ الزَّرْجونِ
قوموا فصِيرُوا جميعاً * إلى الفتى ابنِ رزين

فقال الحسين الخياط

قَضَتْ عِنانُ علينا * بأنْ نَزُورَ حُسَيْنا
وأنْ تقرُّوا لدَيْهِ * بالقَصْفِ واللهِ عَيْنا
فما رأينا كظَرْفِ الحُسَين فيما رَأينا
قدْ قرَّبَ اللهُ منهُ * زَيناً وباعَدَ شَيْنا
قوموا وقولوا أجزْنا * ماقدْ قَضَيْتِ علينا

وقالت عنان

مَهْلاً فدَيتُكَ مَهلاً * عِنانُ أحرى وأولى
بأنْ تنالوا لدَيْها * أسنى النَعيمِ وأحلى
فإنّ عِندِي حراما * منَ الشرابِ وحَلاّ
لا تَطمَعوا في سوائي * منَ البَرِيّةِ كلاّ
ياسادتي خَبِّرُوني * أجازَ حُكْمِيَ أمْ لا

فقالوا جميعاً : قد أجزنا حكمك وأقاموا عندها ، قال وكتبت عنان الى الفضل بن الربيع

كنْ لى هُدِيتَ إلى الخليفةِ سُلّما * بورِكْتَ يا ابنَ وزيرِهِ من سُلَّمِ
حُثّ الإمامَ على شِرَاى وقلْ لهُ * رَيحانة ذُخِرَتْ لأنفكَ فاشْمَمِ

وكانت عنان تتوقى أبا نواس وتخاف مجونه وسفهه ، وفيها يقول

عِنانُ يامَنْ تُشبهُ العِينا * أنتمْ على الحُبّ تلومونا
حُسنُكِ حُسنٌ لا يُرَى مِثْلُهُ * قد ترك الناسَ مجانينا

فتهيأت لابى نواس وتصنعت له الى أن صار اليها فرأى عندها بعض وجوه أهل بغداد فأحب أن يخجلها فقال لها

ما تأمُرِينَ لِصَبٍّ * يكفيهِ منكِ قُطَيْرَهْ

فقالت إيّايَ تعنى بهذا * عليكَ فاجلدْ عُمَيْرَه

فقال إنى أخافُ وربى * على يَدِى من عُبَيْرَهْ

فقالت عليك أمكَ . . . * فإنها كَنْدَبيرَه

فأخجلته وشاع الخبر حتى بلغ الرشيد فاستظرفها وطلبها من الناطفى فحملت اليه فقال لها ياعنان ، قالت : لبيك ياسيدى ، فقال * ما تأمرين لصب *

قالت قد مضى الجواب فى هذا ياأمير المؤمنين ، قال بحياتى كيف قلت ، قالت قلت

إيّايَ تعنى بهذا * عليك فاجلدْ عميرَهْ

فضحك الرشيد وطلبها من مولاها فاستام فيها مالا جزيلا فردها

﴿عريب جارية المأمون﴾

وأنتمْ أناسٌ فيكمُ الغدْرُ شيمةٌ * لكمْ أوجُهٌ شتّى وألسِنة عَشْرُ
عجبْتُ لقلبى كيفَ يَصبُو اليكمُ * على عُظمِ ما يَلقى وليس له صبْرُ

﴿فضل الشاعرة﴾ حدثنا القاسم بن عبد الله الحرانى قال كنت عند سعيد بن حميد الكاتب ذات يوم وقد افتصد فأتته هدايا فضل الشاعرة ألف جدى وألف دجاجة وألف طبق رياحين وطيب وعنبر وغير ذلك فلما وصل ذلك كتب اليها ان هذا يوم لا يتم سروره الا بك وبحضورك وكان من أحسن الناس ضربا بالعود وأملحهم صوتاً وأجودهم شعرا فأتته فضرب بينه وبينها حجاب وأحضر قوما ندماءه ووضعت المائدة وجيء بالشراب فلما شربنا أقداحا أخذت عودها فغنت بهذا الشعر والصوت لها والشعر والابيات هذه

يا مَنْ أطلْتُ تفرُّسى * فى وجههِ وتنفُّسى
أفديكَ منْ متدلّلٍ * يَزْهو بقتلِ الانفُسِ

هَبْنِي أَسَأْتُ وما أَسأْ * تُ بلى أقولُ أنا المُسى
أَحْلَفْتَنِي أَنْ لا أُسا * رِقَ نَظْرَةً فى مجلسى
فنظرْتُ نظرةَ عاشقٍ * أَتْبَعتُها بتنفُّسى
ونسِيتُ أنى قد حَلَفْتُ * فما يُقالُ لمن نَسى

وضربت أيضاً وغنت

عادَ الحبيبُ إلى الرضا * فصفحتُ عما قدْ مضى
منْ بعدِ ما لصُدُودِهِ * شمت الحسودُ فعرَّضا
تَعِسَ البَغيضُ فلم يزَلْ * لِصُدُودِنا مُتعرّضا
هَبْنِي أسأتُ وما أسأ * تُ فإنْ أسأتُ لك الرضا

قال فما أتى على يوم أسر من ذلك اليوم

﴿ صاحبة الفرزدق ﴾ ذكروا أن الفرزدق كان مع أصحاب له فاذا هو بجارية مع مولاها فقال لاصحابه هل أخجل لكم هذه ، قالوا : نعم ، فقال

إنَّ لى . . . خبيثاً * لونُهُ يحكى الكُمَيْتا
لو يَرى فى السَّقْفِ صَدْعاً * لتحوَّلَ عنكبُوتا
أو يرى فى الارضِ شقًّا * لَنَزا حتى يَموتا

فقالت الجارية

زَوِّجوا هذا بألفٍ * وأرى ذلك قُوتا
قبلَ أن ينقلِبَ الدَّا * ءُ فلا يأتى ويوتى

فخجل الفرزدق وانصرف[1]

﴿ صاحبة جعفر بن يحيى بن خالد البرمكى ﴾ قالت

عَزمْتُ على قلبي بأنْ أكتمُ الهوى * فضجَّ ونادى إننى غيرُ عاقلِ
فإنْ حان موْتى لم أدَعْك بغُصتى * وأقررْتُ قبلَ الموْتِ أنك قاتلى

﴿ جارية البارقى ﴾ ذكروا أنها أنشدت فى مجلس عمرو بن مسعدة

ياأحسنَ العالَمِ حتى متى * يرْتفعُ الحبُّ وأنحطْ
وكيف مَنْجايَ وبحرُ الهوى * مُذْ حفَّ بى ليس له شَطْ

---

(١) — فى هامش الاصل .. قيل إن هذه الردافة جرت بين أبى نواس وعنان جارية الناطفي والابيات تروي على غير هذا

فاجيبت يُدْرِكك الوَصلُ فتنجو به * أوْ يَقعُ البَحرُ فتنحَطْ

﴿ المغنية المليحة ﴾ قال على بن الجهم : كنت فى مجلس محمد بن عمر و بن مسعدة فاقبلت جارية كانها البدر ليلة التمام بلون كانه الدر فى البياض مع احمرار خدين كشقائق النعمان فسلمت فقال لى محمد يا أبا الحسن هذه الجنة التى كنتم توعدون ، فقالت

وما الوعدُ ياسُؤْلى وغايةَ مُنْيتى * فإنّ فؤادى من مَقالِكَ طائرُ

فقال لها محمد

أَمَا وإلهِ العرْشِ ما قلْتُ سيّئاً * وما كان إلا أنّنى لك شاكرُ

فقال ابن الجهم

أمْسِكْ فدَيتُكِ عَنْ عِتابِ محمّدٍ * فهوَ المصونُ لودّهِ المُتحاذِرْ

فاقبلت تحدثنا فاذا عقل كامل وجمال فاضل وحسن .تل و ردف مائل فقلت : لقد أقر الله عيناً تراك ، فقالت : أقر الله أعينكم و زادكم سرو راً وغبطة ثم اندفعت تغنى بنغمة لم أسمع أحسن منها

أرُوحُ بِهَمّ مِنْ هَواكِ مُبَرّحٍ * أُناجى بهِ قلباً كثيرَ التفكُّرِ

عليْكَ سلامٌ لا زيارةَ بيننا * ولا وَصْلَ إلا أنْ يشاءَ ابنُ مَعْمَرِ

فما زلنا يومنا ذلك معها فى الفردوس الاعلى وما ذكرتها بعد ذلك إلا اشتقت لها وأسفت عليها محمد بن حماد قال : كنا يوما عند اسحق بن نجيح وعنده جارية يقال لها شادن موصوفة بجودة ضرب العود وشجو صوت وحسن خلق وظرف مجلس وحلاوة وجه وأخذت العود وغنت

ظبىٌ تكاملَ فى نهايةِ حُسْنهِ * فزَها ببَهْجتهِ وتاهَ بصدِّهِ

فالشمْسُ تطلُعُ مِنْ فرِنْدِ جَبينهِ * والبدْرُ يَغرَقُ فى شقائِقِ خدّهِ

مَلَكَ الجمالَ بأسْرِهِ فكأنما * حُسنُ البريّةِ كلّها من عندِهِ

ياربّ هبْ لى وَصْلَهُ وبقاءَهُ * أبداً فلستُ بعائِشٍ منْ بعدِهِ

فطارت عقولنا وذهلت البابنا من حسن غنائها وظرفها فقلت : ياسيدتى من هذا الذى تكامل فى الحسن والبهاء سواك ، فقالت

فإنْ بُحتُ نالتْنى عُيونٌ كثيرةٌ * وأضْعفُ عنْ كِتْمانهِ حينَ أكْتُمُ

(الاعرابيات)

حدثنا ثعلب عن الفتح بن خاقان قال : لما خرج المتوكل الى دمشق كنت عديله فلما صرنا بقنسرين قطعت بنو سليم على التجار فأنهى ذلك اليه فوجه قائداً من وجوه قواده اليهم فحاصرهم فلما قربنا من القوم اذا نحن بجارية ذات جمال وهيئة وهى تقول

امِيرُ المؤمنينَ سَما الينا * سُمُوَّ البدْرِ مالَ به الغريفُ
فإِنْ نَسلمْ فعفوَ اللهِ نرْجو * وإنْ نُقتلْ فقاتِلُنا شريفُ

فقال لها المتوكل : أحسنت ، ماجزاؤها يافتح ، قلت العفو والصلة ، فأمر لها بعشرة آلاف درهم وقال لها : مرى الى قومك وقولى لهم لا تردوا المال على التجار فانى أعوضهم عنه ، الاصمعى قال : خرجت الى بادية فاذا أنا بخباء فيه امرأة فدنوت فسلمت فاذا هى أحسن الناس وجها وأعدلهم قامة وأفصحهم لسانا فخارفها بصرى واعترتنى خجلة فقالت ، ماوقوفك ، فقلت

هلْ عندَ كمْ منْ مخيضِ اليومَ نشرَبُهُ * أمْ هلْ سبيلٌ إلى تقبيل عينيْكِ
فلستُ أبغى سِوىَ عينيْكِ منزلةً * أمْ هلْ تجُودى لنا عضًّا بخدَّيْكِ
أوْ تأذنينَ بريق منْكِ أرْشُفهُ * أوْلَمْسِ بطنِكِ أوْ تغميزِ ثدْييْكِ
رُدّى الجوابَ على مَنْ زادهُ كلَفاً * تكريرُهُ الطرْفَ فى أجْدالِ ساقيْكِ

فرفعت رأسها الى وقالت ، ياشيخ ألا تستحى أرجع الى أهلك وأرغب فى مثلك . وقال بعضهم رأيت أعرابية بالنباح فقلت لها . أتنشدين ، قالت نعم فى مثلك ورب الكعبة ، قلت فأنشدينى . فانشأت تقول

لا باركَ اللهُ فيمنْ كان يُخبرُنى * أنّ المُحبَّ إذا ماشاءَ ينصرِفُ
وجْدُ المُحِبّ إذا مابان صاحبهُ * وَجدُ الصبيّ بثَدْيِ أُمّهِ الكلِفُ

قال قلت لها . أنشدينى من قولك فقالت

بنفْسى مَنْ هواهُ على التّنائى * وطولُ الدّهرِ مُؤْتنِفٌ جديدُ
ومنْ هو فى الصّلاةِ حديثُ نفسى * وعدْلُ الرُّوحِ عندى بل يَزيدُ

فقلت لها أن هذا كلام من قد عشق . فقالت وهل يعرى من ذلك من له سمع وقلب ثم أنشدتنى

ألا بأبى واللهِ مَنْ ليس نافعى * بشىءٍ ولا قلبى على الوجدِ شاكِرُهْ
ومنْ كَبِدِى تهفُو إذاذُكِرَاسمهُ * بشىءٍ ومَنْ قلبى على النأى ذاكِرُهْ
لهُ خفَقانٌ يَرْفعُ الجيْبَ بالشّجى * ويَقْطعُ أزْرارَ الجُربّانِ ثائرُهْ

قال وكتب عمر بن أبى ربيعة الى امرأة بالمدينة

بَرَزَ البدْرُ فى جوارٍ تهادَى * مُخطَفاتِ الخُصورِ مُعتجراتِ
فتنفستُ ثمَّ قلتُ لِبَكْرٍ * عجَّلتْ فى الحياةِ لى حَيَنات
هـلْ سبيلٌ إلى التى لا أبالى * بعدَها أنْ أموتَ قبلَ وفاتى

فأجابته

قـدْ أتانا الرَّسولُ بالابيات * فى كتابٍ قدْ خُطَّ بالتُّرَّهاتِ
حائرُ الطرْفِ إن نظرْتَ وماطر * فُلْكَ عندى بصادقِ النظراتِ
غُرَّ غيرى فقدْ عرَفتُ لغيرى * عَهدَكَ الخائنَ القليل الثبات

(المتكلمان)

حدث عمر بن يزيد الاسدى قال، مررت بخرقاء صاحبة ذى الرمة فقلت لها هل حججت قط، قالت، أما علمت أنى منسك من مناسك الحج مامنعك أن تسلم على أما سمعت قول عمك ذى الرمة

تمامُ الحجِّ أن تقفَ المطايا * على خرْقاءَ واضعةَ اللثامِ

فقلت لها، لقد أثر فيك الدهر، قالت، أما سمعت قول العجيف العقيلى حيث يقول

وخرْقاءُ لا تزْدادُ إلا مَلاحةً * ولوْ عُمِّرَتْ تعميرَ نوحٍ وجَلَّتِ

قال ورأيتها وان فيها المباشرة وان ديباجة وجهها الطرية كأنها فتاة وانها لتزيد يومئذ على المائة ولقد حدثت انه شبب بها ذو الرمة وهى ابنة ثمانين سنة، وحدث رجل من بنى أسد قال: أدركت مياً صاحبة ذى الرمة وكان الرجل أعور قال ورأيتها فى نسوة من قومها فقلت أهذه مىّ واومأت اليها فقلن نعم فقلت ما ادرى ما كان يعجب ذا الرمة منك وما اراك على ما كان يصف فتنفست الصعداء وقالت انه كان ينظر الى بعينين وانت تنظر الى بعين واحدة وروى الاصمعى عن رجل من أهل الشام قال: قدمت المدينة فقصدت منزل ابن هرمة فاذا بنية له تلعب فقلت لها مافعل أبوك، قالت وفد الى بعض الاخوان، قلت فانحرى لنا ناقة فانا أضيافك، قالت ياعماه والذى خلقك ماعندنا شئ، قلت فباطل ماقال أبوك، قالت فما قال، قلت قال

كم ناقةٍ قدْ وجأتُ مَنحَرَها * لِمُستهلِّ الشؤْبوبِ أوْ جمـلِ

قالت ياعماه فذلك القول من أبى أصارنا الى أن ليس عندنا شئ، قال وأتى زياد الاقطع باب الفرزدق وكان له صديقاً فخرجت اليه ابنة الفرزدق وكانت تسمى مكية وأمها حبشية فقال لها ما اسمك قالت مكية قال ابنة من قالت ابنة الفرزدق قال فأمك قالت حبشية فأمسك عنها فقالت مابال يدك مقطوعة قال قطعها الحرورية قالت بل قطعت فى اللصوصية قال عليك وعلى أبيك

لعنة الله ، وجاء الفرزدق فأخبر بالخبر فقال أشهد انها ابنتي ، وأنشا يقول

حامِ إذا ما كنتَ ذا حَميّة * بدارميّ بنتُــهُ صَبيه
صَمَخْمَحٍ مثلَ أبي مَكّيّة

وحدث سليمان بن عباس السعدي قال : كان كثير يلقى حاج أهل المدينة بقديد على ست مراحل فتعل عاما من الاعوام غير يومهم الذي نزلوا فيه فوقف حتى ارتفع النهار فركب جملا في يوم صائف ووافى قديداً وقد كلّ بعيره وتعب فوجدهم قد ارتحلوا وقد بقي فتى من قريش فقال الفتى لكثير اجلس قال فجلس كثير الى جنبي ولم يسلم على فجاءت امرأة وسيمة جميلة فجلست الى خيمة من خيام قديد واستقبلت كثيراً فقالت أنت كثير ، قال نعم ، قالت أنت ابن أبي جمعة قال نعم ، قالت أنت الذي تقول

وكنتُ إذا ما جئتُ أجْلَلْنَ مجلسي * وأضمرْنَ مني هيبةً لا تَجَهُّما

قال نعم قالت فعلى هذا الوجه هيبة ان كنت كاذبا فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين قال فضجر كثير وقال ومن أنت فسكتت ولم تجبه بشيء فسأل الموالي التي في الخيام عنها فلم يخبرنه فضجر واختلط عقله فلما سكن قالت أنت الذي تقول

مَتى تَنْشُرا عني العمامةَ تُبْصِرا * جميلَ المُحَيّا أغفلَتْهُ الدَّواهِنُ

أهذا الوجه جليل ان كان كاذبا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين فاختلط وقال لو عرفتك لفعلت وفعلت فلما سكن قالت له أنت الذي تقول

يَرُوقُ العُيونَ الناظراتِ كأنهُ * هِرَقْليٌّ وَزْنٍ أحمرُ التبرِ راجحُ

أهذا الوجه الذي يروق الناظرات ان كنت كاذبا فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين قال فازداد ضجراً واختلط وقال لو عرفتك والله لقطعتك وقومك هجاء ثم قام فاتبعته طرفي حتى توارى عني ثم نظرت الى المرأة فاذا هي قد غابت عني فقلت لمولاة من بنات قديد لك الله على ان اخبرتيني من هذه المرأة أن أطوي لك ثوبي هذين اذا قضيت حجي ثم اعطيكهما فقالت والله لو أعطيتني زنتهما ذهباً ما أخبرتك من هي هذا كثير مولاي لم اخبره قال القرشي فرحت وبي اشد مما بكثير قيل وقدم كثير الكوفة وكان شيعياً من اصحاب محمد بن الحنفية فقال دلوني على منزل قطام قيل له : وما تريد منها قال اريد ان او بخها في قتل على بن ابي طالب صلوات الله عليه فقيل له عد عن رايك فان عقلها ليس كعقول النساء قال لا والله لا انتهى حتى انظر اليها واكلمها فخرج يسأل عن منزلها حتى دفع اليها فاستأذن فأذنت له فرأى امراة برزة قد تخددت وقد حنا الدهر من قناتها فقالت من الرجل قال كثير بن عبد الرحمن قالت التيمي الخزاعي قال التيمي الخزاعي ثم قال لها

انت قطام قالت نعم قال انت صاحبة علىّ بن ابى طالب صلوات الله عليه قالت بل صاحبة عبد الرحمن بن ملجم قال أليس هو قتل علياً قالت بل مات باجله قال والله انى كنت أحب أن أراك فلما رأيتك نبت عيني عنك وما ومقك قلبي ولا احلوليت فى صدرى قالت أنت والله قصير القامة صغير الهامة ضعيف الدعامة كما قيل لان تسمع بالمعيدى خير من أن تراه فأنشأ كثير يقول

رَأَتْ رَجلاً أَوْدى السّفارُ بجسمه * فلمْ يبْقَ إلا منطقٌ وجَناجنْ

قالت لله درك ماعرفت الا بعزة تقصيراً بك قال والله لقد سار لها شعرى وطار بها ذكرى وقرب من الخلفاء مجلسي وانها لكما قلت فيها

وإنْ خفيتْ كانتْ لعينيْكَ قرّةً * وإنْ تبدُ يوْماً لم يعُمّكَ عارُها

من الخفرات البيض لم ترَ شقْوةً * وفى الحسَبِ المَحْض الرّفيع نجارُها

فما روْضةٌ بالحزْن طيبةُ الثرى * يمُجُّ الندى جَثْجاثُها وعَرارُها

بأطيبَ منْ فيها إذا جئتَ طارقا * وقداً وُقدتْ بالمنْدَل الرّطب نارُها

قالت والله ماسمعت شعراً أضعف من شعرك هذا والله لو فعل هذا بزنجية طاب ريحها ألا قلت كما قال امرؤ القيس

ألم ترَ أنى كلما جئتُ طارقا * وَجدْتُ بها طيباً وإن لم تطيّبِ

قال فلله درّ بلادك وخرج وهو يقول

ألحق أبلجُ لا تزيغُ سبيلهْ * والحقُّ يعرفهُ ذوُو الالبابِ

قال وقال المسيب راوية كثير انطلق كثير مرة فقال لى هل لك فى عكرمة ابن عبد الرحمن بن هشام وهو يومئذ على حنظلة بن عمرو بن تميم فقلت نعم قال فخرجنا نريده حتى اذا صدرنا عن المدينة اذا نحن بامرأة على راحلة تسير فسرت حذاءها فقالت أتروى لكثير شيئاً قلت نعم قالت أنشدنى فأنشدتها من شعره فقالت أين هو قلت هو ذاك الذى ترين على غير الطريق فقالت بعد أن دنت منه قاتل الله روج عزة حيث يقول

لعمرُكَ ماربّ الرّباب كُثيّرٌ * بفحلٍ ولا آباؤهُ بفحولِ

فغضب كثير وسار وتركها ثم نزل منزلا فجاءت جاريةً لها تدعوه فأبى كثير أن يأتيها فقلت ما رأيت مثلك قط امرأة مثل هذه ترسل اليك فتأبى عليها فلم أزل به حتى أتاها قال فسفرت عن وجهها فاذا هى اجمل الناس وأكملهم ظرفاً وعقلا واذا هى غاضرة ام ولد بشر بن مروان فصحبناها حتى كنا بزبالة قالت بنا الطريق فقالت له هل لك أن تاتى الكوفة فاضمن لك على بشر الصلة والجائزة فابى وأمرت له بخمسة آلاف درهم ولى بالفين فلما اخذنا الخمسة آلاف قال ما اصنع

بعكرمة وقد اصبت ما ترى فذلك قوله حيث يقول

شَجا أظعانُ غاضرَةَ الغوادى * بغيرِ مشُورةٍ عِوَضاً فؤادى
أغاضرَ لوْ رأيتِ غداةَ بنتم * حُنُوَّ العائداتِ على وِسادى
رَثَيتِ لعاشقٍ لم تشكميه * جوانحُـهُ تلذَّعُ بالزِّنادِ

ـ الشكمة ـ العطية و ـ الزناد ـ جمع زند وهو عود يقدح منه النار قال الحكم ابن صخر الثقفى حججت فرأيت باقرة امرأتين لم أر كحما لهما وظرفهما وثيابهما فلما حججت وصرنا باقرة اذا انا باحدى الجارتين قد جاءت فسالت سؤال منكر فقلت فلانة قالت فداك أبى وأمى رأيتك عاما أول شابا سوقة والعام شيخا ملكا وفى وقت دون ذلك ماتنكر المرأة صاحبها فقلت مافعلت اختك فتنفست الصعداء وقالت قدم علينا ابن عم لنا فتزوجها فخرج بها الى نجد فذاك حيث أقول

إذا ما قفلْنا نحوَ نجدٍ وأهلِهِ * فحسبى منَ الدُّنيا القُفُولُ إلى نجدِ

فقلت أما انى لو أدركتها لتزوجتها قالت فداك أبى وأمى فما يمنعك من شريكتها فى حسنها وشقيقتها فى حسبها قالت قول كثير

إذا وصَلَتْنا خُلّةٌ كىْ تُزِيلَنا * أبيْنا وقلنا الحاجبيَّةُ أوّلُ

قالت وكثير بينى وبينك اليس هو الذى يقول

هلْ وصلُ عَزَّةَ إلا وَصلُ غانيةٍ * فى وصلِ غانيةٍ منْ وصلِها خَلَفُ

قال فتركت جوابها ولم يمنعنى منه الا العى

— محاسن النساء —

قيل ، أحسن النساء الرقيقة البشرة النقية اللون يضرب لونها بالغداة الى الحمرة وبالعشى الى الصفرة ، وقالت العرب المرأة الحسناء أرق ماتكون محاسن صبيحة عرسها وأيام نفاسها وفى البطن الثانى من حملها ، وقيل لاعرابى أتحسن صفة النساء ، قال نعم اذا عذب ثناياها وسهل خداها ونهد ثدياها وفعم ساعداها والتف فخذاها وعرض وركاها وجدل ساقاها فتلك هم النفس ومناها و وصف اعرابى امرأة فقال كان وجهها السقم لمن رآها والبرء لمن ناجاها وذكر اعرابى امرأة فقال أرسل الحسن الى خديها صفائح نور ورشق السحر عن لحظها بأسهم حداد ولقد تأملت فوجدت للبدر نوراً من بعض نورها . وذكر اعرابى امرأة فقال هى شمس تباهى بها شمس سمائها وليس لى شفيع اليها غيرها فى اقتضائها ولكنى كتوم لفيض النفس عند امتلائها . وذكر اعرابى امرأة فقال ما أحسن من حبها نعاسا ولا أنظر اليها الا اختلاسا وكل امرى منها يرى ما أحب وذكر

اعرابى امرأة فقال لها جلد من لؤلؤ رطب مع رائحة المسك الاذفر فى كل عضو منها شمس طالعة
ومما جاء فى الحسن من الشعر قال عبد الله بن المعتز أنشدنى أبو سهل اسماعيل بن على لابى الصواعق

ومريض طرف ليس يصرف طرفه * نحو المدى إلا رماه بحتفه
ظبى له نظر ضعيف كلما * قصد القوى أتى عليه بضعفه
قد قلت لما مر يخطر مائساً * والردف يجذب خصره من خلفه
يامن يسلم خصره من ردفه * سلم فؤاد محبه من طرفه

فقلت فى هذا المعنى وعلى هذا الوزن

وحياة من جرح الفؤاد بطرفه * لأحبرن قصائدى فى وصفه
قمر به قمر السماء متيم * كالغصن يعجب نصفه من نصفه
إنى عجبت لخصره من ضعفه * ماذا تحمل من ثقالة ردفه
هذا وما أدرى بأية فتنة * جرح الفؤاد بلطفه أم طرفه
أم بالدلال أم الجمال أم الضيا * من وجهه أم بالقفا من خلفه

وأنشد أبو الحسين بن فهم لابى نواس

كفاك مامر على راسى * من شادن قطع أنفاسى
أكثر ما أبلغ فى وصفه * تحيرى من قلبه القاسى
أغار أن أنعت منه الذى * ينعته الناس من الناس
ولم أر العشاق قبلى رأوا * بوصف من يهوون من باس
كل أحاديثى نعت له * منكشف منى لجلاسى

فقلت فى هذا المعنى وهذا الروى والوزن

لو عشر ما مر على راسى * مر بصلد حجر قاسى
لانصدعت منه صدوع كما * صدع قلبى طول وسواسى
ياغصن آس ومحال إذا * قصرت تشبيهك بالآس
ماذا على طرفك لو أنه * أعار لحظاً منه قرطاسى
ليتك عللت بمطل ولم * تقطع رجائى منك بالياس

وقال آخر

وزائرةٍ يحثُّها الشَّوْقُ طارِقَهْ * أتتنا من الفِرْدوْسِ لا شكَّ آبِقَهْ
إذا ما تثنَّتْ قال للرِّيحِ قدُّها * كذا حرِّكِ الأغصانَ إنْ كنتِ صادِقه

وقال آخر

قدْ أقبلَ البدْرُ فى قراطِقهِ * يَسلُبُ بالدَّلّ قلبَ عاشقِهِ
يَسطو عليهِ بسيفِ مُقلتهِ * لا بالذى شدَّ فى مناطقِهِ

وقال آخر

قلْ للمِلاحِ الحدَقِ * وللحِسانِ الخلَقِ
هلْ فى فؤادى للقُوَى * أوْ جسدِى شئٌ بقى
إن لم تُزوِّدوا عطشى * بُخلاً فبلُّوا رَمَقى
يا مُقلةً أجفانُها * محشوَّةٌ بالأرَقِ
بقيتِ فى رقِّ الهوى * شقيَّةً فمنْ شقى

وقال آخر

يا مِلاحَ الدَّلالِ والإغتناجِ * ما أرى القلبَ مِنْ هوا كُنَّ ناجى
أنت زَرْقنتَ فوقَ خدَّيْك صدْغا * مِنْ عبيرٍ على صفائحِ عاجِ
أشرَقتْ وَجنتاك بالنورِ حتى * أغنتا الخلْقَ عنْ ضياءِ السِّراجِ
فعلَتْ مُقلتاك بالقلبِ منى * فعلةَ القرْمطِىّ بالحُجَّاجِ
يا هلالاً يستُ منه بضوْءٍ * جُنْحَ ليلٍ من الظلامِ الداجى

وقال آخر

نشرَتْ غدائرَ فرْعِها لتُظلَّنى * حذرَ العُيونِ من العُيونِ الرُّمَّقِ
فكأنها وكأنه وكأنَّنى * صُبحانِ باتا تحتَ ليلٍ مُطْبِقِ

وقال آخر

يا غزالاً وهلالاً * وقضيباً وكثيبا
كمْ وكمْ أُضمرُ وجداً * بك مكتوماً عجيبا
كيف يُرْجى بُرْءُ من قد * كتمَ الداءَ الطبيبا

وقال آخر

شمسٌ ممثلةٌ في خلقِ جاريةٍ * كأنما بطنها طيّ الطوامير
فالجسمُ من جوهرٍ والشعرُ من سبجٍ * والثغرُ من لؤلؤ والوجهُ من عاج

وقال آخر

نتيجُ دلالٍ حارَ في حسنهِ الطرْفُ * ففكرتُهُ قبرٌ ومنطقُهُ لطفُ
بديعُ جمالٍ زانهُ العقلُ والظرْفُ * سماويُّ لونٍ لا يحيطُ به وصفُ
لهُ ريقةٌ عُلّتْ بماءِ قرنفلٍ * يمازجُها التفاحُ والخمرةُ الصِّرفُ
تجسَّمَ في جسمٍ من النورِ ساطعٍ * تمكّنَ في دعصٍ ينوءُ به ردْفُ
على صحْنِ خدّيهِ بهارٌ منوّرٌ * وورْدٌ جنيٌّ لا يليقُ به القطفُ
تكاملَ فيهِ الحسنُ والنورُ والبها * كبدرِ الدجى إذ تمَّ من شهرِهِ النصفُ
براهُ إلهي لي عذاباً وفتنةً * فما عندهُ عدْلٌ ولا عندهُ عطفُ

وقال آخر

لكَ من قلبيَ المكانُ المصونُ * كلُّ لومٍ على فيكَ يهونُ
قدّرَ اللهُ أنْ أكونَ شقيًّا * بكَ والصبرُ عنكَ مالا يكونُ
ياغزالاً بلحظهِ يفتنُ النا * سَ وفي طرْفهِ الردى والمنونُ
لكَ صبرٌ وليسَ لي عنك صبرٌ * فأنا اليومَ هائمٌ محزونُ
قدْ خلعتُ العذارَ فيكَ حبيبي * ماأُبالي بما رمتني الظنونُ

وقال آخر

يا نظرةً جاءتْ على ياسٍ * منْ ساحرِ المقلةِ ميّاسِ
أطرافهُ تُعقدُ منْ لينها * وقلبهُ كالحجرِ القاسي
يلومُني الناسُ على حبهِ * أعانني اللهُ على الناسِ

وقال آخر

ياويحَ جسمٍ يذوبُ منْ قلقه * منْ حبِّ منْ لمْ أقفْ على خُلقهِ
منْ حبِّ ظبيٍ مهفهفٍ لبقٍ * يهتزُّ مثلَ القضيبِ في ورقهِ
لمْ ترَ عيني ولنْ ترى أبداً * أحسنَ منْ نحره ومنْ عُنقهِ
كأنما المسكُ حينَ تسحقهُ * بماءِ وردٍ يفوحُ منْ عرقه
أوْ خمرةٌ في الزجاجِ صافيةٌ * شيبتْ بماءِ السحابِ في نسقهِ

وقال آخر

أربعةٌ قرّحتْ فؤادي * فطالَ وجْدي وعيلَ صبري
مُقلةُ خشفٍ وقدُّ غُصنٍ * وطيبُ وَرْدٍ وحُسنُ بَدر
نفسي ومالي فداءُ ظبي * أذابَ جسْمي وليسَ يدْري
فمَنْ لِصبٍّ أسيرِ شوقٍ * قتيل صدٍّ بسيفِ هَجْر

وقال آخر

وما ريحُ ريحان بمسك وعنبرٍ * يُعلُّ بكافور ودُهنةِ بانِ
بأطيَبَ منْ رياحبيبي لوَ انّني * وَجدتُ حبيبي خالياً بمكان

(محاسن التزويج)

روى أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال . يارسول الله انى أريد أن أتزوج فادع الله أن يرزقني زوجة صالحة . فقال . لودعاك جبريل وميكائيل وأنا معهما ماتزوجت الا المرأة التى كتب الله لك ؛ نه ينادى فى السماء ألا أن امرأة فلان بن فلان فلانة بنت فلانة . وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بالابكار فانهن أطيب أفواها وأنتق أرحاماً . وقال عمر رضى الله عنه عليكم بالابكار واستعيذوا بالله من شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر .
قال الشاعر

لا تنكحنّ عجوزاً إن دُعيتَ لها * وإنْ حُبيتَ على تزْويجها الذّهبا
فإنْ أتوْك وقالوا إنها نَصَفٌ * فإنّ أطْيبَ نصفيْها الذى ذهبا

وقال آخر

عليك إذا ما كنتَ لابدَّ ناكِحا * ذواتُ الثنايا الغرّ والاعينِ النُّجْلِ
وكلُّ هضيمِ الكشْحِ خفاقةِ الحشا * قطوفِ الخُطا بلْهاءَ وافرةِ العقل

وقال الحارث بن كلدة لاتنكحوا من النساء الا الشابة ولا تأكلوا من الحيوان الا الفتى ولا من الفاكهة الا النضيج وقال مغيرة بن شعبة حصنت تسعا وتسعين امرأة ما أمسكت واحدة منهن على حب ولكنى أحفظها لمنصبها وولدها فكنت استرضيهن بالباه شابا فلما ان شبت وضعفت عن الحركة استرضيتهن بالعطية وقال بعضهم لذة المرأة على قدر شهوتها وغيرتها على لذتها وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انما النساء لعب فاذا تزوج أحدكم فليستحسن وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال تزوجها سمراء ذلفاء عيناء فان فركتها فعلى صداقها

وقال الحجاج بن يوسف من تزوج قصيرة فمن يجدها على ما يريد فعلي صداقها وروى عن علي صلوات الله عليه ان رجلا أتاه فقال اني تزوجت امرأة مجنونة فقالت المرأة يا أمير المؤمنين انه ياخذني عند الجماع غشية فقال للرجل قم ما أنت لها باهل وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إياكم وخضراء الدمن وهي المرأة الحسناء في المنبت السوء وقال بعضهم لا تتزوجن حنانة ولا أنانة ولا منانة ولا عُشْبَة الدار ولا كية القفا — فاما الحنانة — فالتي قد تزوجها رجل من قبل فهي تحن اليه — والأنانة — التي تأن من غير علة — والمنانة — التي لها مال تمن به — وعشبة الدار — الحسناء في اصل السوء — وكية القفا — التي اذا قام زوجها من المجلس قال الناس فعلت امرأة هذا كذا وفعلت كذا ، وقال محمد بن علي رضي الله عنهما اللهم ارزقني امرأة تسرني اذا نظرت وتطيعني اذا أمرت وتحفظني اذا غبت ، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ، اذا خطب أحدكم امرأة فلا جناح عليه ان ينظر اليها وان كانت لا تعلم ، وقال بعض الشعراء في تزويج الشبه

إذا أردْتَ حُرَّةً تبغيها * كريمةً فانْظرْ إلى أخيها
يُنْبيكَ عنها وإلى أبيها * فإنَّ أشْباهَ أبيها فيها

وقال آخر

إذا كنتَ مُرْتاداً لنفسِكَ أيِّما * لِنَجلِكَ فانظرْ مَنْ أبوها وخالُها
فإنهما منها كما هيَ منهما * كما النَّعْلُ إنْ قِيستْ بنعلٍ مِثالُها

وقال آخر

إذا كنتَ عَنْ عينِ الصّبيةِ باحثاً * فأبْصِرْ ترَى عينَ الصبيّ فذالكا

قال خالد بن صفوان لدلال: أطلب لي امرأة بكرا أو ثيبا كبكر حصانا عند جارها ماجنة عند زوجها قد أدبها الغنى وذللها الفقر لا ضرعة صغيرة ولا عجوزا كبيرة قد عاشت في نعمة وادركتها حاجة لها عقل وافر وخلق طاهر وجمال ظاهر صلتة الجبين سهلة العرنين سوداء المقلتين خدلجة الساقين لفاء الفخذين نبيلة المقعد كريمة المحتد رخيمة المنطق لم يداخلها صلف ولم يشن وجهها كلف ريحها أرج ووجهها بهج لينة الاطراف ثقيلة الارداف لونها كالرق وثديها كالحق أعلاها عسيب واسفلها كثيب لها بطن مخطف وخصر مرهف وجيد أتلع ولب مشبع تتثنى تثني الخيزران وتميل ميل السكران خسنة المآق في خسن البراق لا الطول ازرى بها ولا القصر، قال الدلال: استفتح ابواب الجنان فانك سوف تراها، وقال أيضا: لا تتزوج واحدة فتحيض اذا حاضت وتنفس اذا نفست وتعود اذا عادت وتمرض اذا مرضت ولا تتزوج اثنتين فتقع فيما

بين الجمرتين ولا تتزوج ثلاثا فتقع بين اثافى ولا تتزوج أربعا فيحقرنك ويهرمنك ويفلسنك ، فقال له رجل ، حرمت ما أحل الله ، فقال ، طمران وكوزان ورغيفان وعبادة الرحمن ، وعن صالح بن حسان قال ، رأيت امرأة بالمدينة يقال لها حواء وهى التى علمت نساء المدينة النقع وهو النخر والحركه والغربلة والرهز وكانت لها سقيفة تتحدث اليها رجالات قريش ولم يكن فى المدينة أهل بيت الا وتأخذ صبيانهم وتمصهم ثديها أو ثدى احدى بناتها فكان أهل المدينة يسمونها حواء ولم يكن بالمدينة شريف ممن يجلس فى سقيفتها الا واوصل اليها فى السنة ثلاثين وسقاوا كثر من طعام وتمر مع الدنانير والدراهم والخدم والكساء فجاءها ذات يوم مصعب بن الزبير وعمرو بن سعيد بن العاص وابن لعبد الرحمن بن أبى بكر فقالوا لها ياخالة قد خطبنا نساء من قريش ولسنا ننتفع الا بنظرك اليهن فارشدينا تفضل علمك فيهن فقالت لمصعب ياابن أبى عبد الله ومن خطبت قال عائشة بنت طلحة قالت فانت ياابن الصديق قال أم القاسم بنت ذكرياء ابن طلحة قالت فانت ياابن أبى أحيحة قال زينب بنت عمرو بن عثمان فقالت ياجارية على عنقلى — تعنى خفها — فانتعلتهما وخرجت ومعها خادم لها فاتت عائشة بنت طلحة فقالت مرحبا بك ياخالة فقالت يابنية انا كنا فى مادبة لقريش فلم تبق امرأة لها جمال الا ذكرت وذكر جمالك فلم أدر كيف أصفك تجردى لا نظرك فالقت درعها ثم مشت فارتج كل شىء منها ثم أقبلت على مثل ذلك فقالت فداك أبى وأمى خذى ثوبيك وأنتهن جميعا على مثل ذلك ثم رجعت الى السقيفة فقالت ياابن أبى عبد الله ما رأيت مثل عائشة بنت طلحة قط ممتلئة الترائب زجاء العينين هدبة الاشفار مخطوطة المتنين ضخمة العجيزة لقاء الفخذين مسرولة الساقين واضحة الثغر نقية الوجه فرعاء الشعر الا انى رأيت خلتين هما أعيب ما رأيت فيها أما احداهما فيواريها الخف وهى عظم القدم والاخرى يواريها الخمار وهى عظم الاذن وأما انت ياابن أحيحة فما رأيت مثل زينب بنت عمرو قراهة قط الا ان فى الوجه ردة ولكنى مشيرة عليك بأمر تستانس اليه وهى ملاحة تعتز بها وأما أنت ياابن الصديق فوالله ما رأيت مثل أم القاسم ما شبهتها الا بخوط بانة تتثنى أوخشف يتقلب على رمل ولم أرها الا فوق الرجل واذا زادت على الرجل المرأة لم تحسن لا والله الا من يملا المنكبين فتزوجوهن وقال اعرابى فى أخت له تزوجت بغير كفؤ

ولو زَ كَبَتْ ماحرَّمَ اللهُ لم يكنْ * بأقبحَ عندَ اللهِ مما استحلَّتِ

قال ، وكان بالمدينة رجل قد أعطى جودة الرأى ولم يكن فيها من يريد ابرام أمر الا شاوره فاراد رجل من قريش أن يتزوج فاتاه فقال انا أريد أن أضم الى أهلا فاشر على قال افعل تحصن دينك وتصن مؤونتك وإياك والجمال البارع قال ولم نهيتنى وانما هو نهاية ما يطلب الناس قال لانه ما فاق الجمال الا لحقه قول أما سمعت قول الشاعر

ولنْ تصادِف مرْعىً مُونِقاً أبداً * إلا وَجَدْتَ بهِ آثارَ مأكولِ

قيل وكانت جارية من بنات الملوك تكره التزويج فاجتمع عندها نسوة فتذاكرن التزويج وقلن لها ما يمنعك منه قالت وما فيه من الخير . قلن وهل لذة العيش الا في التزويج . قالت فلتصف كل واحدة منكن ما عندها فيه من الخير حتى أسمع . فقالت احداهن زوجي عوني في الشدائد وهو عائدي دون كل عائد إن غضبت عطف وان مرضت لطف . قالت نعم الشيء هذا . قالت الاخرى زوجي لما عناني كاف ولما اسقمني شاف عرقه المسك المداف وعناقه كالخلد ولا يمل طول العهد . قالت هذا خير منه . قالت الاخرى زوجي الشعار حين ابرد وأنيسي حين افرد . فتزوجت فقلن لها . يافلانة كيف رأيت . قالت . أنعم النعيم وسروراً لا يوصف ولذة ليس منها خلف

- أمثال في التزويج -

قيل أن اول من قال * لا هنك انقيت ولا ماءك ابقيت * الضب بن اروى الكلاعي وذاك انه خرج من ارضه فلما سار اياماً حار في تلك المفاوز التي تعسفها وتخلف عن اصحابه وبقي فرداً يعسف فيها ثلاثة ايام حتى دفع الى قوم لا يدري من هم فنزل عليهم وحدثهم وكان جميلا وان امراة من افاضل اولئك هويته فارسلت اليه ان اخطبني فخطبها وكانوا لا يزوجون إلا شاعرا أو رجلا يزجر الطير أو يعرف عيون الماء فسألوه فلم يحسن شيئا من ذلك فلم يزوجوه فلما رأت المرأة ذلك زوجته نفسها على كره من قومها فلبث فيهم ما لبث ثم ان رجلا من العرب أغار عليهم في خيل فاستأصلهم فتطير وابضب وأخرجوه وامرأته وهي طامث فانطلقا واحتمل ضب شيئا من ماء ومشيا يوما وليلة الى الغد حتى اشتد الحر وأصابهما عطش شديد فقالت له ادفع الى السقاء حتى اغتسل به فانا ننتهي الى الماء ونستقي فاغتسلت بما في السقاء ولم يقع منها موقعا وأتيا العين فوجداها ناضبة وأدركهما العطش فقال ضب لا هنك انقيت ولا ماءك ابقيت فذهبت مثلا ثم استظلا تحت شجرة كبيرة . فانشا ضب يقول

تاللهِ ما ظِلّةٌ أصابَ بها * سوادَ قلبي قارعُ العَطَبِ
ظلَّ كئيبَ الفؤادِ مضطرباً * وتكتسي منَ غدائرٍ قُلُبِ
أنْ يعرِفَ الماءَ تحت صُمّ صفاً * أو يُخبرَ الناسَ منطقَ الخُطَبِ
أخرَجني قوْمُها بأنْ رَحاً * ذارَبْ بشؤْمٍ لهم على قُطَبِ

فلما سمعت ذلك فرحت وقالت قم فارجع الى قومي فانك شاعر فانطلقا راجعين حتى انتهيا اليهم فاستقبلوهم بالسيف والعصا فقال لهم ضب اسمعوا اشعري ثم ان بدالكم أن تقتلوني بعد

فافعلوا فتركوه فصار فيهم عزيزا • وقيل ان أول من قال * فى الصيف ضيعت اللبن *
قتول بنت عبد وكانت تحت رجل من قومها فطلقها وانها رغبت فى ان يراجعها فابى عليها فلما يئست خطبها رجل يقال له عامر بن شوذب فتزوجها فلما بنى بها بدا للزوج الاول مراجعتها وهوى بها هوى شديدا فجاء يطلبها ويرنو بنظره اليها ففطنت به فقالت

أتركتنى حتى إذا * علقت أبيض كالشطنْ
أنشأت تطلبُ وصلنا * فى الصَّيفِ ضيَّعتَ اللَّبنْ

فذهب مثلا فقال لها زوجها الاول واسمه الاشق فهل بقى شئ قالت نعم فاصله عن جميع مالك وطلاقى فان فصلته تزوجتك فرضى بذلك ثم راجع نفسه فقال لها ذلك فقالت أما اذا ضننت بمالك فانطلق الى مكان اذا أنت تكلمت سمع زوجى كلامى وكلامك ثم اقعد كانك لا تشعر به وقل

لحا اللهُ بنتَ العبدِ إنّ وصالها * وصالٌ مَلولٍ لاتدومُ على بَعلِ
تحدّثنى أنْ سوفَ تقتُلُ عامراً * لانْ لمْ يكنْ فى مالهِ عامرٌ مثلى
فهيهاتَ تزويجُ التى تقتلُ الفتى * إذا ما أبتْ يوماً وإنْ كانَ منْ أجلى
فتقتلنى يوماً إذا هويتْ فتىً * سواىَ وإنى اليومَ منْ وصلها مُجلى

فانطلق الاشق ففعل ما أمرته به فسمعه عامر فوقع فى قلبه قوله وقد كان عرف حبها له فصدق ذلك ودخل عليها فطلقها وتزوجها الاشق وذكروا أن بطنا من قريش اشتدت عليهم السنة وكانت فيهم جارية يقال لها زينب من اكمل نسائهم جمالا واتمهن تماما واشرفت فرآها شاب يقال له عروة فوقعت فى قلبه فجعل يطالعها ولا يقدر على اكثر من ذلك فاشتد وجده بها فلما نقضت السنة وأرادوا الرجوع الى منازلهم دعا بعض جوارى الحى فقال يا ابنة الكرام هل لك فى يد تتخذين بها عندى شكرا قالت ما احوجنى الى ذلك ، قال تنطلقين الى خيمة فلانة كانك تقتبسين نارا فاذا انت جلست فقولى حيث تسمع زينب

ألا هلْ لنا قبلَ التفرُّقِ ليلةٌ * ويومٌ فتقضىَ كلّ نفسٍ مُناها

فانطلقت الجارية ففعلت ذلك فلما سمعت زينب قولها وكانت تفلى رأس زوجها وكان عنده اخ له • فقالت مجيبة لها

لعَمرى لقدْ طالَ المقامةُ هاهُنا * لوآنّ لحبٍّ حاجةٌ لقضاها

فسمع اخو الزوج قول الجارية وجواب زينب فقال

ألا يعْلمُ الزَّوْجُ المُفلّى بأنّها * رسالةُ مَشغوفِ الفؤادِ رجاها

فانتبه الزوج لامرهم وعرف ما أرادت فقال

لَحَىَ اللهُ مَنْ لا يَسْتقيمُ بوِدّه * ومنْ يمنحُ النفسَ الطروبَ هواها

انطلقي يا زينب فانت طالق فخرجت من عنده وبعثت الى عروة فاعلمته واقامت حتى انقضت عدتها ثم تزوجته

﴿ في الناشزة ﴾

ذكروا أن الاخطل كانت عنده امرأة وكان بها معجبا فطلقها وتزوج بمطلقة رجل من بني تغلب وكانت بالتغلبي معجبة فبينا هي ذات يوم جالسة مع الاخطل اذ ذكرت زوجها الاول فتنفست الصعداء ثم ذرفت دموعها فعرف الاخطل ما بها فذكر امرأته الاولى وأنشأ يقول

كِلانا على وَجدٍ يَبيتُ كأنما * بجنبيهِ من مَسّ الفِراشِ قُرُوحُ

على زوجها الماضي تنوحُ وزوجُها * على الطَّلّةِ الاُولى كذاك ينوحُ

قيل، وخاصمت امرأة زوجها الى زياد فجعلت تعيبه وتقع فيه، فقال الزوج. أصلح الله الامير إن شر المرأة كبرها ان المرأة اذا كبرت عقم رحمها وبذ ألسانها وساء خلقها والرجل اذا كبر استحكم رأيه وقل جهله، قال صدقت وحكم له بها، وذكروا أن امرأة أتت عبيد الله ابن زياد وكانت ذات شحم وجسم وجمال مستعدية على زوجها وكان أسود دميم الخلقة فقال. ما بال هذه المرأة تشكوك، قال أصلح الله الامير سلها عما ترى من جسمها وشحمها أمن طعامي أم من طعام غيري، قالت من طعامك افتمن على بطعام اطعمتنيه والكلاب تأكل. قال سلها عن كسوتها من مالي هي أم من مال غيري. قالت من مالك افتمن علي بثوب كسوتنيه قال وسلها عما في بطنها مني هو أم من غيري. قالت منك ووددت أنه في بطني من كلب. قال الرجل أصلح الله الامير فما تريد المرأة الا أن تطعم وتكسى وتنكح. قال صدقت فخذ بيدها. قال. خرج رجل مع قتيبة بن مسلم الى خراسان وخلف امرأة يقال لها هند من أجمل نساء زمانها فلبث هناك سنين فاشترى جارية اسمها جمانة وكانت له فرس يسميه الورد فوقعت الجارية منه موقعاً فأنشأ يقول

ألا لا أُبالي اليومَ ما فعلتْ هندُ * إذا بقيتْ عندي الجُمانةُ والوردُ

شديدُ مَناطِ القُصْرَيينِ إذا جرى * وبيضاءَ مثلِ الرئْم زيّنها العقدُ

فهذا لأيّامِ الهِياجِ وهذه * لحاجةِ نفسي حين ينصرفُ الجُندُ

فبلغ ذلك هند فكتبت اليه

ألا أقرِه مني السّلامَ وقلْ لهُ * غُنينا بفِتيانٍ غَطارفةٍ مُرْدِ

فهــذا أميرُ المؤمنــين أمــيرُهمْ * سَــبانا وأغنا كمْ أرازلةَ الجندِ

إذا شاءَ منهمْ ناشئٌ مدَّ كفّــهُ * إلى كَبدٍ مَلساءَ أو كَفَلٍ نَهْدِ

فلما قرأ كتابها أتى به الى قتيبة فأعطاه إياه فقال له أبعدك الله هكذا يفــعل بالحرة وأذن له فى الانصراف . قال وسمع عمر بن الخطاب امرأة تنشد وتقول

فمنهنَّ مَنْ تُسقىٰ بعذْبٍ مُبرَّدٍ * نُقاخٍ فتِلْكمْ عندَ ذلك قرَّتِ

ومنهنَّ مَنْ تُسقىٰ بأخضرَ آجِنٍ * أُجاجٍ فلولا خشيةُ اللهِ فرَّتِ

فأمر باحضار زوجها فوجده متغير الفم فخيره جاريه من المغنم أو خمسة مائة درهم على طلاقها فاختار الخمسمائة فدفعت اليه وخلى سبيلها . وحكى عن الفضــل بن الربيع أنه كان بمكة ومعــه الفرج الرخجى وكان الفضــل صبيحاً ظريفاً والفرج دميما قبيحاً فخرجا الى الطواف ثم انصرفا الى بعض طرقات مكة وقعــدا يتغــديان فبينماهما كذلك على طعامهما اذ وقفت عليهــما امرأة جميلة بهيئة حسنة شكلة وعليها برقع فرفعته عن وجهها فاذا وجه كالدينار وذراع كالجمار فسلمت وقعدت وجعلت تأكل معهما قال الفضل فأعجبنى ما رأيت من جمالها وهيئتها . فقلت هــل لك من بعل . قالت لا قلت فهــل لك فى بعــل من أصحاب امير المؤمنين حسن الخلق والخلق قالت وأين هو . فأشار الى فرج فقالت . جوابك عند فراغنا فلما أكلت قالت للفضــل تقرأ شيئاً من كتاب الله قال نعم قالت أفتؤمن به قال نعم قالت فان الله يقول ﴿ومن يكن الشيطانُ له قريناً فساءَ قريناً﴾ فضحك الفضــل ودخل على الرشــيد فأخــبره فأمر باحضارها فلما نظر اليها أعجب بها فتزوجها وحملها الى مدينة الســلام . قال وحج اسماعيل بن طريح فوقفت عليــه أعرابية جميــلة قال فقال لها . هل لك أن تزوجينى نفسك . فقالت من غير توقف

بكى الحسَبُ الزاكى بعــين غزيرةٍ * من الحسَبِ المنقوصِ أن يُجمَعامعا

وانصرفت . قال العتبى كنت كثير التزوج فمررت بامرأة فأعجبتــنى فأرسلت اليها ألك زوج قالت لا فصرت اليها فوصفت لها نفسى وعرفتها موضعى فقالت . حسبك قــد عرفناك . فقلت لها زوجينى نفسك فقالت نعم ولــكن ها هنا شئ تحتمــله قلت وما هو قالت بياض فى مفرق رأسى . قال فانصرفت فصاحت بى أرجع فرجعت اليها فاسفرت عن رأسها فنظرت الى وجــه حسن وشعر أسود فقالت . انا كرهنا منك عافاك الله ما كرهت منا . وأنشدت

أرى شيبَ الرجالِ من الغــوانى * بموْضــعِ شيبِهنّ من الرجالِ

وعن عطاء بن مصعب قال . جاءت امرأة الى عمر بن الخطاب رضى الله عنــه فقالت . ياأمير المؤمنــين لا أنا ولا زوجى فقال لها . ومالك من زوجــك قالت . مر باحضاره فأحضر فاذا

رجل قذر الثياب قد طال شعر جسده وأنفه ورأسه فأمر عمر أن يؤخذ من شعره ويدخل الحمام ويكسى ثوبين أبيضين ثم يؤتى به ففعل به ذلك ودعا المرأة فلما رأت الزوج قالت الآن فقال لها عمر اتقي الله وأطيعي زوجك . قالت افعل يا أمير المؤمنين فلما ولت قال عمر تصنعوا للنساء فانهن يحببن منكم ما تحبون منهن . ويقال أن المرأة تحب أربعين سنة وتقوى على كتمان ذلك وتبغض يوما واحداً فيظهر ذلك بوجهها ولسانها والرجل يبغض أربعين سنة فيقوى على كتمان ذلك وان أحب يوما واحداً شهدت جوارحه

(نساء الخلفاء)

علي بن محمد بن سليمان قال أبي يقول كان المنصور شرط لام موسى الحميرية أن لا يتزوج عليها ولا يتسرى وكتبت عليه بذلك كتابا أكدته وأشهدت عليه بذلك فبقي مدة عشر سنين في سلطانه يكتب الى الفقيه بعد الفقيه من أهل الحجاز وأهل العراق وجهد أن يفتيه واحد منهم في التزويج وابتياع السراري فكانت أم موسى اذا علمت مكانه بادرته وأرسلت اليه بمال فاذا عرض عليه أبو جعفر الكتب لم يفته حتى ماتت بعد عشر سنين من سلطانه ببغداد فأتته وفاتها وهو بحلوان فأهديت اليه مائة بكر وكان المنصور أقطع أم موسى الضيعة المسماة بالرحبة فوقفتها قبل موتها على المولدات الاناث دون الذكور فهي وقف عليهن الى هذا الوقت . حدثنا يحيى بن الحسن عن محمد بن هشام قاضي مكة قال كانت الخيزران لرجل من ثقيف فقالت لمولاها الثقفي أني رأيت رؤيا . قال وما هي قالت رأيت كان القمر خرج من قبلي وكان الشمس خرجت من دبري . قال لها لست من جواري مثلي أنت تلدين خليفتين فقدم بها مكة فباعها في الرقيق فاشتريت وعرضت على المنصور فقال من أين أنت قالت المولد مكة والمنشأ بجرش قال فلك أحد قالت مالي أحد إلا الله وما ولدت أمي غيري . قال يا غلام اذهب بها الى المهدي وقل له تصلح للولد فأتى بها المهدي فوقعت منه كل موقع فلما ولدت موسى وهرون قالت ان لي أهل بيت بجرش . قال ومن لك . قالت لي أختان اسمهما أسماء وسلسل ولي أم واخوان فكتب فأتى بهم فتزوج جعفر بن المنصور سلسل فولدت منه زبيدة واسمها سكينة تزوجها الرشيد وبقيت اسماء بكراً فقال المهدي للخيزران قد ولدت رجلين وقد بايعت لهما وما احب ان تبقين أمة وأحب أن أعتقك وتخرجين الى مكة وتقدمين فأتزوجك قالت الصواب رأيت فأعتقها وخرجت الى مكة فتزوج المهدي أختها أسماء ومهرها ألف ألف درهم فلما أحسن بقدوم الخيزران استقبلها فقالت ما خبر اسماء وكم وهبت لها قال من اسماء قالت امرأتك قال ان كانت اسماء امرأتي فهي طالق فقالت له طلقتها حين علمت بقدومي قال أما إذ علمت فقد مهرتها ألف ألف درهم

و وهبت لها ألف ألف درهم ثم تزوج الخيزران قال كانت نخلة جارية الحسين الخلال قبل أن يتولى المتوكل الخلافة تقعد بين يديه وتغنيه فولدت للحسين ابناً فلما ولى المتوكل الخلافة طرقه ليلا فقال له الحسين زرتنا جعلت فداك قال اشتهيت أن أسمع غناء نخلة فأخرجها اليه مطمومة الشعر فقال يا خلال ألبس قد ولدت منك ابناً قال بلى قال فانا أحب أن تعتقها قال فانها حرة قال فاشهد إني قد تزوجتها قومي يا نخلة فاشتد ذلك على الحسين فعوضه منها خمسة عشر ألف دينار وحول اليه نخلة قيل ووصف للمتوكل ابنة لسليمان بن القاسم بن عيسى بن موسى الهادى وعدة من الهاشميات فحملن اليه وعرضن عليه فاختارها من بينهن وصرف البواقى ونزلت منه منزلة حتى ساوى بينها و بين قبيحة في المنزلة وكانت جارية لها ناقة وملاحة و وصفت له ريطة بنت العباس بن على فحملت اليه فتزوجها ثم سألها ان تطم شعرها وتتشبه بالمماليك فابت عليه فاعلمها ان لم تفعل فارقها فاختارت الفرقة فطلقها و وصفت له عائشة بنت عمر و بن الفرج الرخجي زوجه فى جوف الليل والسماء تهطل الى عمر أن احمل الى عائشة فسأله أن يصفح عنها فانها القيمة بامره فابى فانصرف عمر وهو يقول اللهم قنى شر عبدك جعفر ثم حملها بالليل فوطئها ثم ردها الى منزل أبيها قال وكان الهادى يشاور من أصحابه عبد العزيز بن موسى وعيسى بن دأب والعزيزى وعبد الله ابن مالك فخرج ذات يوم اليهم وهو مغضب كانه جمل هائج منتفخ الاوداج منتقع اللون فاقبل حتى جلس فى مجلسه وكان العزيزى اجرأهم عليه فقال يا امير المؤمنين انا نرى بوجهك ما كدر علينا عيشنا و بغض الدنيا الينا فان رأى أمير المؤمنين أن يخبرنا بالسبب فان كان عندنا حيلة أعلمناه بها وان تكن مشورة أشرنا بها وان امكن احتمال الغم عنه وقيناه بانفسنا وحملنا الغم عنه قال فاطرق طويلا والعزيزى قائم فقال له اجلس ياعزيزى فانى لم أر كصاحب الدنيا قط أكثر آفات وأعظم نائبة ولا أنغص عيشاً قال العزيزى وماذاك ياأمير المؤمنين قال لبانة بنت جعفر بن أبي جعفر قد علمتم موقعها منى و إثرتها عندى كلمتني بادلال فاغلظت فلم يكن لها عندى احتمال ولا عندها اقصار حتى وثبت عليها وضربتها ضرباً موجعاً قال وسكت فقال ابن دأب ياامير المؤمنين انك والله لم تأت منكراً ولا بديعاً قد كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤدبون نساءهم و يضربونهن هذا الزبير بن العوام حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته وثب على امرأته أسما بنت ابى بكر وهى افضل نساء اهل زمانها فضربها فى شئ عتب عليها فيه ضرباً مبرحا حتى كسر يدها وكان ذلك سبب فراقها وذلك انها استغاثت بولدها عبد الله فجاء يخلصها من ابيه فقال هى طالق ان حلت بيني و بينها ففعل و بانت منه وهذا كعب بن مالك الانصارى عتب على امرأته وكانت من المهاجرات فضربها حتى حال بنوها بينه و بينها فقال

فلولا بنوها حولها لخبطتها * كخبطة فروج ولم أتلعثم

قال فسرى عن موسى الغضب وطابت نفسه ودعا بالطعام فأكلنا وأمر له بعشرة آلاف درهم وثلاثين ثوبا فتلهفت وتعجبت من انقطاعى عن الحديثين وهما فى بالى وأنا اعلم بهما منه

﴿ المطلقات ﴾

قيل كانت ام الحجاج بن يوسف الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود وكانت عند المغيرة ابن شعبة فرآها يوما تتخلل بكرة فقال انت طالق والله لئن كان هذا من غداء يومك لقد شرهت وان كان من عشاء أمسك لقذا تتنت فقالت لا يبعد الله غيرك والله ماهو الا من السواك فخلف عليها بعده يوسف ابو الحجاج فاولدها الحجاج . وفيها اشعار منها

أهاجتكَ الظعائنُ يومَ بانوا * بذى الزِّىِّ الجميلِ من الاثاثِ
ظعائنُ أُسلكتْ نَقبَ المُنقّى * تُحَثُّ اذا ونتْ أىَّ احتثاث
كأنّ على الحدائجِ يومَ بانوا * نِعاجاً ترتعى بقَلَ البراث
تُؤَمّلُ أن تُلاقى أهلَ بُصْرى * فيالك من لقاءٍ مُستَرات
يُهيّجُنا الحمامُ إذا تداعى * كما سَجَعَ النوائحُ بالمراثى

وفى زينب أخت الحجاج يقول النميرى

ولم ترَ عينى مثلَ سِربٍ رأيته * خرجنَ من التنعيمِ مُعتمِراتِ
ولمّا رأتْ ركْبَ النميرىِّ أعرضتْ * وكنَّ منَ انْ يَلقَيْنَهُ حذِرات
تضوّع مِسكاً بطنُ نَعْمانَ إذ مشتْ * بهِ زينبٌ فى نسوةٍ عطِرات
مررْن بفخٍّ ثم رُحنَ عشيةً * يُلبّين للرحمٰن مُؤتجرات
دعتْ نسوةً شُمَّ العَرانينِ بُدَّناً * نواعمَ لا شُعْثاً ولا غَبِرات
فأدنين لمّا قُمْن يَحجُبنَ دُونَها * حجاباً من القَسّىّ والحِبَرات
أجلَّ الذى فوقَ السموات عرشُهُ * أوانسَ بالبطحاءِ مُعتجِرات
يُخبّين أطرافَ البنانِ من التُّقى * ويَخرُجْن بالاسحارِ مُعتمِرات

عوانة عن محمد بن زياد عن شيخ من كندة قال خرج الحارث بن سليل الاسدى زائراً لعلقمة بن حفصة الطائى فلما قدم عليه بصر بابنة له يقال لها الزباء وكانت من أجمل نساء أهل عصرها فأعجب بها فقال لابيها اتيتك زائراً وقد ينكح الخاطب ويكرم الطالب ويفلح الراغب فقال انت امرؤ كريم يقبل منك الصفو ويؤخذ منك العفو فاقم ننظر فى امرك ثم انكفأ الى اهله فقال ان الحارث بن سليل سيد قومه منصباً وحسباً وبيتاً فلا ينصرفن من عندنا الا بحاجته فاريدى

ابنتك عن نفسها فخلت بالزباء فقالت يابنية أي الرجال احب اليك الكهل الجحجاح الفاضل المناح أم الفتى الوضاح قالت الرموز الطماح قالت يابنية ان الشيخ يميرك ولا يغيرك وليس الكهل الفاضل الكثير النائل كالحدث السن الكثير الظن قالت ياأماه أخشى الشيخ ان يدنس ثيابى ويشمت بى اترابى ويبلى شبابى قال فلم تزل بها أمها حتى غلبتها على رأيها فتزوجها الحارث بن سليل على خمسين ومائة من الابل وألف درهم وابتنى بها ثم رحل بها الى قومه فبيناهو جالس ذات يوم وهى الى جانبه اذ أقبل فتية من بنى أسد نشاوى يتبخترون فلما نظرت اليهم تنفست الصعداء وبكت فقال ماشانك قالت مالى وللشيوخ الناهضين كالفروخ قال ثكلتك أمك تجوع الحرة ولا تاكل بثديها فذهبت مثلا أماوأبيك لرب غارة شهدتها وخيل وزعتها وسبية اردفتها وخمرة شربتها الحقى باهلك فانت طالق . وقال

تهزّأتْ أن رأتنى لابساً كبرًا * وغايةُ الناسِ بين الموتِ والكبَرِ

فإن يكنْ قدعلا رأسى وغيَّرهْ * صَرْفُ الزمان وتغييرٌ من الشّعَرِ

فقدْ أرُوحُ للذّاتِ الفتى جَذِلا * وقدْ أصيدُ بها عيناً من البقرِ

عنّى اليك فإنى لا توافقُنى * عُورُ الكلامِ ولاشُرْبٌ على الكدرِ

قال، وقال الحجاج لابن القرية: ماتقول فى التزويج، قال: وجدت أسعد الناس فى الدنيا وأقرهم عينا وأطيبهم عيشاوأبقاهم سروراوأرخاهم بالا وأشبهم شبا بأمن رزقه الله زوجة مسلمة أمينة عفيفة حسنة لطيفة نظيفة مطيعة ان ائتمنها زوجها وجدها امينة وان قتر عليها وجدها قانعة وان غاب عنها كانت له حافظة تجد زوجها أبدا ناعما وجارها سالما ومملوكها آمنا وصبيها طاهرا قد ستر حلمها جهلها وزين دينها عقلها فتلك كالريحانة والنخلة لمن يجتنيها وكاللؤلؤة التى لم تثقب والمسكة التى لم تفتق قوامة صوامة ضاحكة بسامة إن ايسرت شكرت وان اعسرت صبرت فافلح وانجح من رزقه الله مثل هذه وانما مثل المرأة السوء كالحمل الثقيل على الشيخ الضعيف يجره فى الارض جرا فبعلها مشغول وجارها متبول وصبيها مرذول وقطها مهزول، قال: ياابن القرية قم الآن فاخطب لى هند ابنت اسماء ولا تزيدن على ثلاث كلمات فأتاهم فقال: جئت من عند من تعلمون والامير يعطيكم ماتسئلون افتنكحون أم تدعون، قالوا، انكحنا وغنمنا فرجع الى الحجاج فقال: أصلح الله الامير صلاح من رضى عمله ومد فى الخيرات أجله وبلغ به أمله جمع الله شملك وأدام طولك وأقر عينك ووقاك حينك وأعلى كعبك وذلل صعبك وحسن حالك على الرفاء والبنين والبنات والتيسير والبركة وأسعد السعود وأعز الجدود وجعلها الله ودودا ولودا وجمع بينكما على الخير والبركة فتزوجها الحجاج ثم انه دخل ذات يوم عليها وهى تقول

وما هندُ إلا مُهرةٌ عربيةٌ * سَليلة أفراس تحللها بغلْ

فإن نتجت مهراً كريماً فبالحرى * وإن يك إقرافٌ فما أنجب الفحلُ

فخرج من عندها مغضباً ودعا ابن القرية فدفع اليه مائة ألف درهم وقال: ادخل على هند وطلقها عني ولا تزد على كلمتين وادفع اليها المال: فحمل ابن القرية المال ودخل عليها فقال: ان الامير يقول كنت فبنت وهذه المائة الف صداقك، فقالت: يا ابن القرية ماسررت به اذ كان ولا جزعت عليه اذ بان وهذا المال بشارة لك لما جئتنا به، فكان القول أشد على الحجاج من فراقها

وذكروا أن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه كانت عنده عاتكة بنت زيد بن عمرو ابن نفيل فأحبها حباً شديداً فأمره أبوه بفراقها وان يطلقها تطليقة واحدة ففعل ثم ندم على فعله فقال

فلمْ أرَ مثلي طلّق اليومَ مثلَها * ولا مثلَها في غيرِ جُرْمٍ تُطلّقُ

لها خُلُقٌ سهلٌ وحسنٌ ومنصِبٌ * وخَلْقٌ سويٌّ ما يُعابُ ومنطقُ

أعاتكَ قلبي كلَّ يومٍ وليلةٍ * اليكِ بما تُخفي القلوبُ مُعلقُ

أعاتِكَ ما أنساكِ ذرَّ شارقٌ * وما لاح نجمٌ في السَّماءِ مُحلِّقُ

فسمع ابو بكر ذلك فرق له وأمره بمراجعتها، وعن علي بن دعبل قال: حدثني أبي قال. خرجت ومعي اعرابي ونبطي الى موضع يقال له بطياثا من أمصار دجلة متنزهين فأكلنا وشربنا فقال الاعرابي: قل بيت شعر فقلت

نلْنا لذيذَ العيشِ في بَطْياثا

فقال الاعرابي لمّا حَثَثْنا أقدْحاً ثلاثا

فقال النبطي وامرأتي طالقٌ ثلاثا

ومازال يبكي حتى الصباح فقلت له، مايبكيك: فقال: ذهبت امرأتي بقافية، قال اسحق بن ابراهيم الموصلي كنت انا والحسين بن الضحاك يوماً عند المعتصم وحضرت قينة تعرض عليه فأعجب بها فقال للمدنيين: كيف ترونها، فقال احدهم: امرأته طالق ان كان رأى مثلها، وقال آخر امرأته طالق ان لم، وسكت فقال المعتصم: ان لم، قال: لا شيء، فضحك وقال له: ويحك مادعاك الى طلاق أهلك بلا سبب: فقال: يا أمير المؤمنين كلنا قد طلق امرأته بلا سبب: ومما قيل في ذلك من الشعر

رحلتْ أميمةُ بالطلاقِ * ونجوْتُ من رِقِّ الوثاقِ

بانتْ فلمْ يجزعْ لها * قلبي ولم تدْمعْ مآقي

لوْ لم أُرَحْ بفراقها * لأرحْتُ نفسي بالإباق

وخصيتُ نفسي لا أُريدُ حليلةً حتى التلاقي

وقال آخر

رأيتُ أثاثها فطمعتَ فيها * وقدْ نصبتْ لغيرك بالاثاث
فطلّقها وعدّ النفس عنها * سريعاً إنّ نفسكَ في التواث
وإلا فالسّلامُ عليك إني * سآخُذُ من غدٍ للنعي المراثي

(محاسن وفاء النساء)

قال الكسروى كتب بلاش بن فيروز الى ملك الهند يخطب ابنته فلم ينعم له ورد رسوله خائباً فتجشم وسار اليه في خيله ورجله فلما اصطفت الخيلان دعاه بلاش الى المبارزة وقال انه عار على الملوك ان يوردوا جنودهم الهلاك ويفوز وا بانفسهم فبرز اليه ملك الهند فاختلفت بينهما ضربتان فمنعت بلاش احصانة درعه وضرب بلاش الهندى على عاتقه فقطع حبله حتى انتهى السيف الى سندوءته فخر ميتاً وانهزمت خيله فافتتح بلاش مدينته وأمر ثقاته فاحدقوا بقصر ابنة الملك فلما احتوى على أمواله بعث الى ابنة الملك ان تأتيه فقالت للرسول وهي تبكى : قل للملك المزين بالحلم المحبب في رعيته السعيد بالظفر انك قد ملكتني وصرت ممن يستحق عطفك ورأفتك فان رأيت ان تطيب نفساً عن النظر الى حتى ترجع الى دار مملكتك فافعل، فانصرف الرسول الى بلاش فاخبره فاجابها الى ماسألت وسار وحملها حتى قدم دار المملكة فهيأ لها مقصورة منفردة عن سائر حرمه فانزلها فيها وأمر لها بعتيق الديباج وفاخر الجوهر واسفاط من الذهب والصلاة والجوائز والاثاث مالم يأمر لغيرها من نسائه واستأذنها في الدخول عليها فاذنت له فدخل عليها وأقام عندها سبعة أيام ولياليها عجباً منه بها لا يحير اليها جواباً ولا يخف عن صدر مجلسها فخرج من عندها اليوم الثامن وقد وقع في قلبه ما أظهرت من خفة مجالسه عليها ولبثت أشهرا لا يدخل عليها فقالت يوماً لحاضنتها ما أعجب أمر الملك بذل دمه في طلبى حتى اذا ظفر بي سلا عنى انطلقي حتى تسألى عن عدة نسائه وأيهن أكرم عليه وأتيني بعلم ذلك ، فانطلقت حتى عرفت ذلك وانصرفت فقالت انى وجدت له أربعمائة امرأة ما بين أمة وحرة وليس فيهن أكرم عليه من ابنة سائس من سواسه أعجبته فتزوج بها فقالت انطلقي اليها واقرئيها مني السلام واعلميها انى أريد مؤاخاتها والانقطاع اليها فانطلقت الحاضنة الى ابنة السائس فابلغتها رسالة مولاتها فقالت لها اقرئيها مني السلام واعلميها انى قد أحببتها وأجبتها الى ماسألت فتصير الى فانصرفت فاخبرتها بما قالت فتهيأت باحسن هيئة وأقبلت اليها ودخلت عليها فرفعت مجلسها وأقبلت عليها فذكرت حبها لها ورغبتها في مواصلتها فردت عليها ابنة السائس أحسن الرد وأعلمتها سرورها بذلك ثم تحدثا ساعة وانصرفت وجعلت الهندية تأتيها غبا وتظهر الانس بها فلما أنست بها قالت

لها: انت قد استلبت قلب الملك وقهرت جميعنا بفضلك وليس لواحدة منا نصيب فاعلمينا الامر
الذى فضلتينا به لنزداد سروراً بما أوتيت ومحبة لك والا نقطاع اليك، قالت: انى لما عرفت
ضعف نسبي وقلة جمالى علمت انه لا يرجع الملك منى الى شئ أحظى به عنده مثل المؤاناة فى الخلوة
وان أبسطه اذاهم بالحركة واستميل قلبه باللطف وفضل الخدمة فلما رآنى على ذلك مستمرة ورأى
من سائر نسائه أنفة الاكفاء وزهو الجمال وخيلاء الملك وعلمت انى ان أخذت ما أخذته مع
خمول نسبي وقلة جمالى ودقة خطرى لا يليق بى مثل الذى يليق بهن ففضلنى على جميع نسائه
بذلك . فلما سمعت ابنة الملك ذلك عزمت ان قلوب الرجال لا تستمال الا بالمؤاتاة وسرعة الاجابة
فى الباه عند المشغلة فعزمت أن تجعل ذلك عدة لاستعطاف قلب الملك فانصرفت الى قصرها
وقالت لبعض جواريها اذهبي الى فلانة — تعني ابنة السائس — فان رأيت الملك عندها فاعلميها
انى عليلة من وجع عرض لى فانطلقت الجارية فاذا الملك عندها فاخبرتها بذلك فرق الملك لها
وذكر غربتها وقتله أباها فقال لابنة السائس: ما ترين فى اتيانها ؟ فقالت أيها الملك انه ليس فى
نسائك من لها عندى مثل منزلتها فصر اليها فانها غريبة قد فارقت أهلها وهى فى موضع رحمة . فقام
الملك حتى دخل عليها وانتهى الى باب مجلسها فقامت اليه تمشى باحسن هيئتها متكسرة فى حليها
وزينتها عبقة بطيبها وعطرها فقبلت بين عينيه واخذت بيده حتى اجلسته فى صدر فراشها
وجعلت تقبل يديه ورجليه ضاحكة اليه مظهرة السرور به فجذبها الى نفسه ودعاها الى المضاجعة
فاتته ولم ترد فى الخلوة شيئاً الا اجابته اليه فلما قضى حاجته نازعها الى المحادثة فقال: اين ماذكر
رسولك من شدة وجعك ، قالت: ياسيدى كنت متوجعة لفراقك حتى شفانى لقاؤك وقات
ذلك لما نالنى من تباريح الشوق اليك وطول صدودك وسلوتك ثم اخذ معها فى المداعبة واقام
عندها سبعة ايام فبيناهما يتلاعبان ويتذاكران ويتعانقان اذ دخلت جارية لابنة السائس فحيت
الملك بتحية الملوك ثم قالت للهندية ان سيدتى — تعنى ابنة السائس — تقول قد اجتمع فيك
ثلاث خصال الاولى الغدر بمعلمتك والثانية فضل تطاولك والثالثة كفران النعمة للمنعم وانى
عن قريب رادتك من الملك الى غصص الغيظ ، فالجمتها وهملت عيناها ونظرت الى الملك
كالمستغيثة به ، فقال لها الملك ياحبيبتى ماتنكرين من امتك قد وهبتها لك وجميع ما تملك ، فتجلى
عنها غمها فقالت لرسولتها انطلقى اليها فاعلميها ان الملك قد وهبها وما تملك لى وقولى لها أرجعك
نخشى نفسك الى لؤم حسبك واهمال أدبك ائتيني الساعة بصغار المذلة ورقة العبودية فلما بلغها
الرسول ذلك أقبلت فدخلت عليها فحيت الملك وقامت بين يديه: فقالت لها الهندية ما كان اعظم
زهوك فى رسالتك ، قالت ياسيدتى أتأذنين لى فى الكلام ، قالت تكلمى ، قالت أيتها السيدة
لست متوجهة اليك بشئ هو أملك بك من حلمك ولا اعطف على من فضلك ولم يظلم من رفع فوقى

من هو أفضل مني وكل فرع يرجع الى أصله وكل زهر ينسب الى سنخه، فقالت صدقت فدعى عنك كلام الادب فقد ملكتك على رغم أنفك وانا مزوجتك من فلان خادمي فليس لك فضل عليه، قالت ابنة السائس من اعتاد معالى الامور لم تطب نفسه باسفلها ومن صاحب العظماء أبت غريزته الادنياء وانما ترقبت عطفك ورجوت حسن نظرك فاما اذا عزمت على هذا فقد طاب الموت وما الذي أستبقي منك ثم قالت أيها الملك ان جذل المسرة منك لا يستقر ويقع موقعه الا بعد في المخالقة عندك فاحترس من هذه الهندية فانها لا تؤمن عليك لانها ليست من جنسك فيعطفها عليك الرحم ولا من أهل مملكتك فتعرف تطولك عليها وانما هي شبيهة بموتورة قد قتلت اباها وهدمت عزها فاحترس منها ولا يلهينك موقعها من قلبك فانها متى احتالت في قتلك لم يكن في ايدينا من الظفر الا قتلها كما كان من امر الثعلب وعظيم الطير: فقال الملك وما كان من حديثهما: قالت يقال ان ثعلبا جاع في ليلة فرقي شجرة ليأكل منها فسال الوادي الذي فيه تلك الشجرة بسيل شديد فاقتلعها والثعلب عليها ثم رفعها ووضعها حتى ألقى الثعلب الى أرض بعيدة من أرضه فاصبح وقد ألقاه السيل الى سفح جبل كثير الاشجار مثمر الاغصان وعلى تلك الاشجار جنس من الطير لا يحصى عددا فارتقى الى شجرة قصبا متشعرا لا يعرف أرضه ولا يقدر على مؤالفة الدواب فمر به عظيم الطير فقال له ما أنت فقال انا دابة سال بي السيل فألقاني في جبالكم وقد أصبحت غريبا فقال له عظيم الطير فهل لك حرفة قال نعم اعرف الثمار اذا بلغت حد بلوغها واصنع للطير أكنانا في الارض تكن فيها فراخها من الحر والبرد فقال له عظيم الطير قد أدركت عندنا بغيتك فأقم عندنا نواسك ونعرف حق مجاورتك فاقام الثعلب عند ملك الطير فكان يعرفهم الثمار المدركة ويحفر لهن بمخاليبه قبورا في الارض يفرخن فيها وكان الثعلب اذا جن عليه الليل وقرم الى اللحم ادخل يده في جحر من تلك الاجحرة فاخرج طيرا أو فراخه فاكله ودفن ريشه وجعلت الطير تتفقد ما كان يأكل واحدا بعد واحد فقال بعضها لبعض ما فقدنا أفاضلنا الا منذ صارت هذه الدابة بين اظهرنا وما كانت هذه الطير تطيل الغيبة وما ندري ما دهاها فقال لها عظيمها ان هذا حسد منكن لهذه الدابة فلا تغفلن ما أصبحتن فيه من فضل المطعم وما فيه فراخكن من هذه الاكنان التي لا يخاف عليها برد فيها ولا حر فقالت الطير أنت سيدنا وأبصر بالامور منا قال وعلى ان أقطع هذا القول وأبين حق ذلك من باطله بنفسي فلما أظلم الليل نزل من الشجرة فدخل بعض تلك الاكنان وأقبل الثعلب على العادة التي اعتادها الى ذلك الكن فأدخل يده فقبض على رأس الملك فقال الملك للثعلب لقد نصحتني الطير لو قبلت نصحها قال الثعلب أنت هو قال نعم قال ما ظننت أن يبلغ من حمقك كل هذا قال ملك الطير دعني أزدك في منزلتك بحسب ما رأيت من فضل علمك ولطيف حيلتك قال له الثعلب ان أبوي أدباني ان لا أعلق انيابي بشيء وأتركه اذ ليس من جهلك

ان لا تتجزأ من الثمار ومن الاكتنان بما كان آباؤك يكتفون به ولم ترض حتى اختبرت أمرى بنفسك ولم تجعل التغرير فى ذلك بغيرك ثم أكله ودفن ريشه وفقدت الطير عظيمها فاستوحشت وضربت الثعلب ضربا بمخاليبها ومناقيرها حتى قتلته ولم يصلن فى عظيم خطر ملكهن الى أكثر من قتل الثعلب فاحترس من هذه الهندية، قالت الهندية انما تفزع عين المراة بأربعة رجال بأبيها وأخيها وولدها وبعلها وأفضل النساء المختارة بعلها على جميع أهلها والمؤثرة له على نفسها فكيف عن ذهب أبوها وأخوها فبقى بعلها أفتحب ان تهلكه على ان مثلك فى رداءة همتك وخبث نيتك مثل الغراب والحمامة، قال الملك وما كان من حديثهما، قالت زعموا ان غرابا الف مطبخا لبعض الملوك فأخذ من اطيب اللحمان التى قد صارت فيه شيئا فظنوا ان الغراب اخذه لقلة وفائه ولؤم جوهره فطردوه عن مطبخهم وقالوا ما نرجوا من هذا الغراب وهو من الطيور التى تعاف ويتطير منها فأفشى ذلك الغراب امره الى حمامة قد كان بينهما معرفة وفزع الى رايها واخبرها ما كان فيه من نعيم المأكل والمشرب فقالت له الحمامة انطلق بى حتى تريني هذا المطبخ فانطلق حتى اتى سطح المطبخ فقالت الحمامة انى ارى هذا البيت ليس فيه موضع مدخل فاحفر لى بمنقارك قدر ما ادخل فان منقارى يضعف عن ذلك فحفر الغراب فى سقف البيت بمنقاره حتى دخلت فيه الحمامة وتوسطت فى البيت وأعجبهم حسن خلقها وصفاء لونها فجعل لها خازن المطبخ موضعا تأوى اليه فلبثت فى ذلك البيت قريرة عين فناداها الغراب ما هكذا قدرت فيك فقالت الحمامة لو وفيت لك حل بى غدرك وان القوم عرفوا وفائى وحسن جوارى وعرفوا غدرك وقلة وفائك ونكث عهدك فهذا مثلى ومثلك يا ابنة السائس انى لو وفيت لك اردانى غدرك وقتلنى مكرك، قالت ابنة السائس أيتها السيدة ان الذى سمعت منى كان لشدة الانفة فأردت ان أنفى عن نفسى الذى أردت من انكاحى خادمك فلانا، قالت الهندية لا بد من ذلك، فقالت ابنة السائس من اعتاد معالى الامور لم تطب نفسه بأسفلها الان استعذبت الموت فعمدت الى سم كان معها فقذفته فى فيها فخرت ميتة ووفت الهندية لزوجها فأفلحا، ومنهن شيرين امرأة ابرويز فان شيرويه بن ابرويز لما قتل أباه وتوطد له الملك بعث الى شيرين يدعوها الى نفسه فامتنعت عليه وأبت ان تجيبه الى ذلك فغصبها ضياعها وعقارها وذخائرها وأموالها وقذفها بكل فاحشة ورماها بكل معضلة فلما بلغها ذلك هان عليها ما أخذه من أموالها مع ما رماها به فبعثت اليه وقالت ايها الرجل ان لم يكن مما سألت بد فاقض لى ثلاث حوائج حتى أتابعك على ما تريد فقال وما هذه الحوائج قالت احداها ان ترد على ضياعى وأموالى والثانية ان تصعد منبرك بمحضر من ازبتك وأساورتك وعظماء أهل مملكتك وتتبرأ مما قذفتنى به والثالثة ان أباك أودعنى وديعة فتأمر ان يفتح لى باب الناووس حتى أردها عليه فاجابها الى ذلك وأمر بفتح باب الناووس لها ومعها خاتم وفيه سم ساعة فنثرته فى

فبهاوعانقت فبرز وجها فمانت

— ضده —

قيل ، كان لكسرى ابرويزخال يقال له بسطام نخالف على كسرى وجمع جمعا كثيراً و واقع ابرويز فلما أعيت ابرويز الحيلة فيه دعا بكردي أخي بهرام جور ويقال ان كردياً كان غلاما لله رباه وبلغ منه مبلغ الرجال وكان من خاصته والناصحين له فقال له قد ترى ما نزل بنا من هذا العدو بسطام وقد رأيت رأيا ان طابقتني عليه رجوت الظفر، قال كردي وماذاك أيها الملك اخبرني فاشيء يزيدك به عزاً ويزيد اعدائك به ذلا إلا بادرت اليه بنصح وصدق لعظيم حقك و وجوب طاعتك، قال له كسرى قد عرفت حال كردية اختك امرأة بسطام وجراءة قلبها و بسطام يأوي اليها كل ليلة اذا انصرف عن الحرب وأنا جاعل لها عهد الله وميثاقه و ذمة انبيائه ان هي أراحتني من بسطام واحتالت لي في قتله ان اتزوجها واجعلها سيدة نسائي وابلغ في اكرامها والسمو بها أفضل ما بلغه ملك بامرأته ، قال كردي يا أيها الملك ما أشك في قدرتها عليه فاكتب اليها بخطك بما رأيت لاوجه في الكتاب اليها مع امرأتي ارجية فان لها عقلا و رفقا و بصيرة فكتب كسرى بخطه « بسم الله الرحمن الرحيم » هذا كتاب لكردية بنت بهرام جسناسب كتبه لها كسرى ابرويز بن هرمز ان لك عندي عهد الله وذمته وذمة انبيائه و رسله ان أنت قتلت بسطام وارحتيني منه اتزوجك وأجعلك سيدة نسائي وابلغ من كرامتك ما لا يبلغ ملك من الملوك لاحد وأشهد الله على ذلك وكفى بالله شهيداً وكتب كسرى بخطه وختمه بخاتمه يوم كذا من شهر كذا فسارت ارجية حتى دخلت عسكر بسطام كهيئة الزائرة لكردية بالنظر اليها وكان بينهما قرابة فلما جلست وسكنت دفعت اليها كتاب كسرى وقالت لها يا ابنة عم اجيبي الملك الى ما سألك واغنمي بذلك الرجوع الى وطنك فرغبت لشدة شوقها الى اهلها فاجابتها الى ذلك وانصرفت ارجية الى عسكر كسرى وعرفت زوجها ما كان بينها و بين كردية فمضى كردي الى كسرى فاعلمه ثم ان بسطام دخل على كردية فأتته بعشاء فتناول منه ثم أتته بشراب فسقته وجعلت تحدثه وتظهر له المحبة حتى مضى ثلث الليل فنام بسطام فلما استثقل نوما قامت اليه كردية بسيفها فوضعته على ثندؤته ثم اتكأت فاخرجته من ظهره فمات وعمدة من ساعتها الى دوابها فحملت حشمها وأثقالها على البغال وخرجت نحو عسكر كسرى وقد كانت وجهت مع أرجية الى أخيها أن يجلس لها على الطريق فلما وافته سار معها حتى أدخلها على كسرى ففرح بذلك فرحا شديداً فلما أصبح أصحاب بسطام و رأوه قتيلا ولوا هاربين على وجوههم فانصرف كسرى الى المدائن فاتخذ لكردية تاجاً مكللا بالدر وصنوف الجوهر وأعد

لما وليمة عظيمة دعا فيها جنوده فطعموا وشربوا ثم دعا كرديا أخاها فزوجه أياها ومهرها وأعطاها خاتماً فصه من الكبريت الاحمر يضيء في الليلة الظلماء كما يضيء السراج فلما دخل بها كسرى ونظر الى جمالها وعقلها سر بها وأعطاها الاموال واقطعها الضياع وأكرم أخاها كرديا وولاه أرض فارس وبلغ بها من رفعه اياها ونشريفه لها ما لم تبلغه امرأة قبلها ولا بعدها ثم أن كردية قالت لكسرى ياسيدي أخرج بنا الى الميدان لالعب بين يديك بالكرة والصولجان فخرج معها الى الميدان وخرجت امرأته شيرين وخواص نسائه ودعا بالخيل فأسرجت وركبت وركب هو وجعلت تلاعبه بالصوالج وتناولت السيف وركضت في الميدان ولعبت بالسيف لعباً معجباً ثم أخذت الرمح فلعبت به فقالت شيرين أيها الملك ما يؤمنك من هذه الشيطانة ؟ قال هيهات انها أعرف بحقنا وأشد حباً لنا من أن نخافها على أنفسنا، فلما نزلت قال كسرى: لنا في كل ربع من أرباع مملكتنا قائد في اثني عشر ألف امرأة وقد جعلتك قائدة عليهن ، قالت: ياسيدي ما للنساء والفروسية وانما علينا أن نتزين لك ونتطيب ونسرك بأنفسنا وأردت بما كان مني سرورك وتسلية همومك فأمر كسرى بحمل طعامه وشرابه الى منزلها وبقي عندها اسبوعا لم يخرج الى الناس ولم يأذن لاحد بالدخول عليه ثم خرج من عندها الى منزل شيرين فأتاه صياد بسمكة عظيمة فأعجب بها فأمر له بأربعة آلاف درهم، فقالت له شيرين: أمرت لصياد بأربعة آلاف درهم فان أمرت بها لرجل من الوجوه قال انما أمر لي بمثل ما أمر للصياد فقال كيف اصنع وقد امرت له، قالت: اذا أتاك فقل له اخبرني عن السمكة أذكر هي ام انثى فان قال انثى فقل لا تقع عيني عليك حتى تاتيني بالذكر وان قال ذكر فقل مثل ذلك فلما غدا الصياد على الملك قال له اخبرني عن السمكة اذكر هي ام انثى: قال بل انثى: قال: فاتني بذكرها: فقال: عمر الله الملك انها كانت بكراً لم تتزوج بعد: قال الملك: زدوه وامر له بأربعة آلاف درهم وامر ان يكتب في ديوان الحكمة: ان الغدر ومطاوعة النساء يورثان الغرم قال وكان الموبذان إذا دخل على كسرى قال: عشت ايها الملك بسعادة الجد ورزقت على اعدائك الظفر واعطيت الخير وجنبت طاعة النساء: فغاظ ذلك شيرين وكانت أجمل نساء عصرها وأعين عقلا فقالت فقالت لكسرى، ايها الملك ان هذا الموبذان قد طعن في السن ولست مستغنياً عن رأيه ومشورته وقد رأيت لحاجتك اليه ان اهب له مسكدانة جاريتي وقد عرفت عقلها وجمالها فان رأيت أن تساله قبولها فافعل: فكلم كسرى الموبذان في ذلك: فهش للجارية لمعرفته بجمالها وفضلها فقال: قد قبلتها أيها الملك لايثارها إياي بافضل جواريها: فقالت شيرين لمسكدانة: اني اريد ان تاتي هذا الشيخ فتبدي له محاسنك وتحيدي خدمته فاذا اهش لمضاجعتك فامتنعي عليه حتى تو كفيه وتركبيه وتعلميني الوقت الذي يتهيأ لك ذلك حتى لا يعود أن يزيد في تحية الملك

ـ و وقيت طاعة النساء ـ فقالت مسكدانة، افعل ياسيدتي، ثم انطلقت الى الشيخ فصارت عنده في داره التي يحلها من قصر الملك فجعلت تخدمه وتبره وتظهر له الكرامة وهي مع ذلك تبرز له محاسنها وتكشف له عن صدرها ونحرها وتبدي له ساقيها وفخذيها فارتاح الموبذان وشرح صدره لمضاجعتها فجعلت تمتنع عليه فيزداد في ذلك حرصاً فلما الحّ عليها قالت له : ايها القاضي ما انا بمجيبتك الى ما سالت حتى اوكفك واركبك فان اجبتني الى ذلك صرت طوع يدك فيما تريد وبدعواليه من مسرتك فامتنع عليها اياماً و بقيت تتزين له بزينتها وتكشف له عن محاسنها حتى عيل صبره فقال لها : افعلي ما احببت، فهيات له برذعة صغيرة و إكافاً صغيراً وحزاماً وثفراً واقامته عرياناً على اربع ووضعت على ظهره البرذعة والاكاف وجعلت الثفر تحت خصيتيه وهي قائمة و ركبته وهي تقول خر خر وأرسلت الى سيدتها شيرين لتعلمها بذلك فقالت شيرين للملك : اصعد بنا الى ظهر بيت الموبذان لننظر من الروزنة ما يكون بينه و بين الجارية فصعدا. ونظرا فاذا هي قد ركبته فوق الاكاف فناداه كسرى ويحك أي شيء هذا فرفع الموبذان رأسه ونظر الى الروزنة ورأى الملك فقال هو ما كنت أقول لك في اجتناب طاعة النساء فضحك كسرى وقال قبحت الله من شيخ وقبح مستشيرك بعد هذا ، حديث الزباء ومنهن الزباء واسمها هند وملكت الشام بعد عمها الصنور وكان جذيمة الابرش قتل عمها فبعث اليها جذيمة يخطبها فأظهرت البشر والسرور لرسوله وكتبت اليه بالقدوم عليها لتزوجه نفسها فاستشار نصحاءه فقالوا أيها الملك ان تزوجت بها جمعت ملك الشام وملك الجزيرة الى ملكك فاستخلف ابن أخيه عمرو بن عدي وسار في ألف فارس من خاصته فلما انتهى الى مكان يسمى بقة وهو حد مملكتها ومملكته نزل في ذلك المكان واستشار أصحابه أيضاً في المصير اليها والانصراف فزينوا له الالمام بها وقالوا انت ان انصرفت من ههنا أنزله الناس منك على جبن ووهن فدنا منه مولى له. فقال له قصير بن سعد فقال له أيها الملك لا تقبل مشورة هؤلاء وانصرف الى مملكتك حتى يتبين لك امرها فانها امرأة موتورة ومن شأن النساء الغدر فلم يحفل بقوله ومضى حتى اقتحم مملكتها فقال قصير ـ ببقة صرم الامر ـ ثم أرسلها مثلا ، فلما بلغ المرأة قدومه عليها أمرت جنودها فاستقبلت الملك فقال قصير أيها الملك اني رأيت جنودها لم يترجلوا لك كما يترجل للملوك ولست آمن عليك فاركب العصا وانج بنفسك والعصا كانت فرساً لجذيمة لا يشق غبارها ـ فلم يعبأ جذيمة بقوله وسار حتى دخل المدينة وأمرت هند الزباء باصحابه ان ينزلوا فأنزلوا وأخذت منهم أسلحتهم ودوابهم وأذنت لجذيمة فدخل عليها وهي في قصرها ولم يكن معها في قصرها الا الجواري فأومأت اليهن بأن يأخذنه واجتمعن عليه ليكتفنه فامتنع عليهن فلم يزلن يضربنه بالاعمدة حتى اثخنه وكتفنه ثم دعت بنطع فاجلسته فيه وكشفت عن عورتها فنظر جذيمة فاذا لها

شعرة وافيــة فقالت كيف ترى عروســك أشوار عروس أم ماترى قال أرى بظراً ناتئاً ونبتاً فاشياً ولا أعلم ما وراء ذلك قالت إما انه ليس من عدم المواسى ولا لقلة الاواسى ولـكنه شيمة من أناسى ثم أمرت به فقطعت عروقه فجعلت دماؤه تشــخب فى النطع فقالت لا يحزنك ماترى فانه دم هراقه أهله فارسلتها مثلا واحتال قصير للعصا حتى وصل اليها وركبها ثم دفعها فجعلت تهوى به كانها الريح وكان المكان الذى قصد فيه جذيمة مشرفا على الطريق فنظر جــذيمة اليه وقد دفع الفرس فقال حزم على راس العصا فلم تزل دماؤه تشخب حتى مات ثم امرت بأصحابه فقتلوا باجمعهم وكان عمرو بن عدى يركب كل يوم من الحيرة فيأتى طريق الشام يتجسس عن خـبره وحاله فلم يبلغه احد خـبره فبينما هو ذات يوم فى ذلك اذ نظر الى فرس مقبل على الطريق فلما دنا منــه عرف الفرس وقال ياخير ما جاءت به العصا فذهبت مثلا فلما دنا منه قصير قال له ما وراءك قال قتل خالك وجنوده جميعا فاطلب بثارك ، قال : وكيف لى بها وهى أمنع من عقاب الجو ، فذهبت مثــلا ثم ان قصيرا أمر بانف نفســه فجدع ثم ركب وسار نحو الزباء فاسـتأذن عليها فقيــل لها ان مولى لجذيمة وقهرمانه واكرم الناس عليه قد اتاك مجدوعا فاذنت له فدخل عليها قالت ، من صنع بك هــذا ، قال ايتها الملـكة هــذا فعل عمرو بن عــدى اتهمنى وتجنى على الذنوب وزعم انى أشرت على خاله بالمصير اليك حتى فعل بى ماترين ولم آمنه ان يقتلنى فخرجت هاربا اليك وقد أتيتك لا كون معك وفى خدمتك ولى جداء وعندى غناء ، قالت : نعم اقم فعندى لك ماتحب وولته نفقتها فخف لها ورأت منه الرشاقة فيما أسندته اليه فاقام عنــدها حولا ثم قال لها : ايتها الملـكة ان لى بالعراق مالا كثيرا فاذا أذنت لى فى الخروج لحمــله فافعلى فدفعت اليه مالا كثيرا وأمرته ان يشــترى لها ثيابا من الخز والوشى ولآلئ وياقوتا ومسكا وعنبرا والنجوجا فانطلق حتى اتى عمرا فاخــبره فاخــذ منه ضعفى مالها وانصرف نحوها فاسترخصت ماجاء به وردته الثانية والثالثة فكان ياخــذ فى كل مرة مثــل أضعاف مالها فيشترى جميع ماتريد فتسترخصه ووقع قصير بقلبها فاستخلفته ثم بعثته فى الدفعــة الرابعة بمال عظيم وأمرته ان يشترى أثاثا ومتاعا وفرشا وآنيــة فانطلق الى عمرو فقال : قد قضيت ماعلى وبقى ماعليك ، فقال وما الذى تريد ، قال : اخرج معى فى الفى فارس من خدمك وكونوا فى أجواف الجواليق على كل بعير رجلان فانتخب عمرو ألفى فارس من أصحابه فخرج وخرج وامعه فى الجواليق كل رجل بسيف وكان يســير النهار فاذا أمسى الليل فتح الجواليق ليخرجوا ويطعموا ويشربوا ويقضوا حوائجهم حتى اذا كان بينه وبين مدينتها مقدار ميل تقدم قصــير حتى دخــل عليها وقال : أيتها الملـكة اصــعدى على القصر لتنظرى ما اتيتك به ، فصــعدت فنظرت الى ثقــل الأحمال على الجمال فقالت

ما للجِمالِ مشيُها وئيــدا * أجَنْدَلاً يحملْنَ أمْ حديدا

أمْ صَرَفاناً بارداً شديداً

فاجابها قصير سرا وقال

بل الرِّجالَ جُثّماً قُعوداً

فقال: لماعليها من المتاع الثقيل النفيس فأمرت بالاحمال فادخلت قصرها وكان وقت المساء فقالت: اذا كان غدا نظرنا الى ما أتيتابه، فلما جن عليهم الليل فتحوا الجواليق وخرجوا فقتلوا جميع من في القصر وكان لها سرب قد اعدته للفزع والهرب ان حل بها روع تخرج الى الصحراء وقد كان قصير عرف ذلك المكان ووصفه لعمرو فبادر عمرو الى السرب فاستقبلته الزباء فولت هاربة نحو السرب فاستقبلها بالسيف فمصت فصها وكان مسموما وقالت بيدى لا بيدك ياعمرو ولا بيد العبد، فقال عمرو ويده ويدى سواء وفي كلاهما شفاء وصر بسيفه حتى قتلها وأقبل قصير حتى وقف عليها فجعل يدخل سيفه في فرجها ويقول

ولوْ رأوْني وسيفي يوْمَ أدْخلهُ * في جوْفِ زبّاءَ ماتوا كلّهم فرَحا

وغنم عمرو واصحابه من مدينتها أموالا جليلة والى الحيرة فكان الملك بعد خاله خذيمة وعمرو هذا هو جد النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدى ومنهن صاحبة الجعد بن الحسين ابى صخر بن الجعد وكان جعد قد طعن في السن وكان يكنى أبا الصموت وكانت له وليدة سوداء فقالت يا أبا الصموت زعم بنوك ان يقتلوني اذا أنت مت قال، ولم ذاك قالت مالي اليهم ذنب غير حبك فاعتقني فاعتقها فبقيت يسيرا ثم قالت يا أبا الصموت هذا اعرابة من أهل عدن يخطبني قال ما كان هذا ظني بك قالت انما أريد ماله لك فقال ائتيني به فجاءت به فزوجها منه فولدت منه وقربته من مال جعد وكانت تاتي الجعد فتخضب رأسه ثم قطعته فقال الجعد

أبلغْ لديكَ بني عمْرٍ مُغلْغلة * عوْفاً وعمراً فما قوْلي بمرْدودِ

بأنّ بيتيَ أمْسى فوْق داهيَةٍ * سوْداءَ قدْ وعدتْني شرَّ موْعود

تُعطى عُرابةَ بالكفين مُختضباً * منَ الخلوقِ وتعْطيني على العود

أمْسى عُرابةُ ذا مالٍ وذا ولدٍ * منْ مالِ جعْدٍ وجعد غيرُ محمود

ومنهن. امرأة مروان بن الحكم وكانت أم خالد بن يزيد بن معاوية وهي ابنة هشام ابن عتبة فاراد مروان الخروج الى مصر فقال لخالد اعرني سلاحك فاعاره فلما رجع قال له خالد رد على سلاحي فابى عليه وكان مروان فحاشا فقال له يا ابن الرطبة فجاء خالد الى أمه فقال هذا ما صنعت بى سبني على رؤس الملا وقال لى كيت وكيت قالت، اسكت فاني اكفيك أمره فجاء مروان فرقد عندها فامرت جواريها فطرحن عليه للشواذكن — يعني الملاحف — ثم غططته

حتى قتلنه وخرجن يصحن والأمير المؤمنيناه فدعا عبدالله بامرأة أبيه ليقتلها فقالت ان الذى يبقى عليك من العار اعظم من قتل أبيك قال وماذاك قالت يقول الناس ان أباك قتلته امرأة فامسك عنها

— محاسن مكر النساء —

ذكروا ان الحجاج بن يوسف ارق ذات ليلة فبعث الى ابن القرية فقال انى أرقت فحدثنى حديثا يقصر على طول ليلى وليكن من مكر النساء وفعالهن فقال أصلح الله الامير ذكروا ان رجلا يقال له عمرو بن عامر من أهل البصرة كان معروفاً بالنسك والسخاء وكانت له زوجة يقال لها جميلة وله صديق من النساك فاستودعه عمرو ألف دينار وقال ان حدثت بى حادثة ورأيت أهلى محتاجين فاعطهم هذا المال فعاش ماعاش ثم دعى فاجاب فمكثت جميلة بعده حينا ثم ساءت احالها وأمرت خادمتها يوما ببيع خاتمها الغداء يوم أو عشاء ليلة فبينا الخادمة تعرض الخاتم على البيع ذلقيها الناسك صديق عمرو فقال فلانة قالت نعم قال ماحاجتك فأخبرته بسوء الحال وما اضطرت اليه مولاتها من بيع خاتمها فهملت عيناه دموعا ثم قال ان لعمرو قبلى ألف دينار فاعلمى بذلك صاحبتك فاقبلت الجارية ضاحكة مستبشرة وهى تقول رزق حلال عاجل من كد مولاى الكريم الفاضل فلما سمعت مولاتها ذلك سألتها عن القصة فاخبرتها فخرت ساجدة وحمدت ربها وبعثت بالجارية الى الناسك فأقبل الناسك ومعه المال فلما دخل الدار كره ان يدفع المال الى احد سواها فخرجت فلما نظر الى جمالها وكمالها أخذت مجامع قلبه وفارقه النهى وذهب عنه الحياء وأنشأ يقول

قَدْ سَلَبْتِ الجسْمَ والقلبَ معاً * وبَرَيت العظمَ ممَّا تلْحظِينْ
فارْدُدى قلبَ عميدٍ واَقبَلى * صِلْةَ الضعفينِ مما ترْتجِينَ

فاطرقت جميلة لقوله طويلا ثم قالت ويحك ألست المعروف بالنسك المنسوب الى الورع قال بلى ولكن نور وجهك سل جسمى فتداركينى بكلمة تقيمين بها أودى فهذا مقام اللائذ بك قالت أيها المرائى المخدع اخرج عنى مذموما مدحورا فخرج عنها وقد هام قلبه واضحت جميلة تعمل الحيلة فى استخراج حقها فاتت الملك ترفع اليه ظلامتها فلم تصل اليه فاتت الحاجب فشكت اليه فأعجب بها إعجابا شديدا وقال: ان لوجهك صورة ارفعها عن هذا ولا يجعل عثالك الخصومة فهل لك فى ضعفى مالك فى ستر ورفق فقالت سوأة لامرأة حرة تميل الى ريبة فانصرفت الى صاحب الشرطة فانهت ظلامتها اليه فاعجب بها وقال ان حجتك على الناسك لا تقبل الا بشاهدين عدلين وانا مشترخصومتك ان انت نزلت عند مسرتى فانصرفت عنه الى القاضى فشكت اليه

فأخذت بقلبه وكان القاضي يجن اعجابا بها وقال ياقرة العين انه لا يزهد في أمثالك فهل لك في مواصلتي وغناء الدهر فانصرفت وباتت تحتال في استخراج حقها فبعثت الجارية الى نجار فعمل لها تابوتا بثلاثة أبواب كل منهم منفرد ثم بعثت الجارية الى الحاجب ان يأتيها اذا أصبح والى صاحب الشرطة ان يأتيها ضحوة والى القاضي أن يأتيها اذا تعالى النهار والى الناسك ان يأتيها اذا انتصف النهار فاتاها الحاجب فاقبلت عليه تحدثه فما فرغت من حديثها حتى قالت لها الجارية صاحب الشرطة بالباب فقالت للحاجب ليس في البيت ملجأ الا هذا التابوت فادخل أي بيت شئت منه فدخل الحاجب بيتا من التابوت فاقفلت عليه ودخل صاحب الشرطة فاقبلت جميلة عليه تضاحكه وتلاطفه فما كان باسرع من ان قالت الجارية القاضي بالباب فقال صاحب الشرطة اين أختبي فقالت لا ملجأ الا هذا التابوت وفيه بيتان فادخل أيهما شئت فدخل فاقفلت عليه فلما دخل القاضي قالت مرحبا وأهلا وأقبلت عليه بالترحيب والتلطيف فبيناهي كذلك اذ قالت الجارية الناسك بالباب فقال القاضي ماذا ربن في رده فقالت مالي الى رده سبيل قال فكيف الحيلة قالت اني مدخلتك هذا التابوت ومخاصمته فاشهد لي بما تسمع واحكم بيني و بينه بالحق قال نعم فدخل البيت الثالث فاقفلت عليه ودخل الناسك فقالت له مرحبا بالزائر الجاني كيف بدالك في زيارتنا قال شوقا الى رؤيتك وحنينا الى قربك قالت فالمال ما تقول فيه اشهد الله على نفسك برده أتبع رأيك قال اللهم اني أشهدك ان لجميلة عندي الف دينار وديعة زوجها فلما سمعت ذلك هتفت بجاريتها وخرجت مبادرة نحو باب الملك فانهت ظلامتها اليه فارسل الملك الى الحاجب وصاحب الشرطة والقاضي فلم يقدر على واحد منهم فقعد لها وسالها البينة فقالت يشهد لي تابوت عندي فضحك الملك وقال يحتمل ذلك لجمالك فبعث بالعجلة فوضع التابوت فيها وحمل الى بين يدي الملك فقامت وضربت بيدها الى التابوت وقالت أعطي الله عهدا لتنطقن بالحق وتشهدن بما سمعت أو لاضرمنك نارا فاذا ثلاثة أصوات من جوف التابوت تشهد على اقرار الناسك لجميلة بالف دينار فكبر ذلك على الملك فقالت جميلة لم أجد في المملكة قوما أوفى ولا أقوم بالحق من هؤلاء الثلاثة فاشهدتهم على غريمي ثم فتحت التابوت وأخرجت الثلاثة نفر وسالها الملك عن قصتها فاخبرته وأخذت حقها من الناسك . فقال الحجاج : لله درها ما أحسن ما احتالت لاستخراج حقها . قال وكان يعقوب بن يحيي المدائني و يحيي الكاتب كاتب سهل بن رستم يتحدثان الى مهدية جارية سليمان بن الساحر فقال يعقوب يوما ليحيي أنا أشتهي ان أرى بطن مهدية فقال يحيي ما تجعل لي ان أنا احتلت لك بحيلة حتى تراه قال ما شئت قال برذونك هذا قال، نعم، قال، فتوثق منه وأتى مهدية فقال لها كان لي برذون موافق فاره فنفق وأنت لو شئت حملتني على برذون فاره، قالت، انا افعل وأشتريه لك بما بلغ الثمن، قال، أنت قادرة عليه بغير الثمن، قالت

كيف ذلك، فاخبرها بالقصة فقالت، قد حملك الله على البرذون وار بحك النظر الى بطن حسن فاذا كان غدا فتعال انت و يعقوب فاجلسا فان سليمان يعبث بوصيفته فلانة كثيرا فاذا فعل ذلك وجئت انا فقل أنت يامهدية لو علمت ماصنع فلان لقتلته، قال، نعم، فلما جاءت مهدية قال لها ان أمر سليمان مع وصيفته اشنع مما تقدرينه، فوثبت مستشيطة غضباً وقالت، مثلك ياابن الساحر يفعل هذا امرة بعد أخرى وشقة جيبها الى ان جاوزت أسفل البطن وهى قائمة فنظر الى بطنها فتأملنا هاساعة وهى تشتم ابن الساحر فقام اليها يترضاها و يسكنها و يعقوب يقول وابرذوناه فاخذه منه يحى، وعن المساور قال كان عندنا بالاهواز رجل متأهل وكانت له أرض بالبصرة وكان فى السنة ياتيها مرة أو مرتين فتزوج بها امرأة ليس لها إلا عم فى الدار وكان يكثر الانحدار بعد ذلك الى البصرة فانكرت الاهوازية حاله فدست من يعرف خبره ثم احتالت و بعثت من أورد خطا العم المرأة البصرية وسألت من كتبه كتابا من عم البصرية الى زوجها على خطه بان ابنة أخيه توفيت و يسأله القدوم لاخذ ما خلفت وست الكتاب مع انسان شبيه بالملاح فلما أتى بالكتاب خرج اليه فدفع الكتاب خرج اليه فدفع الكتاب ولم يشك ان امرأته البصرية ماتت فقال لامرأته اجعلى لى سفرة قالت ولم قال أريد الخروج الى البصرة قد رابنى أمرك وما اشك ان هنالك لك امرأة فانكر ذلك فقالت ان كنت صادقا فاحلف بطلاق كل امرأة لك غيرى فقال فى نفسه تلك قد ماتت وليس على ان احلف بطلاقها فارضى هذه فحلف لها بطلاق كل امرأة له سوى الاهوازية ياجارية هاتى السفرة فقد أغناه الله عن الخروج قال وماذلك قالت قد طلقت الفاسقة وقصت عليه القصة فعرف مكرها وأقام

— مساوى مكر النساء —

وذكروا، ان لقمان بن عاد صاحب لبد خرج يجول فى قبائل العرب فنزل بحى من العماليق فبيناهو كذلك اذ ظعن القوم فظعن معهم فسمع بامرأة تقول لزوجها فلان لوحملت سفطى هذا حتى تجاوز به الثنية فان فيه من متاع النساء مالا بدلهن منه ولعل البعير يقع فيتكسر وذلك من لقمان بمنظر ومسمع فقال افعل فاحتمله على عاتقه فلما انحدر وجد بللا فى صدره فشمه فاذاهو ريح بول قد جاء من السفط الذى على رأسه ففتح السفط فاذاهو بغلام قد خرج منه يعدو، فلما نظر لقمان قال يااحدى بنات طبق — و بنات الطبق أن تأتى الحية السلحفاة فتلتوى عليها فتبيض بيضة واحدة فتخرج منها حية شبراً أو نحوه لاتضرب شيئاً الا أهلكته — نتبعه لقمان حتى لحقه فجاء به يحمله واجتمع الناس اليه وقالوا يالقمان احكم فيما ترى فقال ردوا الغلام فى السفط يكون له مثوى حتى يرى و يعلم ان العقاب فيما أتى وتحمله المرأة بفعلها حملوها ما حملت زوجها ثم

شدوه عليها فان ذلك جزاء مثلها فعمدوا الى الغلام فشدوه فى السفط ثم شدوه فى عنق المرأة ثم تركوهما حتى ماتا ثم فارقهم لقمان فاتى قبيلة اخرى فنزل بهم فبيناهو كذلك اذ بصر بامرأة قد قامت عن بنات لها فسألت احداهن أين تذهبين قالت الى الخلاء ثم خرجت الى بيوت الحى فعارضها رجل فمضيا جميعاً ولقمان ينظر فوقع الرجل عليها وقضى حاجته منها فقالت المرأة هل لك ان أتماوت على أهلي فاذا ساهو ثلاثه أيام أكون فى رجمى ثم تجيء فتستخرجنى فنتمتع فقال الرجل افعلى وكان اسمه الخلى وزوج المرأة اسمه الشجى فقال لقمان — ويل للشجى من الخلى فذهبت مثلا فلم تلبث المرأة الا أياما حتى تماوتت على أهلها وكان الميت منهم اذا مات تجعل فوقه الحجارة ولم تكن اذ ذاك قبور فلما كان اليوم الثالث جاءها خليلها فاخرجها وانطلق بها الى منزله وتحوّل الحى من ذلك المكان وخافت المرأة أن تعرف فجزّت شعرها وتركت لنفسها جمة فبيناهم كذلك اذ خرج بنات المرأة فاذاهن بامرأة جالسة ذات جمة فقالت الصغرى أمي والله ، قالت الوسطى صدقت والله ، قالت المرأة كذبتما ما أنا لكما بام ، قالت الكبرى صدقت والله لقد دفنا أمنا غير ذات جمة ما كان لامنا الالمة ، قالت الصغرى هبك أنكرت أعلاها أما تعرفين أخراها فتعلقت بها فقالت الام صغراهن مُراهن فذهبت مثلا واجتمع الناس وجاء زوج المرأة فارتفعوا الى لقمان فقالوا احكم بيننا فقال لقمان * عند جهينة الخبر اليقين *

فذهبت مثلا وكان يلقب بجهينة فقال لقمان للمرأة أخبرك أم تخبرينى ، قالت بل قل قال انك قلت لهذا انى متماوتة على أهلي فاذا دفنونى فى رجمى جئت فاستخرجتنى وأتنكر لهم فلا يعرفوننى فنتنعم ما بقينا فاعترفت المرأة فقيل للقمان احكم بيننا قال ارجموها كما رجمت نفسها فحفر لها حفرة وألقوها فيها ورجموها وكانت أول مرجومة فى العرب ثم ان زوجها تعلق بالخلى فقال يالقمان هذا فرق بينى وبين أهلى فقال لقمان لكل ذكر أنثى ولكل أول آخر فرّق بينك وبين أنثاك ونفرّق بين ذكره وبين أنثييه فقطع ذكره فمات

﴿ محاسن الغيرة ﴾

روى انه اذا أُغير الرجل فى أهله أو فى بعض مناكحه أو مملوكته فلم يغر بعث الله جل اسمه اليه طيراً يقال له القرقفنة حتى يسقط على عارضة بابه ثم يمهله أربعين صباحا يهتف به إن الله غيور يحب كل غيور فان هو تغير وأنكر ذلك والا طار حتى يسقط على رأسه فيخفق بجناحيه على عينيه ثم يطير عنه فينزع الله منه روح الايمان وتسميه الملائكة الديوث ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم باعدوا بين أنفاس الرجال والنساء فان كانت المعاينة واللقاء كان الداء الذى لا دواء له . وروى إن امرأة ذات عقل ورأى حملت من فاجر فقيل لها فى ذلك فقالت قرب الوساد

وطول السواد . تريد قرب مضجعه منها وطول مسارّته اياها ، وقال صلى الله عليه وسلم النساء حبائل الشيطان وقال سعيد ابن مسلم لان يرى حرمتى ألف رجل على حال تكشف وهى لاتراهم أحبّ إلىّ من ان ترى حرمتى رجلا مواجهة . وقيل لعقيل بن عُلفة ألا تزوج بناتك فقال أجيعهن فلا يأشرن وأعريهن فلا يظهرن فوافق احدى كلمتيه قول النبى صلى الله عليه وسلم : الصوم وجاء السيئة والاخرى قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : استعينوا عليهن بالعرى وغاية أموال الرجال وكسبهم وهمهم وما يملكون أنما هو مضروف الى النساء فلو لم يكن الا ما يعدّ لهن من الطيب والحلى والكساء والفرش والآنية كان فى ذلك ما كفى ولو لم يكن الا الاهتمام بالحفظ والحراسة وخوف العار من خياناتهن والجناية عليهن لكان فى ذلك المؤونة العظيمة والمشقة الشديدة غير إن أولى الاشياء بالرجال حفظهن وحراستهن فليس شىء لهن أصلح من مباعدتهن عن الرجال وقمعهن بالعرى والجوع ومن حق الملوك أن لا يرفع أحد من خاصتها و بطانتها رأسه الى حرمة لها صغرت أم كبرت فكم من فيل وطىء هامة عظيم و بطنه حتى بدت أمعاؤه وكم من شريف وعزيز قوم قد مزقته السباع ونهشته وكم من جارية كريمة على قومها عزيزة فى أهلها قد أكلها حيتان البحر وطير الماء وكم من جمجمة كانت تصان وتعل بالمسك والبان قد ألقيت بالعراء وغيبت جثتها فى الثرى بسبب الحرم والخدم والغلمان ولم يأت الشيطان أحداً قط من باب حتى يراه بحيث من يهوى مستقيم اللحم والاعضاء هو أبلغ من مكيدته وأحرى أن يرى فيه أمنيةً من هذا الباب اذ كان من ألطف مكائده وأدق وساوسه وأجل تزايينه وقيل لابنة الخُسّ لم زنيت بعبدك ولم تزن بحرّ قالت طول السواد وقرب الوساد . . وقيل لو أن أقبح الناس وجهاً وأنتنهم رائحة وأظهرهم فقراً وأسقطهم نفساً وأوضعهم حسباً قال لامرأة تمكن من كلامها ومكنته من سمعها : والله يامولاتى لقد أسهرت ليلى وأرّقت عينى وشغلتنى عن مهم أمرى فما أعقل أهلا ولا ولداً ولو كانت أبرع الناس جمالا وأكملهم كمالا وأملحهم ملاحة وان كانت عينه تدمع بذلك ثم كانت تكون مثل أم الدرداء أو معاذة العدوية أو رابعة القيسية لمالت اليه وأحبته ومنها قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه اضربوهن بالعرى فان النساء يخرجن الى الاعراس و يقمن فى المناحات و يظهرن فى الاعياد ومتى كثر خروجهن لم يعدمن بدّ من أن يرين من هو من شكلهن ولو كان بعلهن أتمّ حسناً وأحسن وجها والذى رأت أنقص حسناً ولكان مالا تملكه أظرف عندها مما تملكه ولكان ما لم تملكه أو تستكثرمنه أشد لها اشتغالا واجتذابا . قال الشاعر

وللعين ملهًى بالنّساءِ ولم يقُدْ * هوى النفْسِ شىءٌ كاقتيادِ الطرائفِ

وكانت الاكاسرة اذا امتحنت الخاصة من أصحابها وخف الواحد عنهم على قلب الملك

وكان الرجل عالماً بالحكمة موضعاً للامانة فى الدماء والفروج والأموال على ظاهره فيأمره أن يتحول الى منزله وان تفرغ اليه حجرة وان لا يتحول اليه بامرأة ولا جارية ولا حرمة ويقول له أريد بك الانس فى ليلى ونهارى ومتى كان معك بعض حرمك قطعك عنى فاجعل منصرفك الى منزلك فى كل خمس ليال فاذا تحوّل الرجل أنس به وخلا معه وكان آخر من ينصرف من عنده فيتركه على هذه الحالة أشهراً . امتحن ابرويز رجلا من خاصته بهذه المحنة ثم دس اليه جارية من بعض جواريه ووجه معها اليه بألطاف وهدايا وأمرها أن لا تقعد عنده فى أول مرة فأتته بألطاف الملك وقامت بين يديه ولم تلبث أن انصرفت حتى اذا كانت المرة الثانية أمرها أن تقعد هنيهة وان تبدى عن محاسنها حتى يتأملها ففعلت ولاحظها الرجل بحد النظر اليها ويسر بمحادثتها ومن شأن النفس أن تطلب بعد ذلك الغرض من هذه المطايبة فلما أبدى ما عنده قالت أخاف أن يعثر علينا ولكن دعنى حتى أدبر فى هذا ما يتم به الامر بيننا ثم انصرفت فاخبرت الملك بذلك وبكل شئ جرى بينهما فلما كانت المرة الثالثة أمرها أن تطيل القعود عنده وان تحدثه وان أرادها على الزيادة فى الحادثة أجابته اليه ففعلت ووجه اليه أخرى من خواص وثقاتهن بالطافه وهداياه فلما جاءت قال لها ما فعلت فلانة قالت اعتلت فاربدّ لون الرجل ثم لم تطل القعود عنده كما فعلت الاولى ثم عاودته فقعدت أكثر من المقدار الاول وأبدت بعض محاسنها حتى تأملها وعاودته فى المرة الثالثة وأطالت القعود والمضاحكة والمهازلة فدعاها الى ما فى تركيب النفس من الشهوة فقالت أنا من الملك على خطأ يسيرة ومعه فى دار واحدة ولكن الملك يمضى بعد ثلاث الى بستانه الذى بموضع كذا فيقيم هنالك فان أرادك على الذهاب معه فاظهر انك عليل وتمارض فان خيرك بين الانصراف الى نسائك أو المقام ههنا فاختر المقام واخبره انك لا تقدر على الحركة فان أجابك الى ذلك جئت من أول الليل فأكون معك الى آخره فسكن الرقيع الى قولها وانصرفت الجارية فاخبرت الملك بكل ما دار بينهما فلما كان فى الوقت الذى وعدته أن يخرج الملك فيه دعاه الملك فقال للرسول أخبر انى عليل فلما جاءه الرسول وأخبره تبسم وقال هذا أول الشر فوجه اليه محفة يحمل فيها فأتاه وهو معصب فلما بصر به قال والمحفة الشر الثانى فبين العصابة فقال والعصابة الشر الثالث فلما دنا من الملك سجد فقال له متى حدثت بك هذه العلة قال هذه الليلة قال فأى الامرين أحب اليك الانصراف الى نسائك لتمريضك أم المقام ههنا لوقت رجوعى قال المقام ههنا أيها الملك أوفق لقلة الحركة فتبسم ابرويز وقال حركتك ههنا ان تركت أكثر من حركتك فى منزلك ثم أمر له بعصا الزناة التى كان يرسم بها من زنى فأيقن الرجل بالشر وأمر أن يكتب له ما كان من أمره حرفا حرفا فيقرأ على الناس اذا حضروا وان ينفى الى أقصى مملكته وتجعل فى العصا فى رأس رمح يكون معه حيث كان ليحذر من يعرفه منه فلما

خرج الرجل من المدائن متوجها به نحو فارس أخذ مدية كانت مع بعض الموكلين به فجبّ بها ذكره وقال من أطاع عضواً صغيراً من أعضائه إفسد عليه جميع أعضائه فمات من ساعته ، وفيما يذكر عن انوشروان أنه اتهم رجلا من خاصته فى بعض حرمه فلم يدر كيف يقتله لا هو وجد أمراً ظاهراً يحكم بمثله الحاكم فيسفك به دمه ولا قدر على كشف ذنبه لما فى ذلك من الهون على الملك والمملكة ولا وجد عذراً لنفسه فى قتله غيلة اذ لم يكن فى شرائع دينهم ووراثة سلفهم فدعا الرجل بعد جنايته بسنة فى خلوة فقال قد حزنى أمر من أسرار ملك الروم وبى حاجة الى علمها وما أجدنى أسكن الى أحد سكونى اليك اذ حللت من قلبى المحل الذى أنت به وقد رأيت أن تحمل لى مالا الى هناك للتجارة وتدخل بلاد الروم فتقيم بها فاذا بعت ما معك حملت مما فى بلادهم من تجاراتهم وأقبلت الىّ وفى خلال ذلك تصغى الى اخبارهم وتطلع الى ما بنا الحاجة الى معرفته من أمورهم وأشرارهم فقال افعل أيها الملك وأرجوا أن أبلغ فى ذلك محبة الملك ورضاه فامر له بمال وتجهز الرجل وخرج بتجارته فاقام فى بلاد الروم حتى باع واشترى وفهم من كلامهم ولغاتهم ما عرف به مخاطباتهم وبعض أسرار ملكهم وانصرف الى انوشروان بذلك فاراه الايثار به وزاد فى بره ورده الى بلادهم وأمره بالمقام والتربص بتجارته ففعل حتى عرف واستفاض ذكره فلم تزل تلك حاله ست سنين حتى اذا كانت السنة السابعة أمر الملك أن تصور صورة الرجل فى جام من جاماته التى يشرب فيها وتجعل صورته بازاء صورة انوشروان ويجعل مخاطبا لانوشروان ومشيراً عليه واليه ويدنى رأسه من رأس الملك فى تلك الصورة كانه يسارّه ثم وهب ذلك الجام لبعض خدمه وقال أن الملوك يرغبون فى مثل هذا الجام فاذا أردت بيعه فادفعه الى فلان اذا خرج نحو بلاد الروم بتجارته وقل له يبيعه من الملك نفسه فانه ينفعك فان لم يمكنه بيعه من الملك باعه من وزيره أو بعض خاصته فجاء غلام الملك بالجام وقد وضع الرجل رجله فى الركاب فساله أن يبيع جامه من الملك وان يتخذ عنده بذلك يداً وكان الملك يعزّ ذلك الغلام وكان من خاصة غلمانه وصاحب شرابه فاجابه الى ذلك وأمر بدفع الجام الى صاحب خزانته وقال احفظه فاذا صرت الى باب الملك فليكن مما أعرضه عليه فلما صار الى باب الملك دفع صاحب الخزانة اليه الجام فعرضه على الملك فيما عرض عليه فلما وقع الجام فى يد الملك نظر اليه ونظر الى صورة انوشروان فيه والى صورة الرجل وتركيبه عضواً عضواً وجارحة جارحة فقال للرجل أخبرنى هل يصور مع صورة الملك رجل خسيس قال لا قال فهل تصور فى آنية الملك صورة لا أصل لها ولا علة قال لا قال فهل فى دار الملك اثنان يتشابهان فى صورة واحدة حتى يكون هذا كانه ذاك فى الصورة وكلاهما نديما الملك قال لا أعرفه قال له قم قائما فقام فوجد صورته فى الجام فقال له أدبر فأدبر فتأمل صورته فى الجام فوجدهما بحكاية

واحدة فضحك ولم يجسر الرجل أن يسأله عن سبب ضحكه اجلالا له واعظاما فقال ملك الروم الشاة اعقل من الانسان اذ كانت تخفي مدينها وتدفنها وانما اهديت اليّ المدينة بيدك فقال للرجل تغديت قال لا قال قربوا له طعاما قال أيها الملك أنا عبد والعبد لا يأكل بحضرة الملك قال الملك أنت عبد ما دمت عند ملك الروم مطلعا على أمور دمتتبعا لاسرار دملك اذا قدمت بلاد فارس ونديم ملكها اطعموه فاطعم وسقي الخمر حتى اذا ثمل قال من سير ملوكنا ان لا نقتل الجاسوس الا في أعلا موضع نقدر عليه ولا نقتله جائعا ولا عطشانا فامر به فاصعد الى سطح كان يشرف منه على كل من كان في المدينة اذا صعد فضربت عنقه هنالك وألقيت جثته من ذلك السطح ونصب رأسه للناس فلما بلغ ذلك كسرى أمر صاحب الجرس أن يضرب باجراس الذهب ويمر على دور نساء الملك وجواريه ويقول كل نفس ذائقة الموت كل أحد اذا وجب عليه القتل في الارض يقتل الا من تعرض لحرمة الملك فانه يقتل في السماء فلم يدر أحد من أهل المملكة ما أراد به حتى مات

﴿ ومثله من أخبار العرب ﴾ ذكروا أنه كان لطسم وجديس ملك يقال له عمليق ظلوم غشوم وكانت لا تزف جارية الى زوجها إلا بدأ وبها فافترعها وردها الى بعلها ثم أن رجلا من جديس تزوج غفيرة بنت غفار عظيم جديس ورئيسها فلما أرادوا أن يهدوها اليه بدأوا بها عمليق فادخلوها عليه ومعها القيان يتغنين ويضربن بالدفوف ويقلن

إبدى بِعِمْليقَ ومُهْ فارْكَبى * وبادرى الصُّبحَ بأمرٍ مُعجبِ
فسوْفَ تلقَيْنَ الذى لمْ تَطْلبى * ولمْ يكنْ منْ دونهِ منْ مذْهَبِ

فجعلت تقول وهى تزف

ماأحدٌ أذلُّ منْ جديسِ * أهكذا يُفعلُ بالعرُوسِ
يرْضى بهذا ياالقوْمِ حرٌّ * منْ بعْد ماأهْدى وسيق المهْرُ
لأنْ يُلاقى المرءُ موْتَ نفْسه * خيرٌ لهُ منْ فعْلِ ذا بعرْسه

فلما دخلت عليه افترعها ثم خلى سبيلها فخرجت ووقفت على أخيها الاسود بن غفار وهو قاعد فى نادى قومه وقد رفعت ثوبها عن عورتها وأنشات تقول

أيصْلحُ ما يُؤْتى إلى فتياتكمْ * وأنتمْ رجالٌ كثرة عددُ الرَّمل
وترْضوْنَ هذا ياالقوْمِ لأختكمْ * عَشيَّةَ زُفتْ فى النساءِ إلى البعْل
فإنْ أنتمُ لمْ تغضبوا بعدَ هذه * فكونوا نساءً فى المنازل والحَجْل
ودونكمُ طيبَ النّساءِ وإنما * خُلقتمْ جميعاً للتزيُّن والكُحل

فلوْ أنَّنا كنّا رجالا وكنتمُ * نساءً لكنّا لا نقيمُ على ذُحل

فقبْحاً لبعْلٍ ليْس فيه حميّةٌ * ويختالُ يمشي بيننا مشْية الفحْل

فموتوا كراماً أوْ أصيبوا عدوَّكمْ * بداهية تُوري ضراماً من الجزْل

وإلاّ فخلّوا داركُمْ أو ترحّلوا * إلى بلدٍ قفْرٍ خلاءٍ من الاهل

ولا تخرُجوا للحرْب ياقوْمِ إنّها * تقومُ بأقوامٍ شدادٍ على رجْل

فيهْلِكُ فيها كلُّ وغْدٍ مُواكل * ويَسلَمُ فيها ذو الطعان وذو القتل

فلما سمعت جديس شعرها أنفت أنفاً شديداً وأخذتهم الحمية فتآمروا بينهم وعزموا على اغتيال الملك وجنوده فقالوا ان نحن بادهناهم بالحرب لم نقو عليهم لكثرة جندهم وأنصارهم فاتفقوا على ذلك ثم ان الاسود أتى الملك فقال: انى أحب أن تجعل غداءك عندى أنت وجنودك، فقال عمليق ان عدد القوم كثير وأحسب ان الملوك لا تسعهم فقال الاسود: فنخرج لهم الطعام الى بطن الوادى فقال لقومه اذا اشتغل القوم بالاكل فسلوا سيوفكم واعملوا على ان تحملوا حملة رجل واحد واقتلوهم عن آخرهم وهيأ الاسود ما احتاج اليه من الطعام وجاء الملك فلما أكب القوم على الاكل بادرت جديس الى سيوفهم ثم حملت على الملك وعلى جنوده والاسود يرتجز ويقول

ياصبْحة ياصبحةَ العَروسِ * حتى تمشّتْ بدمٍ جميس

ياطسْمَ مالقيتِ منْ جَديس * هلكْتِ ياطسْمَ فهيسى هيسى

فقتلوه وجنوده جميعاً، ومثله الفطيون ملك تهامة والحجاز فانه سلك مسلك عمليق فى ملك طسم وجديس فى أمر النساء فأمر أن لا تزف من اليهود فى مملكته امرأة إلا بدأ وبها فابث على ذلك عدة أحوال حتى زوجت امرأة من اليهود من ابن عم لها وكانت ذات جمال رائع وكانت أخت مالك بن عجلان من الرضاعة فلما أرادوا أن يهدوها الى زوجها خرجت الى نادى الاوس والخزرج رافعة ثوبها الى سرتها فقام اليها مالك بن العجلان فقال ويحك ومادهاك فقالت وما يكون من الداهية أعظم من ان ينطلق بي الى غير بعلى بعد ساعة فأنف من ذلك أنفاً شديداً فدعا ببزة امرأة فلبسها فلما انطلقوا بالمرأة الى الفطيون صار كواحدة من نسائها اللواتى ينطلقن بها متشبهاً بامرأة وقد أعد سكيناً فى خفه فلما دخلت المرأة على الفطيون مال مالك الى خزانة فى ذلك البيت فدخلها فلما خرج النساء ودخلت المرأة قام اليها ليفترعها خرج اليه مالك بالسكين فوجأه فقتله ثم قال لليهود دونكم جنوده فاقتلوهم فاجتمعت عليهم فقتلوهم عن آخرهم

﴿ ومنه أخبار وأمثال ﴾ ذكروا أن أول من قال العجب كل العجب بين جمادى ورُجب عاصم بن المقشعر الضبي وذلك ان الخنيفس بن خشرم كان أغير أهل زمانه وأشجعهم

وكان لعاصم أخ يقال له عبيده عزيز فى قومه فهوى امرأة كانت تأتى الحنيفس فبلغ الحنيفس ذلك فتواعد عبيدة وركب الحنيفس فرسه وأخذ رمحه وانطلق يتربص عبيدة حتى وقف على ممره فاقبل عبيدة وقد قضى من المرأة وطراً وهو يقول

أَلا إِنَّ الْحُنَيْفِسَ فَاعْلَمُوهُ * كَمَا سَمَّاهُ وَالِدُهُ لَعِينُ
بَهِيمُ اللَّوْنِ مُحْتَقَرٌ ضَئِيلٌ * لَئِيمَاتٌ خَلائِقُهُ ضَنِينُ
أَيُوعِدُنِى الْحُنَيْفِسُ مِنْ بَعِيدٍ * وَلَمَّا يَلْقَ مَا بَضَّهُ الْوَتِينُ
لَهَوْتُ بِجَارَتَيْهِ وَحَادَعَنِى * وَيَزْعُمُ أَنَّهُ أَنِفٌ شَفُونُ

فعارضه الحنيفس وهو يقول

أَيَا ابْنَ الْمُقْشَعِرِّ لَقِيتَ لَيْثاً * لَهُ فِى جَوْفِ أَيْكَتِهِ عَرِينُ
تَقُولُ لَهُ صَدَدْتَ حِذَارَ حَيْنٍ * وَأَنَّكَ نَشْوُ أَبْطَالٍ مُبِينُ
وَأَنَّكَ قَدْ لَهَوْتَ بِجَارَتَيْنَا * فَهَاكَ عُبَيْدَ لاقَاكَ الْقَرِينُ
سَتَعْلَمُ أَيُّنَا أَحْمَى ذِمَاراً * إِذَا قَصُرَتْ شِمَالُكَ وَالْيَمِينُ
لَهَوْتَ بِهَا لَقَدْ أَبْدَلْتَ قَبْراً * وَبَاكِيَةً عَلَيْكَ لَهَا رَنِينُ

فقال عبيدة أذكرك الله وحرمة خشرم فقال والله لا قتلنك فقتله فلما بلغ أخاه عاصما خرج اليه ولبس أطماراً وركب فرسه وكان فى آخر يوم من جمادى فاقبل يبادر دخول رجب لانهم كانوا لا يقتلون فى رجب أحداً فانطلق حتى وقف بباب حنيفس ليلا وقال أجب المرهوق قال وماذاك قال العجب كل العجب بين جمادى ورجب وانى رجل من ضبة غصب أخ لى امرأة فخرج يستنقذها فقتل وقد عجزت عن قاتله فخرج الحنيفس مغضباً وأخذ رمحه وركب وانطلق معه فلما نحى به عن قومه دنا منه فقنعه بالسيف فابان رأسه ، ويقال ان أول من قال سبق السيف العذل ضمضم بن عمرو اللخمى كان يهوى امرأة فطلبها بكل حيلة فأبت عليه وطلبها عزيز بن عبيد بن ضمضمة فاتته وتأبت على ضمضم وكان ضمضم من أشد قومه بأساً فاغتاظ لذلك وانطلق ليلة وهو متقلد سيفه حتى صار بمكان يراهما اذا اجتمعا ولا يريانه فلما نام الناس وطال هدو ضمضم اذا العزيز قد أقبل على فرسه وهو يقول

أُمَامَ تَوَلَّيْنِى وَتَأْبَى بِنَفْسِهَا * عَلَى ضَمْضَمٍ تَعْساً وَرَغْماً لِضَمْضَمِ

وضمضم يسمع فنزل وربط فرسه ونزل الى ناحية خبائها فصدح صدوح الهام وكان آية ما بينهما فخرجت اليه فعانقها وضمضم ينظر ثم واقعها فلما رآهما مشى اليهما بالسيف وهو يقول

سَتَعْلَمُ أَنِّى لَسْتُ أَعْشَقُ مُبْغِضاً * فَكَانَ بِنَا عَنْهَا وَعَنْكَ عَزَاءُ

وقتله فعلم القوم بضمضم فأخذوه فلما أصبح أبرز الى النادى ليقتل فجعل يلومونه على قتله ابن عمه فقال سبق السيف العذل ، ويقال ان أول من قال خير قليل وفضحت نفسى فاثرة امرأة مرة الاسدى وكانت من أجمل النساء فى زمانها وكان زوجها غاب عنها أعواما فهويت عبدا له حبشيا يرعى إبلها فأمرته ان يحضر مضجعها وكان زوجها منصرفا قد نزل تلك الليلة منها على مسيرة يوم فبيناهو يطعم ومعه أصحابه اذ نعق غراب فأخبره أن امرأته لم تعهر قط ولا تعهر الا تلك الليلة فركب فرسه ومر مسرعا وهو يرجوان هو منعها تلك الليلة أمنها فيما بقى فانتهى اليها حين قام العبد عنها وندمت وهى تقول خير قليل وفضحت نفسى فسمعها زوجها وهو يرعد لما به من الغيظ فقالت له ما يرعدك فقال يعلمها انه قد علم خير قليل وفضحت نفسى فشهقت شهقة خرت ميتة فقتل زوجها العبد وجعل يقول

لعمْرُكِ ما تعتادُنى منكِ لوْعةٌ * ولا أنا من وجدٍ بذكراكِ أسهدُ

قيل وكانت هند بنت عتبة تحت الفاكه بن المغيرة المخزومى وكان الفاكه من فتيان قريش وكان له بيت ضيافة يغشاه الناس من غير اذن فخلا ذلك البيت يوما فاضطجع الفاكه وهند فيه فخرج الفاكه لبعض حوائجه وأقبل رجل ممن كان يغشى ذلك البيت فولجه فلما رأى المرأة ولى هاربا فرآه الفاكه وهو خارج من البيت فأقبل الى هند فضربها برجله وقال من هذا الرجل الذى خرج من عندك قالت ما رأيت احدا ولا انتبهت حتى نبهتنى فقال لها الحقى باهلك فتكلم الناس فيها فقال لها أبوها يا بنية ان الناس قد أكثروا فيك فاصدقينى فان كان الرجل فى قوله صادقا سببت له من يقتله فتنقطع عنك القالة وان كان كاذبا حاكمته الى بعض كهان اليمن فحلفت له بما يحلفون به فى الجاهلية انه لكاذب فقال عتبة للفاكه يا هذا إنك قد رميت ابنتى بأمر عظيم فحاكمنى الى بعض كهان اليمن فخرج عتبة فى جماعة من بنى عبد مناف وخرج فاكه فى جماعة من بنى مخزوم وأخرجوا معهم هندا ونسوة معها فلما شارفوا البلاد قالوا غدا نرد على الكاهن فتغير لون هند فقال لها أبوها انى أرى ما بك فهلا كان هذا قبل خروجنا قالت لا والله يا أبتاه ما ذلك لمكروه ولكن سنأنى بشر يخطئ ويصيب فلا نأمن أن يسومنى مما يكون فيه سبة على بقى عمرى قال انى سوف اختبره قبل أن ينظر فى أمرك فأخذ حبة من حنطة فادخلها فى احليل فرسه وأوكى عليها بسير فلما دخلوا على الكاهن قال له عتبة ما كان منى فى طريقى قال ثمر فى كمره قال احتاج الى أبين من هذا قال حبة بر فى احليل مهر قال صدقت فما بال حال هؤلاء النسوة فجعل يدنو من احداهن فيضرب عنكبها حتى أتى الى هند فضرب بمنكبها وقال انهضى غير رسحاء ولا فاحشة ولتلدين ملكا يقال له معاوية فوثب اليها الفاكه فأخذ بيدها فنزعت يدها من يده وقالت اليك عنى والله لاجهدن ان يكون ذلك من غيرك فتزوجها أبو سفيان بن حرب فجاءت بمعاوية ، قيل وكان عمر

ابن الخطاب رضى الله عنه يعس بنفسه فسمع امرأة تقول

ألا سبيلٌ إلى خمرٍ فأشربها * أم هل سبيلٌ إلى نصر بن حجّاج
إلى فتىً ماجدِ الأخلاقِ ذى كرمٍ * سهل المحيّا كريمٍ غيرِ ملجاج

فقال عمر أما مادام عمر إماما فلا ، فلما أصبح قال على بنصر بن الحجاج فاتى به فاذا هو رجل جميل فقال اخرج من المدينة ، قال : ولم وماذنبى ، قال اخرج فوالله ما تساكننى فخرج حتى أتى البصرة وكتب الى عمر رضى الله عنه

لعمرى لئن سيّرتنى وحرمتنى * ولم آتِ إثماً إنّ ذا لحرامُ
ومالىَ ذنبٌ غيرَ ظنٍّ ظننته * وبعضُ تصاديقِ الظنونِ إثامُ
وإنْ غنّتِ الدّلفاءُ يوماً بمنيةٍ * فبعضُ أمانىِّ النّساءِ غرامُ
فظنَّ بىَ الظنَّ الذى لوْ أتيتهُ * لما كانَ لى فى الصّالحينَ مُقامُ
ويمنعنى ممّا تمنّتْ حفيظتى * وآباءُ صدقٍ سالفونَ كرامُ
ويمنعُها ممّا تمنّتْ صلاتُها * وبيتٌ لها فى قومها وصيامُ
فهذانِ حالانا فهلْ أنتَ مُرجعى * فقدْ جُبَّ منّى غاربٌ وسنامُ

قال : فردّه عمر بعد ذلك لما وصف من عفته ، ويروى أيضاً ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يعس بالمدينة ذات ليلة اذ سمع امرأة تهتف وتقول

تطاولَ هذا الليلُ واسودَّ جانبه * وأرّقنى إذ لا خليلَ الاعبُه
فوَاللهِ لوْلا اللهُ لاربَّ غيرُهُ * لزُعزعَ منْ هذا السّريرِ جوانبُه
ولٰكنَّ ربى والحياءُ يكفّنى * وأكرمُ بعلى أنْ تُوطا مراكبه

قال فرجع عمر الى منزله فسأل عن المرأة فاذا زوجها غائب فسأل ابنته حفصة كم تصبر المرأة عن الرجل فسكتت واستحيت وأطرقت فقال أربعة أشهر خمسة أشهر ستة أشهر فرفعت طرفها فعلم أنها لا تصبر أكثر من ستة أشهر فكتب الى صاحب الجيش ان يقفل من الغزو الرجال اذا أتت ستة أشهر الى أهاليهم ، وغزا رجل من الانصار وله جار يهودى فاتى امرأته واستلقى ذات ليلة على ظهره وأنشأ يقول

وأشعثَ غرّهُ الإسلامُ منى * خلوتُ بعرسهِ ليلَ التّمامِ
أبيتُ على ترائبها ويُضحى * على جرداءَ لاحقةِ الحزامِ

فسمع ذلك جاره فضربه بالسيف حتى قطعه فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال : انشد الله رجلا كان عنده من هذا علم الاقام ، فقام الرجل فحدثه فقال : أحسنت أحسنت ،

وتمام الابيات

كأنَّ مَجامعَ الرَّبلاتِ منها * فئامٌ قدْ جُمِعْنَ إلى فئامِ

﴿ ومنه أخبار الشعراء ﴾ قيل لما خرج امرؤ القيس بن حجر الى قيصر ملك الروم ليسأله النصرة على بني أسد لقتلهم أباه حجر بن الحارث راسل بنت قيصر وأراد أن يختدعها عن نفسها وبلغ ذلك قيصر وأراد أن يقتله فتقدم من ذلك وأمر بقميص فغمس في السم وقال لامرىء القيس إلبس هذا القميص فاني أحببت أن أوثرك به على نفسي لحسنه وبهائه فعمل السم في جسمه وكثرت فيه القروح فمات منها فسمي ذا القروح وقد كان قيل لقيصر قبل ذلك انه هجاه فعندها يقول

ظَلَمْتُ لهُ نفسي بأنْ جئتُ راغباً * إليهِ وقدْ سَيَّرْتُ فيهِ القوافيا

فإنْ أكُ مَظلوماً فقِدْماً ظَلَمْتُهُ * وبالصّاعِ يُجزَى مثلَ ماقدْ جزانيا

قيل وكان النابغة يشبب بالمتجردة امرأة النعمان بن المنذر وكانت أكمل أهل عصرها جمالا فبلغ ذلك النعمان فهم بقتل النابغة فهرب منه وسار حتى أتى الشام والملك بها جبلة بن الايهم الغساني فنزل عليه وأقام عنده وكتب الى النعمان

حَلفْتُ ولم أترُكْ لنفسِكَ ريبةً * وليس وراءَ اللهِ للمرءِ مَذْهَبُ

لئنْ كنتَ قد بُلِّغْتَ عني خِيانةً * لَمُبلِغُكَ الواشي أغشُّ وأكذبُ

قيل وكانت امرأة شداد أبي عنترة ذكرت له أن عنترة ارادها عن نفسها فاخذه أبوه فضربه ضرب التلف فقامت المرأة فألقت نفسها عليه لما رأت مابه من الجراحات وبكته وكان اسمها سمية فقال عنترة

أمِنْ سُمَيةَ دَمعُ العينِ مَذْرُوفُ * لو كانَ منكِ قبلَ اليومِ معروفُ

كأنها يوْمَ صدَّتْ ماتُكلِّمنا * ظبيٌ بعُسْفانَ ساجي العينِ مَطرُوفُ

قامَتْ تُحلِّلُني لَمّا هَوَى قبَلي * كأنها صَنَمٌ يعتادُ مَعْكوفُ

المالُ مالُكمُ والعبدُ عبدُكمُ * فهلْ عذابُكِ عني اليوْمَ مَصرُوفُ

قيل ولما أنشد عبد بني الحسحاس عمر بن الخطاب رضي الله عنه قصيدته التي يقول فيها

توَسّدُني كَفًّا وتَمضي بمِعْصَمٍ * عليَّ وتنحو رِجلَها منْ ورائيا

فما زالَ بُرْدي طَيّباً منْ ثيابِها * إلى الحوْلِ حتى أنهجَ البُرْدُ باليا

وهَبَّتْ لنا ريحُ الشَّمالِ بقُوَّةٍ * ولا بُرْدَ إلا دِرْعُها وردائيا

أميلُ بها مَيلَ الرَّديفِ وأتّقي * بها الرّيحَ والشَّفّانَ منْ عن شمالِيا

رأتْ قَتَباً رَثّاً وأخلاقَ شَمْلةٍ * وأسودَ مما يَلبسُ الناسُ عاريا
تجمّعْنَ شتى من ثلاثٍ وأربعٍ * وواحدةٍ حتى كَمَلْنَ ثمانيا
سُلَيمى وسَلمى والرَّبابُ وتِرْبُها * وأرْوَى ورَيّا والمنى وقطاميا
وأقبلْنَ منْ أقصى البلادِ يعدْنني * ألا إنما بعضُ العَوائدِ دائيا

قال عمر رضى الله عنه أنت مقتول فلما قال

ولقدْ تحدَّرَ منْ كريمةِ معشرٍ * عرَقٌ على مَتنِ الفراشِ وطيبُ

وجدوه شار باً ثملا فعرضوا عليه نسوة حتى مرت به التي يطلبونها فأهوى اليها فقتلوه

﴿مساوي شدة الغيرة والعقوبة عليها﴾

حكى عن سليمان بن عبد الملك أنه كان فى بعض أسفاره فسمر معه قوم فلما تفرقوا عنه دعا بوضوء فجاءت به جارية فبيناهي تصب الماء على يده اذا استمدها وأشار اليها مرتين أو ثلاثا فلم تصب عليه فأنكر ذلك ورفع رأسه فاذا هي مصغية بسمعها مائلة بجسدها الى صوت غناء من ناحية العسكر فامرها فتنحت فسمع الصوت فاذا رجل يغنى فانصت له حتى فهم ماغنى فدعا بجارية غيرها فتوضأ فلما أصبح أذن للناس فاجرى ذكر الغناء فلم يزل يخوض فيه حتى ظن القوم انه يشتهيه فأفاضوا فيه وذكروا ما جاء فى الغناء والتسهيل لمن سمعه وذكروا من كان يسمعه من سروات الناس فقال هل بقى أحد يسمع منه فقال رجل من القوم عندى رجلان من أهل الأبلة محكمان قال فأين منزلك من العسكر فأومأ الى ناحية الغناء فقال سليمان ابعث اليهما ففعل فوجد الرسول أحدهما وأقبل به وكان اسمه سمير فساله عن الغناء وكيف هو فيه قال محكم قال متى عهدك به قال البارحة قال وفى أي النواحى كنت فذكر الناحية التي سمع منها الصوت قال وما اسم صاحبك قال سنان قال فاقبل سليمان على القوم فقال هدر الفحل فضبعت الناقة ونب التيس فشكرت الشاة وهدل الحمام فزافت الحمامة وغنى الرجل فطربت المرأة ثم أمر به فخصى وسال عن الغناء أين اصله قالوا بالمدينة وهم المخنثون فكتب الى عامله ان أخص من قبلك من المخنثين وحدث الاصمعى ان الشعر الذى سمعه سليمان يتغنى به هو

محجوبةٌ سمعتْ صوتى فأرّقها * منْ آخرِ الليلِ لمّا بلّها السّحرُ
تُدْنى على الخدّ منها منْ مُعَصْفَرَةٍ * والحَلْيُ بادٍ على لبّاتها خَصِرُ
فى ليلةِ البدرِ ما يدرى مُضاجعُها * أوَجهُها عندَهُ أبهى أمِ القمرُ
لم يمنعِ الصّوتَ أبوابٌ ولا حرسٌ * فدمعُها لطروقِ اللحنِ ينحدرُ

لوْ تستطيعُ مَشتْ نحوي على قدمٍ * تكادُ منْ رِقةٍ في المشْي تنفطرُ

ثم دخل سليمان مضرب الخدم فوجد جارية على هذه الصفة قاعدة تبكي فوجه الى سنان فاحضره و وجهت الجارية رسولا الى سنان يحذره وجعلت للرسول عشرة آلاف درهم ان سبق رسول سليمان فلما حضر أنشأ يقول

إسْتبقني إلى الصّباحِ أعتذرْ * إنّ لساني بالشرابِ مُنكسر

فأرْسِلِ المعرُوفَ في قوْم نُكُرْ

فامر به فخصي وكان بعد ذلك يسمى الخصي ، وعن عليّ بن يقطين قال كنت عند موسى الهادي ذات ليلة مع جماعة من أصحابه اذ أتاه خادم فسارّه بشيء فنهض سريعاً فقال لا تبرحوا فمضى فابطأ ثم جاء وهو يتنفس ساعة حتى استراح ومعه خادم يحمل طبقاً مغطى بمنديل فقام بين يده فاقبل يرعد وعجبنا من ذلك ثم جلس وقال للخادم ضع مامعك فوضع الطبق وقال ارفع المنديل فرفعه فاذا على الطبق رأسا جاريتين لم أر والله أحسن من وجههما قط ولا من شعورهما فاذا على رأسيهما الجوهر منظوم على الشعر واذا رائحة طيبة تفوح فاعظمنا ذلك فقال أتدرون ماشأنهما قلنا : لا قال بلغني أنهما تحابا فوكلت هذا الخادم بهما لينهي الى إخبارهما فجاءني وأخبرني انهما قد اجتمعتا فجئت فوجدتهما كذلك في لحاف فقتلتهما ثم قال ياغلام ارفع و رجع في حديثه كانه لم يصنع شيئاً ، وحدثنا ابراهيم بن اسماعيل عن ابن القداح قال كانت للربيع جارية يقال لها أمة العزيز فاهداها للمهديّ فلما رأى حسنها وجمالها وهيأتها قال هذه لموسى أصلح فوهبها له فكانت أحب الخلق اليه و ولدت له بنية الاكابر ثم ان بعض أعداء الربيع قال لموسى انه سمع الربيع يقول ماوضعت بيني و بين الارض مثل أمة العزيز فغار موسى فدعا الربيع فتغدى معه وناوله كاسا فيه شراب فقال الربيع فعلمت أن نفسي فيها واني إن رددتها من يدي ضرب عنقي فشربتها وانصرفت فجمع ولده وقال اني ميت فقال الفضل ابنه ولم تقول ذلك جعلت فداك قال ان موسى سقاني شربة فانا أجد عملها في بدني ثم أوصى عياله ومات في يومه ،، قيل وطرب الرشيد الى الغناء فخرج متنكراً ومعه خادمه مسرور حتى انتهى الى باب اسحاق بن ابراهيم الموصلي فقال يامسرور إقرع الباب فخرج اسحاق فلما رأى الرشيد انكب على رجله فقبلها ثم قال ان رأى أمير المؤمنين أن يدخل منزل عبده فنزل الرشيد فدخل فرأى أثر الدعوة فقال يااسحاق اني أرى موضع الشرب من كان عندك قال ما كان عندي ياأمير المؤمنين سوى جاريتي كنت أطارحهما قال فهما حاضرتان قال نعم قال فاحضرهما فدعا الجاريتين فخرجتا مع احداهما عود حتى جلستا فامر الرشيد صاحبة العود أن تغني فغنت

بُنِيَ الحُبُّ على الجورِ فلوْ * أنصفَ المعشوقُ فيهِ لَسمُجَ
ليس يستحسَن فى وصف الهوىٰ * عاشقٌ يُكثِرُ تأليف الحُجَج
فقليلُ الحُبِّ صِرْفا خالِصاً * هو خيرٌ منْ كثيرٍ قدْ مُزِج

فقال الرشيد يااسحاق لمن الشعر والغناء فيه قال لا علم لى به ياأمير المؤمنين فنكس رأسه ساعة ينكت فى الارض ثم رفع رأسه وأخذ العود من حجر هذه فوضعه فى حجر الاخرى ثم قال لها غنى فغنت

إنْ يُمسِ حبْلكَ بعدَ طولِ تواصُل * خلقاً وأصبحَ بيتُكم مَهجوراً
فلقدْ أرانى والجديدُ إلى بلًى * زمَناً بوصلكَ راضياً مَسْروراً
كنتَ الهوىٰ وأعزَّ منْ وطئَ الحصى * عندى وكنتُ بذاك منكَ جديراً

فقال يااسحاق لمن الشعر والغناء فيه قال لا علم لى ياسيدى فرد المسألة على الجارية فقالت لستى قال ومن ستك قالت علية أخت أمير المؤمنين فنكس رأسه ساعة ثم وثب وقال لمسرور خادمه امض بنا الى منزل علية فلما وقف بالباب قال استأذن يامسرور فخرجت جارية فلما رأت الخليفة رجعت تبادر تعلم ستها فخرجت تستقبله وتفديه فقال ياعلية هل عندك ما نأكل قالت نعم ياسيدى قال وما نشرب قالت نعم فدخل وجلس فقدمت اليه الطعام فاكل حاراً وبارداً ورطباً ويابساً ثم رفع الطعام ووضع الشراب والطيب وأنواع الرياحين ودعت جواريها وكان عندها ثلاثون جارية يغنين فالبستهن أنواع الثياب وصففتهن فى الايوان وتناول الرشيد الشراب فامر الجوارى يغنين ثم سقى أخته حتى أخذ الشراب منها واحمرت وجنتاها وفترت أجفانها وكانت من أجل النساء فضرب الرشيد الى حجر بعض الجوارى فى أخذ العود وقال ياعلية بحياتى غنى

بُنيَ الحُبُّ على الجَوْرِ فلوْ

فعلمت انها داهية فبكت فصاح الرشيد فخرج الجوارى وبقى هو وهى فدفعها وأخذ وسادة فجعلها على وجهها وجلس عليها فاضطربت اضطراباً شديداً ثم بردت فنحى الوسادة عنها وقد قضت نحبها فخرج وقال للخادم اذا كان غداً فادخل وعزنى وركب متوجهاً الى قصره فلما كان الغد عزاه مسرور فبكى فقال

قبرٌ عزيزٌ علينا * لوْ أنَّ منْ فيه يُفدَىٰ
أسكنْتُ قرّةَ عينى * ومُهْجةَ النفسِ لحْدا
ما إنْ أرى لى عليها * منَ التوجُّعِ بُدّا

ومنه ما حكى عن البهائم قال شيخ من بني قشير كنا في نتاج فامتنع فرس من حجرة فشددنا عينه فنزا عليها فلما فرغ فتحنا العصابة فرأى الحجرة وكانت أمه فعمد الى ذكره باسنانه فقطعه ؟؟
ومنه في خفة الغيرة قال سليمان بن داود الهاشمي لابنه لا تكثر الغيرة على أهلك فترمى بالشر من أجلك وان كانت بريئة ولا تكثر الضحك فيستخفك فؤاد الرجل الحليم وعليك بخشية الله فانها غلبت كل شئ وقال عبد الله بن جعفر لابنته : اياك والغيرة فانها مفتاح الطلاق و إياك وكثرة العتب فانه يورث البغضاء وعليك بالكحل فانه أزين الزينة وأطيب الطيب الماء، قيل وكان كسرى ابرويز يتعشق امرأة رجل كان من مرازبته يقال له البارجان وكانت تأتيه سراً فبلغ زوجها ذلك فامسك عن امرأته واجتنبها ودخل الى كسرى ذات يوم فقال له كسرى بلغني ان لك عين ماء عذبة وانك قد اجتنبتها فلا تقربها فقطن فقال له أيها الملك بلغني أن الاسد ينتاب تلك العين فاجتنبتها خوفا منه فاعجب كسرى بمقالته وأمر أن يتخذ له تاج لا قيمة له ثم دخل كسرى دار نسائه فقاسمهن نصف حليهن فاجتمع من الجوهر مالا يحصى فبعث به الى امرأة البارجان بالقادسية ووقع ذلك الجوهر الى السائب بن الاقرع وكان على المقسم فباعه وجعل للمسلمين بكتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقال بعضهم كنت أغار على امرأتي فأشرفت علي يوما وانا مع جارية لي فلقيت منها اذا حتى حلفت ان ابيع الجارية فخرجت اريد شراء حوائج لي ومعي الجارية فاتيت دكان خلال لشرى الخل فوجدته خاليا فقلت له ياهذا اتأذن لي في ملامسة جاريتي هذه في دكانك فاني اريد بيعها قال نعم جعلت فداك ادخل حيث شئت فدخلت فاصبت من الجارية فلما خرجت اذا الخلال قد كمن ناحية وهو في قميص قد أنعظ فقال فرغت قلت نعم قال بسم الله اتأذن لي جعلت فداك قلت ويلك ماتريد قال اقضي وطري منها قلت يا ابن الفاعلة حرمتي قال لا يضرك شيئاً فاني اسرع ثم وثب كانه السبع فضاربته حتى تخلصت الجارية بعد كل جهد، قال ودخل رجل من بني زهرة من اهل المدينة على قينة فسمع غناءها عند مولاها فخرج مولاها في حاجة ثم رجع فاذا جاريته على بطن الزهري فقامت مذعورة فقعدت تبكي فقال ما يبكيك قالت لانك لا تقبل لاجله عذرا قال يازانية لو رايتك على قفاك قلت صريع مغلوب ولو رأيتك على وجهك لقلت وعاء مكبوب انما رأيتك فارسا مصلوبا ، وحكى عن ثمامة انه قال للمهدي ان النساء شققن شقا وان هشمية نقبت نقبا وكانت هشمية امرأة ثمامة فسأله المهدي ان ينزل عنها ففعل وأقام المهدي حتى انقضت عدتها ثم تزوجها وبنى بها ثم طلقها وخرج الى بيت المقدس فلما انقضت عدتها راجعها زوجها وقال ابو طاهر أنشدني بعض الشعراء يهجو بني القعقاع

بني القَعْقاعِ أكرَمُكم لئيمٌ * وأعظمُ مجدِكم ركبٌ حليقُ
وأنتمْ في نسائكمُ اتّساعٌ * وفي أخلاقِكمْ نكدٌ وضيقُ

وعن عبد الله بن ياسين قال، كان فى المهدى غزل وشدة حب للخلوة بالنساء فبلغه عن ابنة لابى عبيد الله كاتبه جمال فقال للخيزران، استزيريها، فزارتها وجاءت اليها فقالت لها، هل لك فى الحمام قالت نعم فلما دخلت الحمام وافاها المهدى فبرزت له ولم تستتر عنه فقال لها المهدى انا وليك فزوجيني نفسك فقالت انا امتك فتزوجها ونال منها فلما انصرفت اخبرت اخوتها بما كان فقالوا امسكى عنه فلما كان بعد مدة قالوا لها استزيرى الخيزران فاستزارتها فلما صارت اليها قالت هل لك فى الحمام قالت نعم فلما دخلتا معا ماشعرت الخيزران الا بابنى أبى عبيد الله قد عمدوا عليها فاستترت عنهم فقالوا لو أردنا ان نفعل كما فعلتم بحرمتنا لفعلنا ولكنا لا نستحل فقالت لهم والله لو رمتم ذلك لامرت الخدم بقتالكم فانصرفوا فلما رجعت الخيزران أخبرت المهدى بذلك فكان السبب فى قتل المهدى محمد بن ابى عبيد الله على الزندقة، وبلغه أيضا عن عونة بنت أبى عون جمال وهيئة فقال للخيزران استزيريها فاستزارتها فقالت لها الخيزران: هل لك فى الحمام، قالت نعم، فلما دخلتا ماشعرت الا بالمهدى قد وافاها فاستترت بالخيزران وقالت والله لئن دنوت منى لاضربن بالكرنيب وجهك، فقال ويلك انما أردت ان اتزوجك قالت لا سبيل الى ذلك فانصرف عنها فاخبرت أباها فقال أحسنت فى فعالك

— محاسن القيادة —

الحسن الجرجانى قال حدثنى سهم بن عبد الحميد الحنفى قال خرجت من الكوفة اريد بغداد فلما نزلت بسط غلماننا وهيؤا غذاءنا فاذا نحن برجل حسن الوجه والهيئة على برذون فاره فصحت بالغلمان فاخذوا دابته فدعوت بالغداء فبسط يده غير محتشم وما أكرمته بشيء الا قبله وكنا كذلك اذ جاء غلمانه بثقل كثير وهيئة جميلة فتناسبنا فاذا هو طريح بن اسماعيل الثقفى فارتحلنا فى قافلة منا لايدرك طرفاها فقال طريح ماحاجتنا الى هذا الزحام وليست بنا اليهم وحشة ولا علينا خوف فاذا خلونا بالخانات والطرق كان أروح لابد انا قلت ذلك اليك فنزلنا من الغد الخان وتغدينا والى جانبنا نهر ظليل بالشجر فقال هل لك ان تستنقع فيه فمررنا اليه فلما نزع ثيابه اذا بين جنبيه آثار ضرب كثير فوقع فى نفسى منه شر فنظر الى ففطن وتبسم وقال قد رأيناذعرك بما ترى وحديث ذلك يجرى اذا اسرنا بالعشية فلما سرنا قلت له الحديث قال نعم قدمت من عند الوليد بن يزيد بالغناء واليسار وكتب الى يوسف بن عمر فلما أتيته ملا يدى خيرا فخرجت مبادرا الى الطائف فلما امتد بى الطريق وليس يصحبنى فيه احد عن لى اعرابى على قعود له فحدث أحسن الحديث وروى الشعر فاذا هو راوية فانشد فاذا هو شاعر فقلت، من اين اقبلت، قال: لا ادرى: قلت وما القصة قال انا عاشق لامرأة قد افسدت على عيشى وقد حذرنى اهلها وجفانى لها أهلى وانما

استريح بأن انحدر إلى الطريق مع منحدر وأصعد مع مصعد، قلت فأين هي قال نزل غدا بإزائها فلما
نزلنا أراني طريقا عن يسار الطريق فقال ترى ذلك الطريق فقلت أراه قال فترى الخيم التي هنالك
قلت نعم قال فإنها في الخيمة الحمراء فأدركتني اريحية الحدث فقلت والله إني آتيها برسالتك
فمضيت حتى انتهيت إلى الخيم فإذا امرأة ظريفة جميلة كأنها مهرة عربية فذكرته لها فزفرت
زفرة كادت تنتقض أضلاعها قالت أوحي هو قالت نعم تركته في رحلي وراء هذا الطريق قالت
بأبي أنت وأمي أرى لك وجها حسنا يدل على الخير فهل لك في أمر قلت نعم فقير إليه قالت البس
ثيابي فأقم مكاني ودعني حتى آتيه وذلك عند مغيربان الشمس فإنك إذا أظلم الليل أتاك زوجي
فقال لك يا فاجرة ويا هنة ابنة الهنة فيوسعك شتما وسعه صمتا ثم يقول في آخر كلامه اقمعي سقاءك
يا عدوة الله فضع القمع في هذا السقاء وإياك وهذا السقاء الآخر فإنه واه قلت نعم فأجبتها إلى ما سألت
فجاء الزوج على ما وصفت وقال اقمعي سقاءك فخيرني الله أن تركت الصحيح وقمعت الواهي فما
شعر إلا باللبن يتسبسب بين رجليه فعدا إلى كسر الخيمة وحل متاعه وتناول رشاء من قد مدبوغ
ثم ثناه باثنين فجعل لا يتقي رأسا ولا وجها ولا رجلا حتى خشيت أن يبدو له وجهي فتكون
الأخرى فالزمت وجهي الأرض فعمل بظهري ما ترى فلما تغيب عني جاءت المرأة باكية فرأت
ما بي من الشر واعتذرت وأخذت ثيابي وانصرفت قال وحدث بهذا الحديث محمد بن صالح بن
عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه بسر من رأى سنة أربعين ومائتين وكان
حمل من البادية إلى المتوكل فاطلقه وكان أعرابيا فصيحا فعجب منه وكان حسن الوجه نجيبا قال
ما رأيت في الفتيان مثله قال كان منا فتى يقال له الأشتر بن عبد الله وكان سيد بني هلال
وأحسنهم وجها وأسخاهم كفا وكان معجبا بجارية يقال لها جيداء بارعة الجمال فلما اشتهر
أمرهما وظهر خبرهما وقع الشر بين أهل بيتهما حتى قتل بينهما القتلى فافترقوا فريقين فلما
طال على الأشتر البلاء جاءني يوما وقال يا نمير هل فيك خير قلت عندي ما أحببت قال فساعدني
على زيارة جيداء قلت بالحب والكرامة فانهض إذا شئت قال فركبنا وسرنا يوما وليلة والغداة
حتى المساء فنظرنا إلى أدنى سرب لهم فانخنا رواحلنا في شعب وقعدنا هنالك وقال يا نمير اذهب
وانشد وإذا كرلمن يلقاك انك طالب ضالة ولا تعرض بذكرى بشفة ولا لسان إلى أن تلقى
جاريتها فلانة راعية الضأن فتقرئها مني السلام وتسألها عن الخبر وتعلمها بمكاني قال فخرجت
لا أتعدى ما أمرني به حتى لقيت الجارية فأبلغتها الرسالة وأعلمتها بمكانه وسألتها عن الخبر
فقالت هي مشدد عليها محتفظ بها وعلى ذلك فموعدكما عند الشجرات اللواتي عند أعقاب
البيوت مع صلاة العشاء فانصرفت فأخبرته ثم قدنا رواحلنا حتى أتينا الموعد في الوقت الذي
وعدتنا فيه فلم نلبث إلا قليلا حتى إذا جيداء تمشي فدنت منا فوثب إليها الأشتر فتصافحا
وسلم عليها ووثبت موليا عنهما فقالا أقسمنا عليك إلا رجعت والله ما بيننا من ريبة ولا

قبيح تخلو به دونك فانصرفت اليهما وجلست معهما فقال الاشتر ما فيك حيلة يا جيداء فنتزود منك الليلة قالت لا والله ما الى ذلك سبيل الا ان أرجع الى الذى تعلم من البلاء والشر فقال لا بد من ذلك ولو وقعت السماء على الارض قالت فهل بصاحبك خير قلت بلى وهل الخير الا عندى فاسالى ما بدا لك فانى منته اليه ولو كان فى ذلك كله ذهاب نفسى فالبستنى ثيابها وأخذت ثيابى ثم قالت اذهب الى خبائى فادخل فى سترى فان زوجى يأتيك مع العتمة فيطلب منك القدح ليحلب فيه فلا تعطه من يدك فكذلك كنت افعل فيحلب ثم يأتيك بالقدح ملآ نا لبناً فيقول هاك فلا تأخذه منه حتى يطيل عليك نكدك ثم خذه أو ذره حتى يضعه ثم يستبد برداأه ولست تراه حتى يصبح فذهبت ففعلت ما أمرتنى به حتى جاء بالقدح فيه اللبن فاطلت نكدى عليه ثم أهويت لاخذه فاختلفت يدى ويده وانكفأ القدح فاندفق منه اللبن فقال ان هذا الطماح مفرط وضرب يده الى جانب الخباء فاستخرج سوطاً نضر بنى مقدار ثلاثين سوطاً حتى جاءت أمه وأخواته فانتزعونى منه ولا والله ما فعلوا ذلك حتى زايلتنى روحى وهممت أن أوجره بالسكين فلما خرجوا عنى وهو معهم قعدت كما كتب الله فما لبثت ان جاءت أم جيداء فحدثتنى وهى تحسبنى ابنتها فالقيتها بالسكوت وتغطيت بثوبى دونها فقالت يا بنية اتقى الله ولا تتعرضى للمكروه من زوجك فذلك أولى بك ثم خرجت من عندى فقالت سارسل اليك أختك تؤنسك وتبيت الليلة عندك فلم ألبث ان جاءت الجارية تبكى وتدعو على من ضربنى وأنا لا أكلمها ثم اضطجعت الى جانبى فلما استمكنت منها شددت يدى على فمها وقلت ياهذه تلك أختك مع الاشتر وقد قطع ظهرى بسببها وأنت أولى من ستر عليها فاختارى لنفسك ولها فوالله لئن تكلمت لتكونن فضيحة شاملة ثم رفعت يدى عن فيها فاهتزت مثل القصبة من الروع وبانت معى ونلت منها الشهوة التامة ورافقتنى اصلح رفيق رافقته ولم أذق شيئا الذ مما ذقت منها قط فلم نزل نتحدث وتضحك منى ومما بليت به حتى برق النور وجاءت جيداء فلما رأتنا ارتاعت وقالت من هذا عندك قلت أختك قالت وما السبب قلت هى تخبرك فانها عالمة به وأخذت ثيابى وأتيت صاحبى فأخبرته بما أصابنى وكشفت له عن ظهرى فاذا فيه ما الله به عليم فقال لقد عظمت منتك عنتك عندى ووجب شكرك وخاطرت بنفسك فلا احرمنى الله مكافاتك وعن رجل من بنى عامر انه خراج وهو غلام ما بقل وجهه وكان ذا جمال وهيئة صاحب غزل فهجم على قوم يتحملون وقد شدوا أثقالهم وبرزوا واذا امرأة جميلة قد تخلفت على جمل لها لاصلاح شانها قال فوقفت عليها فاذا هى احسن خلق الله وجها واغزله واملحه فتلاقينا كلاما غير كثير فقالت اسالك شيئا فهل لك به علم قلت سلى فقالت ايهما احسن جردة الرجل أم المرأة قلت الرجل قالت بل المرأة فان احببت ان تعلم

ذلك علمته قلت وكيف اعلمه قالت اتجرد لك من ثيابي وارمي بها عني ثم امشي حتى ابلغ الاكمة ثم اقبل حتى آتيك فتعطيني عهد الله وميثاقه لتفعلن كما فعلت فقلت لك عهد الله ان فعلت لا فعلنه قال فالقت ثيابها عن احسن ما نظرت اليه قط بياضا ونظافة وحسنا فلما انتهت الى قالت الوفاء قلت الوفاء ونعمة عين نخلعت ثيابي وانا كابهى الفتيان وأهياهم حتى مضيت بعد الغاية فلما انتصف بي المدى سمعت خرخرة جملي فاذا هي قد جالت على ظهره لابسة ثيابي متنكبة قوسي قد لزمت المحجة فناديتها فلم تعرج علي ولبست ثيابها وتخمرت بخمارها وركبت بعيرها وزجرته فانبعث بي أثر الحي وأخذت شق الوحشي حتى ما أراها وجعلت أكف عن الجمل اذ خشيت ان ألحق الظعن حتى رأوني من بعيد وجعلوا ينادون ويحك أقبلي وانا صامت لا أتكلم ولا أتقدم فلما طال عليهم أمري بعثوا الجارية لهم مولدة فاقبلت تعدو حتى أتتني ونشطت خطام الجمل من يدي وأنا متبرقع أحسن الناس وجها وعينا فنظرت الجارية في وجهي ساعة ثم قالت لقد أمسيت حديدة الطرف وقادت الجمل حتى اتت الحي فقالت ام الجارية يابنية لقد استحيت من الناس مما دعوتك العشية ثم تاملت ونظرت وسائر النساء وقالت احداهن والله انه لرجل وفطن وانزلتني العجوز وادخلتني الستر وقالت من أنت لا أفلحت قلت بل ابنتك لا أفلحت ولا انجحت وقصصت عليها قصتها فقالت نشدتك الله الا اعرتني نفسك هزيعا من الليل فانا كنا على ان نبني بابنتي صاحبة الجمل الليلة وما في الحي رجل غير زوجها وهو انسان فيه لوثة ولا بد من ان أدخلك عليه فانك غلام أمرد فلا ينكرك ولا أراه أقوى منك ان اعتركتما فلك عندي يد بيضاء واقبلت وأخت لابنتها وخالتها فالبستني ثوب العروس وطيبنني ثم دلفن بي نحو الرجل بعيد العتمة وقالت أمها انا لك الفداء تجلد ساعة بالامتناع فانه منصرف عنك وستأتيك الكافرة فادخلتني على مثل الاسد الا ان به لوثة كما قالت فاعتركنا حتى اعيي وكف عني وطال بي الليل حتى سمعت خرخرة جملي فلم البث الا هنيهة حتى جاءت أمها وخالتها وهي معهما فجعلتها مكاني وفتشت عن سرها فاذا هي قد ظلت مع انسان كانت تهواه وأتيت ثيابي فنهضت مبادرا الا ألوي على شيء حذرا مما لقيت قيل وملك النعمان بن المنذر أربعين سنة فلم تر منه سقطة غير هذه وهو انه ركب يوما فبصر بجارية قد خرجت من الكنيسة فاعجبته جدا فدعا بعدي بن زيد وكان نديمه ووزيره فقال له ياعدي لقد رأيت جارية لئن لم اظفر بها انه الموت ولا بد من ان اتلطف أو تتلطف لي حتى تجمع بيني وبينها قال ومن هي، قال: سألت عنها فقيل هي امرأة حكم بن عمرو رجل من أشرف الحيرة ، قال، فهل اعلمت أحدا، قال: لا، قال: فاكتمه فاذا اصبحت فجدد لحكم كرامة وبرا فلما اذن للناس بدأبه فأجلسه معه على سريره وكساه فاستعظم الناس ذلك فلما أصبح بدأ أيضا بالاذن له وحمله فأنكر الناس ذلك وقالوا، ماهذا الا لامر فصنع به ذلك أياما ثم قال له عدي، أيها الملك عندك عشر نسوة فطلق

احد اهن ثم قل له فليتز وجها ففعل فلما دخل عليه قال يا حكم ما كانت نفسى تسمح بهذا لولد ولا لوالد فتزوج فلانة فقد طلقتها فخرج حكم الى عدى فقال يا أبا عمرو ما صنع الملك باحد ما صنع بى وما أدرى بما أكافيه قال له عدى طلق امرأتك كما طلق لك امرأته ففعل وحظى بها عدى عنده وعلم حكم انه قد مكر به فى امرأته وفيه يقول الشاعر

ما فى البَرِيّةِ مِنْ أُنثى تعادِلُها * إلا الذى أخذ النُّعمانُ مِنْ حَكَمِ

وحدث الفضل بن العباس عن الزبير بن بكار عن محمد بن بشير الخارجى قال، قدم علينا رجلان من أهل المدينة يصيدان ومعهما نسوة والفساطيط مضروبة وكان سليمان بن عبد الله الاسلمى وابن اخ له مقيمين بناحية الروحاء فارسل النسوة الى سليمان وابن أخيه امالكما حاجة فى الحديث فرد الرسول ان يكن لنا فيه حاجة فكيف لنا بذلك مع أزواجكن فقلن انما خرج أزواجنا للصيد وقد بلغنا ان لكم صاحبا يعرف من طلب الصيد مالا يعرفه غيره فلو طرح لهم شيئاً من ذكره لاسرعوا اليه وتخلفتم وتحدثتم ماشئتم يعنين به محمد بن بشير فضى اليه سليمان وابن أخيه فقالا ، يا أبا محمد أرسل الينا النسوة بكذا وكذا وسالونى ان أخرجك الى الصيد فقلت لا والله لا أفعل ولا أتعب ولا أنصب وأنتم تتلهون وتتحدثون انا الذ أشد حباً وأكثر صبابة وشوقا فارسلا الى النسوة بمقالتى فارسلن إلى رسولا وعاهدننى لئن أخرجتهم ليحتالن لى حتى اخلو معهن ليلة حتى الصبح فصرت اليهم وذكرت لهم الصيد فخرجوا معى فلما زلت أحدثهم بالصدق حتى اخذت فى الكذب مما يضارع الصدق حتى افنيته فاقمت معهم ثلاثة أيام ولياليها ثم انصرفوا من غير ان اصطدنا شيئاً فقلت فى ذلك

إنى انطلقتُ معى قومٌ ذوو حسبٍ * مافى خلائقهم زهوٌ ولا حَمَقُ
إنى لاعجبُ منهم كيف أخدعُهُمْ * أمْ كيف آفِكُ قوماً مابهمْ رَهَقُ
أظلُّ فى الارضِ أُلهيهمْ وأُخبرُهمْ * أخبارَ قومٍ وما كانوا ولا خُلِقوا
ولو صدقتُ لقلتُ القومُ قد دخلوا * حينَ انطلقنا وإنى ساعةَ انطلقوا
فلو أُجاهدُ ماجاهدتُ دُونكمُ * فى المشركين لادركتُ الأُولى سبقوا
إنْ كنتُ أبداً أُجارى من حلائلكم * والدّهرُ ذو عَنَفٍ أيّامُهُ طُرُقُ
فإنَّ كلَّ جديدٍ عائدٌ خلقاً * فلنْ يعودَ جديداً ذلك الخَلَقُ

قال فظفر أصحابى بالحديث والمغازلة وأنا بالجهد والخيبة مع ألم القيادة والتعب وكذب المحادثة ، وحدثنا وهب بن سليمان عن عمه الحسن بن وهب قال خرج محمد بن عبد الملك الزيات من عند الواثق ومن يدبن محمد بن أبى الفرج الهارونى وكيل عبد الله بن طاهر فاذا بجارية حسناء

في منظرة لها فلما بصرت به و رأت موكبه وكان جميلا ظريفا أومأت اليه بالسلام وأومأت بيدها الى صدرها فاعجب بها فلما صار الى منزله دخلت اليه فرأيته بخلاف ما عهدت وكان لا يكتمني شيئاً فقلت مالي أراك مدلها يا أبا الحسن قال رأيت شيئاً أنا فيه مفكر ثم أنشأ يقول

وا بأبي مُخضبٌ * أومى الينا بيده
أومى بها يُخبرني * راحتَه في كَبِدِهْ
أنّ الضنى في جَسدي * يُخبرني عن جسده
فليس للحاسد إلا * خَصْلةٌ من حسده

ثم شرح لي القصة ثم انصرفت من عنده و وافيت مولى الجارية فسألته أن يبيعها فقال اشتريتها للامير عبدالله بن طاهر وليس الى بيعها من سبيل فلم أزل به حتى اشتريتها بخمسين ألف درهم ووجهت بها اليه وكتبت اليه

هذا محبُّكَ مَطويٌّ على كَمدِهْ * عَبرَى مدامعهُ تجرى على جسدهْ
لهُ يدٌ تسألُ الرحمنُ راحتها * مما به ويدٌ أخرى على كبده

فقبلها وحسن موقعها عنده فولاني خراج ديار ربيعة فأصبت فيها الف الف درهم : قال السجستاني : أرق الرشيد ذات ليلة فوجه الى عبدالملك الاصمعي والى الحسين الخليع فاحضرهما وشكا اليهما مدافعة نومه وشدة أرقه وقال لهما : عللاني باحاديثكما وابدأ أنت ياحسين، قال : نعم يا أمير المؤمنين خرجت في بعض السنين منحدرا الى البصرة وممتدحا آل سليمان فقصدت محمد بن سليمان بقصيدتي فقبلها وأمرني بالمقام فخرجت ذات يوم الى المربد وجعلت المهالبة طريقي فاصابني حر وعطش فدنوت من باب دار كبير لا ستسقي فاذا أنا بجارية أحسن ما يكون كانها قضيب يتثنى وسناء العينين زجاء الحاجبين مهفهفة الخصر حاسرة الرأس مفتوحة الجربان عليها قميص لاذ جلناري ورداء عدني قد علت شدة بياض بدنها حمرة قميصها تتلألأ من تحت القميص بثديين كرمانتين و بطن كطي القباطي وعكن مثل القراطيس لها جمة جعدة بالمسك محشوة وهي يا أمير المؤمنين متقلدة خرزاً من ذهب والجوهر بزهر بين ترائبها وعلى صحن جبينها طرة كالسبج وحاجبان مقرونان وعينان كحلاوان وخدان أسيلان وانف أقنى تحته ثغر كاللؤلؤ واسنان كالدر وقد غلب جربانها سواد المسك والغالية ودابر العود النهدي على لبتها عبق الخلوق وهي والهة حيرى واقفة في الدهليز وجائية تخطر في مشيتها قد خالط صرير نعلها أصوات خلخالها كانها تخطر على أكباد محبيها فهي كما قال الافوه الاودي

ليس منها ما يقال لها * كملت لو أن ذا كملا

كلُّ جزءٍ منْ محاسِنِها * كائنٌ منْ حسنِها مثلا
لوْ تمنّتْ في براعتِها * لم تجدْ في حسنِها بدلا

فهبتها والله يا أمير المؤمنين ثم دنوت منها لاسلم عليها فاذا الدار والدهليز والشارع قد عبقت بالمسك فسلمت عليها فردت السلام بلسان منكسر وقلب حزين محرق فقلت لها: ياسيدتي أني شيخ غريب أصابني عطش فامري لي بشربة من ماء تؤجري ، قالت : اليك عني ياشيخ فاني مشغولة عن سقي الماء وادخار الاجر ، فقلت لها ، ياسيدتي لاية علة ، قالت: لاني عاشقة من لا ينصفني وأريد من لا يريدني ومع ذلك فاني ممتحنة برقباء فوق رقباء ، قلت لها: ياسيدتي هل على بسيط الارض من تريدينه ولا يريدك ، قالت ، انه لعمري على ذلك الفضل الذي ركب الله فيه من الجمال والدلال ، قلت لها ، ياسيدتي فما وقوفك في الدهليز ، قالت: هو طريقه وهذا أوان اجتيازه ، قلت لها ، ياسيدتي هل اجتمعتما في خلوة في وقت من الاوقات أم حب مستحدث ، فتنفست الصعداء وأرخت دموعها على خديها كطلّ على ورد ، وأنشأت تقول ،

وكنا كغُصني بانةٍ وَسْط رَوْضَةٍ * نَشُمُّ جَنا اللذّات في عيشةٍ رَغْد
فأفردَ هـذا الغُصنَ من ذاك قاطعٌ * فيا منْ رأى فرْداً يحِن إلى فردِ

قلت لها: ياهذه ما بلغ من عشقك هذا الفتى ، قالت ، أرى الشمس على حائطهم أحسن منها على حائط غيرهم وربما أراه بغتة فابهت وتهرب الروح عن جسدي وأبقى الاسبوع والاسبوعين بغير عقل ، قلت لها: عزيز عليّ وأنت على ما بك من الضنى وشغل القلب بالهوى وانحلال الجسم وضعف القوى ما أرى بك من صفاء اللون ورقة البشرة فكيف لو لم يكن بك من الهوى شيء أراك كنت مفتنة في أرض البصرة ، قالت ، كنت والله ياشيخ قبل محبتي لهذا الغلام تحفة الدلال والجمال والكمال ولقد فتنت جميع ملوك البصرة وفتنني هذا الغلام ، فقلت ياهذه ما الذي فرق بينكما ، قالت ، نوائب الدهر وأوابد الحدثان ولحديثي وحديثه شان من الشان وأنبيك أمري اني كنت اقتصدت في بعض أيام النيروز فامرت فزين لي وله مجالس بانواع الفرش وأواني الذهب ونضد نا الرياحين والشقائق والمنثور وأنواع البهار وكنت دعوت لحبيبي عدة من متظرفات البصرة فيهن من الجواري جارية شهران وكان شراؤها عليه من مدينة عمان ثمانمائة ألف درهم وكانت الجارية ولعت بي وكانت أول من أجابت الدعوة وجاءتني منهن فلما حصلت عندي رمت بنفسها عليّ تقطعني عضاً وقرصاً ثم خلونا نتمز زالقهوة الى أن يدرك طعامنا ويجتمع من دعونا فتارة هي فوقي وتارة أنا فوقها فحملها السكر على ان ضربت يدها على

تحكى خلتها ونزعت هى سراويلها وصارت بين فخذى كمصير الرجال من النساء فبينا نحن كذلك اذ دخل على حبيبى وقد التزق قرطى بخلخالى فلما نظر الينا اشمأز لذلك وصدف عنى وعنها صدوف المهرة العربية اذا سمعت صلاصل اللجم وعض على أنامله وولى خارجا فانا ياشيخ منذ ثلاث سنين أسل سخيمته واستعطفه فلا ينظر إلى بعين ولا يكتب إلى بحرف ولا يكلم لى رسولا : قلت لها . ياهذه أمن العرب هو أم من العجم . قالت . هو من جملة ملوك البصرة . قلت . من أولاد دنياها أو من أولاد تجارها . قالت . من عظيم ملوكها . قلت لها . اشيخ هو أم شاب . فنظرت إلى شزراً وقالت . انك لاحمق أقول هو مثل القمر ليلة البدر أمرد أجرد وطرة رقعاء كحنك الغراب تعلوه شقرة فى بياض عطر لباس ضارب بالسيف طاعن بالرمح لاعب بالنرد والشطرنج ضارب بالعود والطنبور يغنى وينقر على أعدل وزن لا يعيبه شىء إلا انحرافه عنى لا نقصاً لى منه بل حقداً لما رآنى عليه . قلت . ياهذه وكيف صبرك عنه . فانشأت تقول

أمّا النهارَ فمستهامٌ والهٌ * وجُفونُ عينى ساجفاتٌ تدْمعُ
والليلُ قد أرْعى النجومَ مفكّراً * حتى الصّباحِ ومُقلتى لا تهجَعُ
كيف اصطبارِى عنْ غزالٍ شادنٍ * فى لحظِ عينيهِ سهامٌ تصرَعُ
وجهٌ يضىءُ وحاجبانِ تقوّسا * وكأنّ جبهتَهُ سراجٌ يلمَعُ
وبياضُ وجهٍ قد أشيبَ بحمرةٍ * فى وجنتيهِ كأنه مستجمعُ
والقدُّ منهُ كالقضيبِ إذا زهى * والغُصْنُ فى قنوائهِ يترَعْرَعُ
تمّتْ خلائقُهُ وأُكْمِلَ حسنُهُ * كمثالِ بدْرٍ بعدَ عشر أرْبعُ

قلت لها ياسيدتى ما اسمه وأين يكون ، قالت تصنع به ماذا قلت اجهد فى لقائه وأتعرف الفضل بينكما فى الحال قالت على شريطة قلت ، وماهى قالت تلقاناً اذا لقيته وتحمل لنا اليه رقعة قلت لا أكره ذلك قالت ، هو ضمرة بن المغيرة بن المهلب بن أبى صفرة يكنى بابى شجاع وقصره فى المربد الاعلى وهو أشهر من ان يخفى ثم صاحت فى الدار ياجوارى دواة وقرطاساً وشمرت عن ساعدين كأنهما طومار افضة ثم حملت القلم وكتبت بسم الله الرحمن الرحيم سيدى تركى الدعاء فى صدر رقعتى ينبئ عن تقصيرى ودعائى ان دعوت يكون هجنة فلولا ان بلوغ المجهود يخرج عن حد التقصير لما كان لما تكلفته خادمتك من كتب هذه الرقعة معنى مع ايا سها منك وعلمها بتركك الجواب سيدى فجد بنظرة وقت اجتيازك فى الشارع الى الدهليز تحيى بها أنفسا ميتة

أسرى وأخطط بخط يدك بسطها الله بكل فضيلة رقعة فاجعلها عوضا من تلك الخلوات التي كانت بيننا في الليالي الخاليات التي انا ذاكرتها سيدي الست لك محبة و بك مدنفة فان رجعت مولاي الى الاشبه بك وانقذتني من عوارض التلف كنت لك خادمة ولك شاكرة فلما فرغت من الكتاب يا أمير المؤمنين ناولته اياي فقلت لها ياسيدتي قد وجب حقك علي ولزمتك حرمتي لطول وقوفي عليك وكنت قد سالت شربة ماء قالت استغفر الله ما فهمنا عنك ثم صاحت في الدار أخرجن الينا شرابا من ماء وغير ماء فما كان الا ان أقبل ثلاثون وصيفة بايديهن الطاسات والجامات والاقداح مملوءة ماء وثلجا وفقاعا وشرابا فشربت الماء ثم قلت ياسيدتي مع قدرتك على هذا من استواء الحال وكثرة الخدم والعبيد والجواري فلم لا تأمرين احدى الجواري أن تقف مراعية للغلام حتى اذا مر أعلمتك فتخرجين اليه قالت لا تغلط ياشيخ فتمثلت

عَبالةَ عُنقِ الليثِ منْ أجلِ أنهُ * إذا رامَ أمرا قامَ فيه بنفسهِ

ثم انصرفت عنها يا أمير المؤمنين فلما اصبحت غدوت على محمد بن سليمان فوجدت مجلسه محتفلا بالملوك وأبناء الملوك و رأيت غلاما قد زان المجلس وفاق من فيه حسنا وجمالا قد رفعه الامير فوقه فسألت عنه فقيل ضمرة بن المغيرة فقلت في نفسي بالحقيقة حل بالمسكينة ما حل هو والله قاتلها فيما أرى ثم قمت فقصدت المربد ووقفت على باب داره فاذا هو قد ورد في موكب جليل فوثبت اليه وبالغت في الدعاء والثناء ثم دنوت منه وفاوضته في الذي جرى بيني و بينها وناولته الرقعة فلما قرأها ضحك ثم قال ياشيخ قد استبدلنا بها فهل لك في ان تنظر الى البديل قلت نعم فصاح في الدار ياجواري اخرجن الينا الذلفاء فما كان ألا ان طلعت جارية وضيئة الكمين ناهدة الثديين تمشي مشية مستوحل ترتج من دقة خصرها على كبر عجزها ذات نخدين وعجزتين تختطفان الانفس اختطافا على رأسها بطيخة من الكافور مكتوب على جبينها

آهْ من الحُبّ آهْ * ماأقتلَ الحبّ وأضناهْ

ودون ذلك مكتوب

عَيّارةٌ مَيّاسةٌ في الخُطى * رَخيمةُ الدّلّ صَيُودٌ للرّجالِ

وقد كتبت بالغالية على عصابتها ثلاثة اسطر وهي

إذا غضِبَتْ رأيتَ الناسَ قتْلى * وإنْ رَضِيَتْ فأرْواحٌ تعُودُ

لها في عينِها لحظاتُ سِحْرٍ * تُميتُ بها وتُحيي منْ تُريدُ

وتَسْبي العالَمينَ بمُقْلتيْها * فكلُّ العالمينَ لها عبيدُ

فناولها الرقعة وقال اقرئي واجبي صاحبتك فلما قرأت الرقعة اصفرت وعرقت ومزقتها

وضربت بها في وجه الغلام وغابت في الستر فقال لي أما أنت يا شيخ فاستغفر الله مما مشيت فيه قلت بل أنت استغفر الله من هجرانك اياها وتركك اتيانها والله ما أرى لها في البشر نظيرا قال لا أفعل ولو أنها في حسن يوسف وكمال حواء فخرجت يا أمير المؤمنين وأنا أجر ذيلي حتى وردت عليها فاستاذنت ودخلت فبدأت بي فقالت ما وراءك الشيخ قلت البؤس واليأس قالت لا عليك فاين الله والقدر ثم أمرت لي بخمسمائة دينار وعشرة أثواب وخرجت من عندها وأنا ممتدح لآل سليمان فلم يكن لي والله الا معرفة خبرها في العام الذي عدت فيه الى البصرة فوردت عليها فوجدت على بابها أمراونهيا وأسبابا لا تكون الا على باب الخلفاء فاستأذنت فدخلت فاذا فوق رأسها ثلاثون رجلا من شيوخ وشبان وخدم وقوف بسيوفهم فلما نظرت الى عرفتني ووثبت الى وقبلت رأسي وقالت يا شيخ الحمد لله الذي جعل العبيد بالصبر ملوكا وجعل الملوك بالتيه عبيدا ان الذين تراهم وقوفا أصحاب ضمرة يسلون سخيمتي ويسالونني الرجوع له والله لا نظرت اليه في وجهه ولو أنه في حسن يوسف وكمال حواء فسجدت يا أمير المؤمنين شماتة بضمرة وتمرياً الى الجارية فقال بعض حجاب ضمرة مهلا يا شيخ فمن طاب محضره طاب مولده ثم انصرفوا فناولتني خريطة فيها أوراق فقالت هذا أول ما ورد علينا منه فاذا فيها ثوب خز أبيض يقق مكتوب فيه بماء الذهب بسم الله الرحمن الرحيم لولا تغاضي عليك أدام الله حياتك لوصفت شطرا من غدرك ولبسطت سوط عتبي عليك وحكمت سيف ظلامتي فيك اذ كنت الجانية على نفسك والمظهرة لسوء العهد وقلة الوفاء المؤثرة علينا غيرنا فخالفت هواي وفرشت نفسك لها على حالتي جد وهزل وصحو وسكر والمستعان الله على ما كان من سوء اختيار لك وقد ضمنت رقعتي هذه أبيات شعر أنت المتفضلة بالنظر اليها وهي

> قَطعَ قلبي فراقُكمْ قِطَعاً * وكِدْتُ أقضِي لبينِكم جزَعا
> ما تَكْحَلُ العينُ بالرُّقادِ ولا * ينامُ جَنْبي في الليلِ مُضطجعا
> لا عيشَ لي مذ نأتْ ولا وَجَدَتْ * عَيناي في الارضِ قط مُتَسعا

قلت لها أفلا تحدثيني كيف سليت عنه وابتلي قالت كيف لا أحدثك افتصدت تفاحة جارية محمد بن سليمان فدعينا الى خورنق لمحمد بن سليمان فلما طعمنا دعت لنا بالشراب فبينا نحن كذلك اذا بحراقة سلطانية قد وردت وفيها عدة من ابناء الملوك وفيهم هذا العيار ولا علم لي بمكانه وكنت حملت العود وغنيت.

> أبلى فؤادي وشفّني الارَقُ * والدّمعُ من مُقلتيَّ يستبقُ
> من حُبِّ ظبي أغنَّ ذي دعج * وقلبُهُ للشفاء مُنطبقُ

فلما وجبت العتمة انصرفنا وأبطأت الجارية وأتاني هؤلاء القوم من عنده يسلون سخيمتي ويستعطفوني عليه ثم انصرفت عنها يا أمير المؤمنين ودخلت الحمام من ساعتي فما كان الآن دخلت حتى أتاني غلامي فقال جماعة من جلة الناس قد طرقوا دارك يطلبونك فلبست ثيابي وخرجت مسرعا فاذا بضمرة قد كبس داري في عدة من الرؤساء فقال والله لا برحنا حتى تنفق علينا الخمسمائة دينار التي أخذتها من الجارية سيدتي قلت أي والله بالسمع والطاعة ثم جذبني الى نفسه فلم يزل يناظرني في أمرها حتى أقبل المساء ثم انصرف الى رحله فلما كان من الغد وردت له رقعة مع خادم وكيس فيه ألف دينار واستزارني فقبلت ذلك وصرت معه اليه فلما نظر الى تنحى عن مقعده وأقعدني ثم قال هذا قد أعددته للنيروز لسيدتي هدية وأنت أولى من تجشم مع الخادم اليها قلت السمع والطاعة ثم صاح في الدار هاتوا الهدية فاذا مائة تخت من ثياب وصندوق من ذهب مقفل عليه فقال لي في التخت والصندوق مبلغ ثلاثين ألف دينار وأنت أولى من تفضل بالايصال فصرنا اليها واستأذنا فلما مثلنا بين يديها أنكرتني وقالت من الشيخ قلت الخليع شاعر العراق ومعي هدية عبدك ضمرة فصاحت في الدار يا ملك فاذا جارية كأنها الظبية المنفلتة من الشبكة قالت لها خذي هذه الهدايا وفرقيها على جواري الدار ثم قالت أيطمع الخنوص من ان يجتمع معي بعد قبولي الهدية في ثلاثين سنة قلت لها العفو عند المقدرة يعدل عتق رقبة قالت ففي خمس عشرة سنة قلت لها انقصيها أولى بك قالت ففي ثلاثة سنين قلت لها حطة أخرى وقد اجتمعنا قالت لا والله لا آكل ولا أشرب حتى آتيه وأمرت ان يسرح لها وبادرت الى باب ضمرة مبشرا فما وصلت أو سمعت صلاصل اللجم فاذا هي قد سبقتني في جواريها وخدمها فدخلت فاذا هما يتعانقان ويتعاتبان فقلت يا سيدتي ما أنتما الى شيء أحوج منكما الى خلوة قالا هو ذاك فانصرفت عنهما ثم بكرت عليهما فاذا هي في المرقد الاول جالسة عليها جبة وشيء مطير وهي تعصر الماء عن ذوائبها وتصلح قرونها فاستحييتني وقالت لا تفكرن في ريبة فوالله ما صلينا البارحة حتى بعثت الى عبد الرحمن بن أبي ليلى القاضي فزوجت نفسي سيدي ولكن صر اليه فانه في المرقد الثاني فصعدت اليه فلما نظر الى وثب الى وقبل بين عيني وقال يا شيخ قد جمع الله بيني وبين سيدتي بك ثم دعا بدواة وقرطاس وكتب الى ابن نوح الصيرفي في ثلاثة آلاف دينار فرجعت اليها فقالت ما ذا برك سيدي فاقرأتها الرقعة فقالت نعجل اليك مثلها فدعت بمال وطيار ووزنت ثلاثة آلاف دينار ودعت بعشرة أثواب من ثياب مصر وقالت هذه وظيفتك علينا كل عام فخرجت من عندها وأخذت مرفوعي من آل سليمان وانصرفت الى العراق وكان الرشيد متكئا فاستوى جالسا وقال أوه يا حسين لولا ان ضمرة سبقني اليها لكان لي ولها شأن من الشأن

﴿ ومنه مع الشعراء ﴾ قال استأذنت بنت لعبد الملك بن مروان في الحج فأذنت لها وكتب

الى الحجاج يأمره بالتقدم الى عمر بن أبى ربيعة ان لا يذكرها فى شعره فلما بلغ عمر مقدمها لم يكن له همة الا ان يتهيأ باجمل ما يقدر عليه من الحلل والثياب وضربت لها قبة فى المسجد الحرام فكانت تكون فيها نهارا فاذا أمست تحولت الى منزلها لتنظر اليه وتجلس بازاء القبة وقد خبر عمر بشانها فاذا أرادت الطواف أمرت جواريها فيسترنها بالمطارف فكانت تتطلع الى عمر كثيرا وكانت تسال من دخل عليها عنه رجاء أن يكون قد قال شيئا فلم يفعل حتى قضت الحج ورحلت ونزلت من مكة على أميال فاقبل راكب من مكة فسالته من أين أقبلت ، قال من مكة ، قالت عليك وعلى فرقة أنت منها لعنة الله قال ولم يا ابنة عبد الملك قالت قدمنا مكة فاقمنا أشهرا فما استطاع الفاسق عمر بن أبى ربيعة أن يزودنا من شعره أبياتا كنا نلهو بها فى سفرنا هذا قال فلعله قد فعل قالت فاذهب اليه واساله ولك فى كل بيت تاتينى به منه عشرة دنانير فاقبل الرجل وأتى عمر ابن أبى ربيعة فاخبره الخبر فقال له قد فعلت ولكن أحب أن تكتم على قال افعل ثم أنشده

راعَ الفؤادَ تفرُّقُ الاحبابِ * يومَ الرحيلِ فهاجَ لى أطرابى
فظللتُ مكتئباً أكفكفُ عبرةً * سحًّا تفيضُ كوابلِ الاسرابِ
لمّا تنادَوا للرّحيلِ وقرّبوا * بُزْلَ الجمالِ لطيّةٍ وذهابِ
كاد الاسى يقضى عليكَ صبابةً * والوجه منك لبينِ إلفكَ كابى
قالت سُعيدةُ والدموعُ ذوارفٌ * منها على الخدَّينِ والجلبابِ
ليتَ المُغيرىَّ الذى لم نَجزِهِ * فيما أطالَ تصدِّى وطِلابى
كانت تردُّ لنا المنى أيّامنا * إذ لا نُلامُ على هوىً وتصابى
أيّامَ نكتمُ ودّنا ونودُّهُ * سرًّا مخافةَ منطقِ المغتابِ
أُخبرْتُ ماقالتْ فبتُّ كانّما * يُرْمى الحشا بنوافذِ النشّابِ
فبعثتُ جاريتى وقلتُ لها اذهبى * قولى لها فى خفيةٍ وقرابِ
أسُعيدَ ما ماءُ الفراتِ وطيبُهُ * منى على ظمإٍ وطيبِ شرابِ
بألذَّ منكِ وإنْ نأيتِ وقلَّما * ترعى النساءُ أمانةَ الغُيّابِ
إنْ تبذُلى لى نائلاً أشفى به * سقمَ الفؤادِ فقد أطلتِ عذابى
وعصيتُ فيكِ أقاربى فتقطعتْ * بينى وبينهمُ عُرى الاسبابِ
فبقيتُ كالمُهريقِ فضلةَ مائهِ * فى حرِّ هاجرةٍ للمعِ سرابِ

ثم أتى اليها بالابيات فأعجبت بها وأمرت جواريها بحفظها ثم وفت له بما وعدت وسلمت اليه فى كل بيت عشرة دنانير وقال اخبرنا محمد بن خلف قال أخبرنى أبو بكر العامرى قال حدثنى

موسى بن عمر بن أفلح مولى فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قال حدثني بلال مولى ابن أبي عتيق قال قام الحارث بن عبد الله بن عباس بن أبي ربيعة من الحج فأتاه ابن أبي عتيق: فقال: كيف تركت أبا الخطاب قال هجرتُ الثريا عمر، فقال

مَنْ رَسولي إلى الثريا فإني * ضقتُ ذرعاً بهجرها والكتابِ
سلبتني مُجاجةُ المسكِ عقلي * فسلوها بما يحلُّ اغتصابي
أبرزوها مثلَ المهاةِ تهادى * بين خمسٍ كواعبٍ أترابِ
وهي مكنونةٌ تحيَّرَ منها * في أديمِ الخدَّين ماءُ الشبابِ
وتكنّفنها كواعبُ بيضٌ * واضحاتُ الخدودِ والاقرابِ
في سخابٍ من القرنفلِ والدُّ * رّ نفيسٍ واهاً له من سخابِ
قلتُ لمّا ضربنَ بالسَّجفِ دوني * ليس هذا لودّنا بثوابِ
فتبدَّتْ حتى إذا جُنّ قلبي * حالَ دوني ولائد بالثيابِ
حين شبَّ القتولَ والعُنقَ منها * حُسْنُ لونٍ يلف كالزِّرْيابِ
ذكّرتني ببهجةِ الشمسِ لمّا * طلعتْ في دُجنّةٍ وسحابِ
دُميةٌ عند راهبٍ وقسيسٍ * صوّروها في مذبحِ المحرابِ
فارجحنتْ في حسنِ خَلْقٍ عميمٍ * تتهادى في مشيها كالحُبابِ
ثم قالوا تُحبُّها قلتُ بهراً * عددَ الرملِ والحصا والترابِ

وقال لغلامه انطلق بكتابي هذا الى ابن أبي عتيق بالمدينة فادفعه اليه فأقبل الغلام بالكتاب حتى دفعه اليه فلما قرأه قال والله أنا رسوله اليها فسار حتى قدم مكة لا يعلم به أهله فأتى منزله فوجده غائبا فانطلق غلام عمر الى عمر: فقال: أن رجلا قدم وهو يطلبك من شأنه وهيئته كذا: قال: ويحك ذلك ابن أبي عتيق اذهب اليه فقل له ان مولاي يأتيك الآن وكان عمر على فرسخين بل على رأس ثلاثة أميال من مكة فأتاه الغلام فأخبره فقال اسرج لي أنت برذون عمر فان دابتي قد تعبت وكلت فأسرجه له فركب وأتى الحي فصهل البرذون وسمعت الثريا صهيلة: فقالت لجواريها هذا هو برذون الخبيث عمر ثم دعت ببغلة لها فوضعت عليها رحلها فخرجت فاذا هي بابن أبي عتيق فقالت مرحباً بعمي ما جاء بك يا عم، قال، أنت والفاسق جئتما بي: قالت: أما والله لو بغيرك تحمل علينا ما أجبناه ولكن ليس لك مدفع أمر بنا نحوه فأقبل حتى انتهى الى عمر فخرج عمر اليه وقبل يده ثم قال انزل جعلني الله فداك: فقال ماء مكة على حرام حتى أخرج منها ثم دعا ببغلته فركبها وانصرف الى المدينة وخلا عمر بالثريا . وحدث الزبير ابن بكار عن

ى محرم عن ابراهيم بن قدامة قال قال عمر بن أبي ربيعة ألا أحدثك حديثاً حلواً ، قال قلت
م قال بينا أنا جالس اذ جاءنى خالد الخريت ، فقال يا أبا الخطاب هل لك فى هند وصواحبها فقد
خرجن الى نزهة ، قلت وكيف لى بذلك قال تلبس لبسة أعرابى وتعتم عمامته وتركب مركبه
كانك ناشد ضالة ، قال ففعلت وجئت حتى وقفت عليهن أنشد ضالتى فقلن إنزل فنزلت وقعدت
حادثهن وأغازلهن فلما رمت النهوض قالت لى هند اجلس لا جلست أنت ألا ترى أنك وقفت
لينا غريباً ونحن والله وقفنا على غربتك نحن بعثنا خالداً وخدعناه وأطمعناه فى أنفسنا حتى جاء
ك فقال خالد صدقن والله خدعتنى وخدعتك فجلست وتحدثنا فأنشدتهن ، فقالت هند ياسيدى
لد رأيتنى منذ أيام وقد اصبحت عند أهلى فأدخلت رأسى فى جيبى ونظرت الى هنى فاذا هو
ل ء الكف ومنية المتمنى فناديت ياعمراه ياعمراه ياعمراه ، قال عمر : فقلت يالبيك يالبيك يالبيك
لاثاً ومددت فى الثالثة صوتى فضحكت وحادثتهن ساعة ثم ودعتهن وانصرفت فذلك قولى

عَرَفْتُ مَصيفَ الحيِّ والمتربَّعا * ببطنِ حُلَيَّاتٍ دَوارِسَ بَلْقَعا
إلى السَّفْحِ مِنْ وادى المغمَّسِ بُدِّلَتْ * مَعالِمُهُ وَبْلاً ونكْباءَ زعْزعا
لهِندٍ وأترابٍ لهندٍ إذِ الهوى * جميعٌ وإذْ لم نخشَ أنْ يتصدَّعا
وإذْ نحنُ مثلُ الماءِ كانَ مزاجُهُ * إذا صفَّقَ السَّاقى الرَّحيقَ المشَعْشَعا
وإذْ لا نُطيعُ الكاشحينَ ولا نرى * لِواشٍ لدينا يطلبُ الصَّرْمَ مَطمعا

وقال عمر مارأيت يوما غابت عواذله وحضرت عواذره بأحسن من يومنا ولا صبوة
كصبوتنا ولا قيادة كقيادة خالد ولا أملح ولقد وصفت ذلك فى شعر ، فقلت فى تمام ماتقدم

أتانى رسولٌ من ثلاثِ حرائرٍ * ورابعةٍ يزكو لها الحسنُ أجمعا
فقلتُ لِمُطْرِيهنَّ فى الحسنِ إنما * ضَرَرْتَ فهلْ تستطيعُ نفعاً فتنفعا
لئنْ كانَ ماحدَّثتَ حقّاً لَما أرى * كمثلِ الاولى أطريْتَ فى الناسِ أربعا
وهيَّجْتَ قلباً كانَ قدْ ودَّعَ الصِّبا * وأشياعَهُ فاشْفعْ عسى أنْ تُشفَّعا
فقالَ تعالَ انْظرْ فقلتُ فكيفَ لى * أخافُ مَقاماً أنْ يشيعَ ويَشْنَعا
فقالَ اكْتفِلْ ثمّ التثمْ وأتِ باغياً * فسلِّمْ ولا تُكْثِرْ بأنْ تتورَّعا
فإنى سأُخفى العينَ عنكَ ولا ترى * مخافةَ أنْ يفشو الحديثُ فيُسمعا
فأقبلتُ أهوى مثلَ ماقالَ صاحبى * لموْعدِهِ أزجى قَعوداً مُوقَّعا
فلمَّا تواقفْنا وسلَّمتُ أشرقتْ * وُجوهٌ زهاها الحُسْنُ أنْ تتقنَّعا

تَبالَهْنَ بالعِرفانِ لمّا عرَفْنني * فقُلْنَ آمرؤٌ باغٍ أضلَّ وأوْضعا
فلما تنازَعْنَ الاحاديثَ قُلْنَ لى * أخفتَ علينا أنْ نُغرَّ ونُخدَعا
فما جئتنا إلا على وَفْقِ مَوْعدٍ * على مَلاءٍ منا خرَجْنا لهُ معاً
رأينا خلاءً منْ عيونٍ ومجلساً * دَميثَ الثَّرى سَهْلَ المَحلّةِ مُمْرِعا
وقلْنَ كريمٌ نالَ وَصلَ كرائمٍ * وحقٌّ لهُ في اليوْمِ أنْ يتمتّعا
وفيهنَّ هندٌ تُكمِلُ الهمَّ والمنىً * وإخداعَ عينى كلما رُمْتُ مَهْجعا

قال ولما أنشد عمر بن ابى ربيعة بن أبى عتيق قصيدته التى يقول فيها :

فأتتها طَبَّةٌ عالمةٌ * تخلطُ الجِدَّ مِراراً باللعبْ
ترْفعُ الصوْتَ إذ لانتْ لها * وتُراخى عندسوْراتِ الغضبْ

قال ابن أبى عتيق امرأتى طالق ان لم يكن الناس فى طلب مثل هذه منذ قتل عثمان يجعلونها خليفة فلم يقدروا عليها وأنت تريدها قوادة ، قال ولما هجا كثير بنى ضمرة فقال

ويُحشَرُ نورُ المسلمينَ أمامَهُمْ * ويُحشَرُ فى أستاهِ ضَمرةَ نورُها

اشتدت بنو ضمرة عليه وعلى عزة وأرادوا قتله ووضعوا له العيون فمكث شهراً لا يصل اليها فالتقى جميل وكثير فشكى أحدهما الى صاحبه ما يلقى ، فقال جميل أنا رسولك الى عزة فأخبرنى بما كان بينكما ، قال آخر ما لقيتها بالطلحة مع أتراب لها قال فأتاهم جميل وهو ينشد ذوداً له فقطنت عزة ، فقالت تحت الطلحة التمس ذوداً هناك فانصرف جميل فأخبر كثيراً فلما كان فى بعض الليل أتيا الطلحة وأقبلت عزة وصاحبة لها فتحدثا مليا وجعل كثير يرى عزة تنظر الى جميل وكان جميلا وكثير دميما فغضب كثير وغار عليها وقال لجميل انطلق بنا قبل أن يصبح علينا الصبح فانطلقا فعند ذلك يقول.

رأيتُ ابنةَ الشّبلىّ عزّةَ أصبحتْ * كمُحتَطبٍ ما يلْقَ بالليلِ يَحْطِبِ
وكانتْ تُمنّينا وتزْعَمُ أنّنا * كبيضِ الانُوقِ فى الصّفا المتغيّبِ

ثم قال كثير لجميل متى عهدك ببثينة ، قال فى أول الصيف بوادى الدم ومعها جوار يها يغسلن ثيابا فخرج كثير حتى أناخ بهم وهو يقول .

وقلتُ لها ياعَزَّ أرْسلَ صاحبى * على بُعْدِ دارٍ والرَّسولُ موكّلُ
بأنْ تجعلى بينى وبينَكِ موْعداً * وأنْ تأمرينى بالذى فيهِ أفعلُ
أمَا تذْكُرينَ العهْدَ يوْمَ لقيتكم * بأسفلِ وادى الدوْمِ والثوبُ يُغسلُ

فعلمت بثينة ما أراد فصاحت اخسأ اخسأ فقال عمها ما دهاك يابثينة ، قالت ان كلباً يأتينا

من وراء هذا التل فيأكل مايجد ثم يرجع فرجع كثير : وقال لجميل قد وعدتك التل فدونك فخرج جميل وكثير حتى انتهيا الى الدومات وقد جاءت بثينة فلم تزل معه حتى برق الصبح وكان كثير يقول ما رأيت مجلساً قط أحسن منه : عمر بن شبة عن اسحق بن ابراهيم الموصلي : قال حدثني شيخ من خزاعة قال ذكر ذا الرمة وعندنا عصمة بن مالك الفزارى وهو يومئذ ابن عشرين ومائة سنة فقال اياى فاسألوا عنه كان من أظرف الناس خفيف العارضين آدم حلوا المضحك اذا أنشد اختصر وأتانى يوماً فقال ان مية منقرية وان بنى منقر أخبث حى وأعلمه بأثر فهل عندك من ناقة نزورها عليها قلت أى والله عندى اثنتان قال فسرنا فخرجنا حتى أشرفنا على الحى وهم خلوف فعرف النساء ذا الرمة فعدلن بنا الى بيت مى وأنخنا عندهن فقلن لذى الرمة أنشدنا يا أبا الحارث فقال أنشدهن فأنشدتهن قوله

نظرْتُ إلى أظعان ميٍّ كأنها * ذرى النّخلِ أوْ أثْلٌ تَميدُ ذوائبهْ

فأسْبلتِ العينانُ والصّدْرُ كاتمٌ * بمغْرَوْرِقٍ نمّتْ عليه سواكِبهْ

بكى وامقٌ جاءَ الفراقُ ولم تجُلْ * جوائلَها أسرارُهُ ومعاتبهْ

فقالت ظريفة منهن ابكى اليوم فمررت فيها حتى انتهيت الى قوله

إذا سرَحتْ منْ حُبّ ميٍّ سوارحٌ * على القلبِ آبتْهُ جميعاً عوازِبهْ

فقالت الظريفة قتلته قتلك الله فقالت ما أصحه وهنيئاً له فتنفس ذو الرمة تنفساً كادت حرارته تساقط لحيى ثم مررت فيها حتى انتهيت الى قوله

وقدْ حَلفتْ باللهِ ميّةُ ما الذى * أقولُ لها إلا الذى أنا كاذبهْ

إذا فرَمانى اللهُ منْ حيثُ لا أرى * ولا زالَ فى أرْضٍ عدوٌّ أُحاربهْ

فالتفت مى الى ذى الرمة فقالت ويحك خف عواقب الله ثم أنشدت الى أن انتهيت الى قوله

إذا نازعتْكَ القوْلَ ميّةُ أوْ بدَا * لك الوجهُ منها أو نضا الدرْعَ سالبهْ

فيالكَ منْ خدٍّ أسيلٍ ومنطقٍ * رَخيمٍ ومنْ خَلْقٍ يُعلّلُ جاذِبهْ

فقالت تلك الظريفة أما القول فقد نازعتك والوجه فقد بدا لك فمن لنا بأن ينضو الدرع سالبه فقالت لها مى قاتلك الله ما أنكر ما تجيئين به اليوم فتحادثنا ساعة ثم قالت تلك الظريفة ما أحوج هذين الى الخلوة فنهضت بسائر النساء فصرت الى بيت قريب منهما حيث أراهما فما ارتبت بشئ ولا رأيت أمراً كرهته فلبث ساعة ثم أتانى ومعه قارورة وثلاث قلائد فقال هذا طيب زودتناه مى وقلائد أتحفتك بها ابنة الجودى فكنا نختلف اليها حتى انقضى المربع ودعانا لصيف فرحلوا فأقبلنا وأتانى ذو الرمة فقال قد ظعنت مى فلم يبق الا الديار والنظر الى الآثار

فاخرج بنا الى دارها فخرجت معه حتى اذا وقفنا عليها أنشأ يقول

أَلا فاسْلمي يادارَ مَيٍّ على البلى * ولا زالَ مُنْهلاً بجَرْعائكِ القَطْرُ

حتى أتى على آخرها ثم انهملت عيناه بعبرة : فقلت له ماهذا فقال : انى لجليد وان كان منى ماترى فما رأيت أحداً أحسن شوقا وصبابة وعزاء منه : وعن سليمان راوية أبى نواس : قال كنت مع ابى نواس أسير حتى انتهينا الى درب القراطيس فخرج من الدرب شيخ نصرانىّ وخلفه غلام كانه غصن بان يتثنى كاحسن مارأيت فقال ياسليمان أماترى الدرة خلف البعرة : ثم قال هل لك أن تأخذ منى رقعة فتوصلها اليه قلت بلى فكتبها ودفعها الى فاوصلتها اليه فاذا أملح غلام واخفه روحا فقال من صاحب الرقعة قلت ابونواس : قال اين هو : قلت على باب درب القراطيس قال فليقف مكانه حتى اروح وكان فى الرقعة

تَمُرُّ فأستحييكَ أنْ أتكلّما * ويَثنيكَ زَهْوُ الحسْنِ عن أنْ تُسلّما

ويَهتزُّ فى ثوْبيْكَ كلُّ عشيةٍ * قضيبٌ من الرَّيحانِ أضحى منعّما

فحسبُكَ أنّ الجسْمَ قدشفهُ الهوى * وأنّ جُفونى فيكَ قدْ ذرفتْ دَما

أليسَ عجيبٌ عنـدَ كلّ موحّدٍ * غزالٌ مسيحيٌّ يعذّبُ مسلما

فلوْلا دخولُ النارِ بعـدَ تنصُّرٍ * عَبدْتُ مكانَ اللهِ عيسى بن مريما

وحدثنا الجماز قال كنت يوما على باب عدى الدراع فمر بى أبونواس شبيها بالمجنون فاذا خلفه غلام كانه مهر عربى فقلت له مالك فقال

إنّ الرَّزيّةَ لارزيّة مثلُها * عوَزُ المكانِ وقدْ تهيّا المرْكبُ

فعدلت به و بالغلام فاقاما سائر يومهما قال وكان عبيد الله بن يحيى يتعشق غلاما من دار المتوكل يقال له رشيق فلا يصل اليه حتى طال ذلك عليه وكان أبو الاخطل يخلفه فى المركب و ينبسط اليه فقال له عبيد الله يوما يا أبا الاخطل من لى برشيق فقال الصفر الصغار والبيض الصحاح وجعل عبيد الله يلقى رشيقا فى الدار فيخلو به و يساره و يعطيه مائة دينار فى كل لقية الى ان علم رشيق بما فى نفس عبيد الله وكان يتعذر عليهما الاجتماع لقضاء الوطر واللذة : فركب أمير المؤمنين يوما ومعه أبو الاخطل فطلب عبيد الله وتعمد أبو الاخطل رشيقا فرده اليه فلما ظفر به فى منزله خاليا قضى حاجته منه و ركب يريد أمير المؤمنين مسرعا فوصل الى الموكب وقد تصبب عرقا فقال أبو الاخطل

لاخيرَ عنـدِى فى الخليـلِ ينام عنْ سهَرِ الخليلِ

قولوا لاكفرِ من رأيـتُ لكلّ معرُوفٍ جليلِ

هلْ تشكرَنَّ لى الغدَا * ة تلطفى لك فى الرَّسولِ
إذْ نحنُ فى صيدِ الجبا * لِ وأنتَ فى صيدِ السهول

﴿ ماقيل فيه من الشعر ﴾

وتمشّيتَ فى الجيلِ فأسرَعتَ وإنْ كنتَ لستَ تأتى جميلا
إنّ منْ مدَّ للقيادةِ رِجْلاً * لحرِىٌّ بأن يكون نبيلا

وقال آخر

لهواهُ لإِتلافِ * ومالاهُ لاختلافِ
ليس يقرا من كتابِ آلـلَّـهِ إلا لإِيلافِ

وقال آخر

إنّ الرَّقاشىَّ منْ تكرُّمهِ * بلّغهُ اللهُ منتهى همِمهْ
يبلُغُ منْ برّهِ ورأفتهِ * حُملانُ أضيافهِ على حُرَمهِ

﴿ومن محاسن ذلك﴾ حدثنا علىّ بن الحسين بن علىّ بن عثمان بن على بن الحسن قال كانت ضمير جارية مولدة لميمونة بنت الحسن بن علىّ بن زيد فادبتها وعلمتها الغناء فبرعت فيه وكانت من أحسن الناس وجها وبدنا وأبرعهم غناء وضربا فأعطيت بها مولاتها عشرة آلاف دينار فلما أرادت ان تبيعها وأحضر المال بكت وقالت ياسيدتى ربيتينى واتخذتينى ولدا ثم تريدين بيعى فاتغرب عنك ولا أرى وجهك قالت أشهد الله ومن حضر أنك حرة لوجه الله فلما ماتت ميمونة خطبها آل أبى طالب وغيرهم فغلب عليها جعفر بن حسن بن حسين فتزوجها وأحبها حبا شديدا فقدم بها البصرة فقال علىّ بن الحسين وكان يجالسها ويسمع غناءها فأردت الخروج الى الرضى بخراسان فودعت جعفرا وخرجت فأقمت بالاهواز أياما أتهيأ للخروج على طريق فارس فورد علىّ كتاب جعفر أنه قد وقع بينه وبين ضمير شر وأنها قد أغلظت له حتى تناولها ضربا وانها على مفارقته وسألنى القدوم لاصلح بينهما فقال على بن الحسين وكانت لى حاجة بالرضى وكنت أرجو لذلك فى وجهى منه ومن المأمون الغنى فلما قرأت كتابه لم أعط صبرا حتى انصرفت راجعا الى البصرة فجئت الى جعفر فأوقعت به شتما وعذلا ثم أرسلت اليها أقسمت عليك بحق الا رجعت فخرجت مرهاء شعثة وسخت الثياب حتى جلست فجلست بينهما فأقبل جعفر يعطينى من نفسه لها كل ما أريد وهى ساكتة ثم قلت ياجارية هاتى العود فاخذته فاصلحت منه حتى تغنت وهى تبكى ودموعها تكف

أرتجى خالقى وأعلمُ حقاً * أنه ما يشاءُ ربى كفانى

لا تلمني وارْفُقْ خليلي بشأني * إنه ما عناكَ يوْماً عناني

قال عليّ بن الحسين فوالله ما رأيت أحسن منها ولا أرق من غنائها بهذا الصوت فما برحت حتى اصطلحا وألهتني والله عن الغنى فاقمت بالبصرة وعن الكلبي قال بينا عمر ابن أبي ربيعة يطوف بالبيت في حال نسكه فاذا هو بشاب قد دنا من شابة ظاهرة الجمال فالقى اليها كلاما فقال له عمر ياعدو الله في بلد الله الحرام وعند بيته تصنع هذا فقال ياعماه انها ابنة عمي وأحب الناس اليّ واني عندها لكذلك وما كان بيني وبينها من سوء قط أكثر مما رأيت قال ومن أنت قال أنا فلان ابن فلان قال أفلا تتزوجها قال أبى عليّ أبوها قال ولم قال يقول ليس لك مال فقال انصرف والقني فلقيه بعد ذلك فدعى ببغلته فركبها ثم أتى عم الفتى في منزله فخرج اليه فرحب به وحياه ورحب وقرب فقال ما حاجتك ياأبا الخطاب قال لم أرك منذ أيام فاشتقت اليك قال فانزل فانزله وألطفه فقال له عمر في بعض حديثه اني رأيت ابن أخيك فاعجبني تحركه ومارأيت من جماله وشبابه قال له أجل ما يغيب عنك أفضل مما رأيت قال فهل لك من ولد قال لا الا فلانة قال فما يمنعك ان تزوجه اياها قال انه لا مال له قال فان لم يكن له مال فلك مال قال فاني أضن به عنه قال لكني لا أضن به عنه فزوجه واحتكم قال مائة دينار قال نعم فدفعها عنه وتزوجها الفتى وانصرف عمر الى منزله فقامت اليه جارية من جواريه فاخذت رداءه وألقى نفسه على فراشها وجعل يتقلب فاتته بطعام فلم يتعرض له فقالت أظنك والله قد وجدت بعض ما كان يعرض لك من حكم النساء فلا تكتمها فقال هاتي الدواة فكتب

تقولُ وليدَتي لما رأتني * طربتُ وكنتُ قد أقصرتُ حينا
أراكَ اليوْمَ قد أحدثتَ شوْقاً * وهاجَ لك الهوى داءً دفينا
وكنتَ زعمتَ أنك ذُو عزاءٍ * إذا ما شئتَ فارقتَ القرينا
بعيشِك هلْ أتاكَ لها رسولٌ * يسرُّك أمْ لقيتَ لها خدينا
فقلتُ شكا إليَّ أخٌ مُحِبٌّ * كبعضِ زمانِنا إذْ تعلمينا
وذُو القلبِ المصابِ ولوْ تعزَّى * مشوقٌ حين يلقى العاشقينا
فقصَّ عليَّ ما يلقى بهندٍ * وأشبَهَ ذاكَ ما كنا لقينا
فكم منْ خُلَّةٍ أعرَضتُ عنها * وكنتُ بودِّها دهرًا ضنينا
أردْتُ فراقَها فصبرْتُ عنها * ولوْ جُنَّ الفؤادُ بها جنونا

قال . وقال عمر بن أبي ربيعة بينا أنا خارج محرما اذ أتتني جارية كانها دمية في صفاء اللجين في ثوب قصب كقضيب على كثيب فسلمت عليّ وقالت أنت عمر بن أبي ربيعة فتى

قريش وشاعرها قلت أنا والله ذاك قالت فهل لك أن أريك أحسن الناس وجها قلت ومن لى بذلك قالت أنا والله لك بذلك على شريطة قلت وماهى قالت أعصبك وأربط عينيك وأقودك ليلا قلت لك ذاك قال فاستخرجت معجراً من قصب عجرتنى به وقادتنى حتى أتت بى مضربا فلما توسطته فتحت العجارة عن عينى فاذا أنا بمضرب ديباج أبيض مزرر بحمرة مفروش بوشى كوفىّ وفى المضرب ستارة مضروبة من الديباج الاحمر عليها تماثيل ذهب ومن ورائها وجه لم أحسب أن الشمس وقعت على مثله حسناً وجمالا فقامت كالخجلة وقعدت قبالتى وسلمت علىّ فخيل لى أن الشمس تطلع من جبينها وتغرب فى شقائق خدها قالت أنت عمر بن أبى ربيعة فتى قريش وشاعرها قلت أنا ذلك يامنتهى الجمال قالت أنت القائل

بينما يَنْعتْننى أبصَرْننى * دون قيدِ الميلِ يعدُو بى الاغرْ
قالتِ الكبرَى أمَا تعرِفْنَ ذا * قالتِ الوُسطىٰ بلى هذا عمرْ
قالتِ الصغرَى وقدْ تيَّمْتُها * قدْ عرَفناهُ وهلْ يَخفى القمرْ

قلت أنا والله قائلها ياسيدتى قالت ومن هؤلاء قلت ياسيدتى والله ماهو عن قصد منى ولا فى جارية بعينها ولكنى رجل شاعر أحب الغزل وأقول فى النساء قالت ياعدو الله يافاضح الحرائر أنت قد فشا شعرك بالحجاز وأنشده الخليفة والامراء ولم يكن فى جارية بعينها ياجوارى أخرجنه فخرجت الوصائف فاخرجننى ودفعننى الى الجارية فعجرتنى وقادتنى الى مضربى فبت بليلة كانت أطول من سنة فلما أصبحت بقيت هائما لا أعقل ما أصنع فما زلت أرقب الوقت فلما كان وقت المساء جاءتنى الجارية وسلمت علىّ وقالت ياعمر هل رأيت ذلك الوجه قلت اى والله قالت فتحب ان أريكه ثانية قلت اذا تكرمت فتكونين أعظم الناس علىّ منة فقالت على الشريطة فاستخرجت المعجر وعجرتنى وقادتنى فلما توسطت المضرب فتحت العصابة عن وجهى فاذا أنا بمضرب ديباج أحمر مدبر ببياض مفروش بفرش أرمنى فقعدت على نمرقة من تلك النمارق فاذا أنا بالشمس الضاحية قد أقبلت من وراء الستر تمايل من غير سكر فقعدت كالخجلة فسلمت علىّ وقالت أنت عمر بن أبى ربيعة فتى قريش وشاعرها قلت أنا ذاك قالت أنت القائل

وناهِدَةَ الثدْيَينِ قلتُ لها اتّكِى * على الرَّملِ فى دَيْمُومَةٍ لم تُوَسَّدِ
فقالتْ على اسْمِ اللهِ أمرُكَ طاعةٌ * وإنْ كنتُ قد كُلِّفتُ مالمْ أُعَوَّدِ
فما زِلتُ فى ليلٍ طويلٍ مُلثِّما * لذيذَ رُضابِ المِسْكِ كالمتشهِّدِ
فلما دَنا الإِصْباحُ قالتْ فضَحتَنى * فقُمْ غيرَ مَرْدودٍ إنْ شئتَ فازْددِ

فما ازددت منها واتّشحت بمرطها * وقلت لعيني اسفحا الدمع من غد
فقامت تعفّى بالرداء مكانها * وتطلب شذراً من جمان مبدّد

قلت أنا قائلها قالت فمن الناهدة الثديين قلت ياسيدتى قد سبق فى الليلة الاولى والله ماهو منى قصد ولا فى جارية بعينها ولكنى رجل شاعر احب الغزل واقول فى النساء قالت ياعدو الله انت قد فشا شعرك بالحجاز وروآه الخليفة وتزعم انه لم يكن فى جارية بعينها ياجوارى ادفعنه فوثبت الجوارى فأخرجنني ودفعنني الى الجارية فعجرتنى وقادتنى الى مضربى فبت فى ليلة كانت أطول من الليلة الاولى فلما أصبحت أمرت بخلوق فضرب لى وبقيت أرقب الوقت هاءما فلما كان وقت المساء جاءتنى الجارية فسلمت علىّ وقالت ياعمر هل رأيت ذلك الوجه قلت أى والله قالت أفتحب أن أريكه الثالثة قلت اذاً تكونين أعظم الناس علىّ منة قالت على الشريطة قلت نعم فاستخرجت المعجر وعجرتنى به وقادتنى حتى أتت بى المضرب فلما توسطته فتحت العصابة عن عيني فاذا أنا فى مضرب ديباج أخضر مدثر بحمرة مفروش بخز أحمر واذا أنا بالشمس الضاحية قد أقبلت من وراء الستر كحور الجنان فسلمت علىّ وقالت أنت عمر بن أبى ربيعة فتى قريش وشاعرها قلت أنا ذاك قالت أنت القائل

نعب الغراب ببين ذات الدملج * ليت الغراب ببينها لم يشحج
مازلت أتبعهم وأتبع عيسهم * حتى دُفعت إلى ربيبة هودج
قالت وعيش أخى وحرمة والدى * لأنبهنّ الحىّ إن لم تخرج
فلثمت فاها آخذاً بقرونها * شرب النزيف ببرد ماء الحشرج
فتناولت كفى لتعرف مسّها * بمخضب الاطراف غير مشنج

قلت أنا قائلها: قالت: ياعدو الله أنت الذى فضحتها ونفسك وجهى من وجهك حرام ان عدت الىّ ياجوارى أخرجنه فوثب الىّ الوصائف وأخرجننى ودفعننى الى الجارية فعجرتنى وقادتنى وقد كنت عند خروجى من مضربى ضربت يدى بالخلوق وأسدلت عليها ردائى فلما صرت الى باب مضربها أخرجت يدى ووضعتها على جانب المضرب وضعا بينا فلما أصبحت صحت بغلمانى وعبيدى ولى ألف عبد من أتانى بخبر المضرب الذى ضرب فيه بكذا وكذا فهو حر لوجه الله فلما كان فى وقت المساء أتتنى وليدة سوداء، فقالت: قد عرفت المضرب وهو لرملة أخت عبد الملك بن مروان فأعتقتها، وأمرت لها بمائتى دينار وأمرت بمضربى فقلع وضرب بحذاء مضربها وكتب بالخبر الى عبد الملك بن مروان فكتب اليها بالرحيل فركبت هودجها وركبت فرسى فزاحمتها فى بعض الطريق فأشرفت علىّ من هودجها، فقالت: اليك

عنى أيها الرجل، قلت: خاتم أو قميص اذكرك به، فقالت: لبعض جوار بها ألقى اليه قميصا من قمصى فأخذته وأنا أقول

فلا وأبيك ما صوتُ الغوانى * ولا شربُ التى هى كالفصوصِ
أردْت برِحلتى وأُريدُ حظاً * ولا أكلَ الدَّجاجِ ولا الخبيصِ
قميصٌ ما يُفارقُنى حياتى * أنيسٌ فى المُقامِ وفى الشخوصِ

وجعلت أنزل بها وأركب بركوبها حتى كنا من الشام على ثلاث مراحل فاستقبلها عبد الملك فى خاصته فدخل اليها . ثم قال يا رملة ألم أنهك أن تطوفى بالبيت الا ليلا يحفك الجوارى ويحف الجوارى الخدم والوكلاء لئلا يراك عمر بن أبى ربيعة، قالت والله وحياة أمير المؤمنين ما رآنى ساعة قط فخرج من عندها فبصر بمضربى، فقال: لمن المضرب قيل لعمر بن أبى ربيعة قال . علىّ به فاتيته بلا رداء ولا حذاء فدخلت عليه وسلمت عليه فقال يا عمر ماحملك على الخروج من الحجاز من غير إذنى . قلت شوقا اليك يا امير المؤمنين وصبابة الى رؤيتك فاطرق مليا ينكت فى الارض بيده ثم رفع رأسه فقال يا عمر هل لك فى واحدة، قلت وما هى يا أمير المؤمنين قال رملة أزوجكها قلت يا أمير المؤمنين وان هذا الكائن . قال أى ورب السماء ثم قال قد زوجتك فادخل اليها من غير أن تعلم فدخلت عليها فقالت من أنت هبلتك أمك فقلت يا سيدتى أنا المعذب فى الثلاث فارتحلت وأنا عديلها فانشأت أقول

لَعمْرى لقد نِلتُ الذى كنتُ أُرتجى * وأصبحْتُ لاأخشَى الذى كنْتُ أُحذرُ
فليس كمثلى اليوْمَ كسرى وهرْمزٌ * ولا المَلِكُ النُّعْمانَ مثلى وقيْصرْ

فلم أزل معها باحسن عيش وغبطة

— محاسن الديب —

الاصمعى . قال . أخبرنى رجل من بنى أسد أنه خرج فى طلب ابل قد ضلت فبيناهو يسير بى بلاء وتعب وقد أمسى فى عشية باردة اذ رفعت له أعلام . قال . فقصدت بيتا منها فاذا أنا بامرأة جميلة ذات جزالة فسلمت فردت علىّ السلام ثم قالت . ادخل فدخلت فبسطت لى ومهدت واذا فى حجرها صبى أطيب ما يكون من الولدان فبيناهى تقبله اذ أقبل رجل أمام الابل دميم المنظر ضئيل الجسم كانه بعرة دمامة واحتقاراً فلما بصر به الصبى هش اليه وعدا فى تلقائه فاحتمله وجعل يقبله ويفديه . فقلت . فى نفسى أظنه عبداً لها فجاءنى ووقف بباب الخيمة وسلم فرددت عليه السلام . فقال . من ضيفكم هذا فاخبرته فجلس الى جانبها وجعل يداعبها فطفقت أنظر اليها تارة واليه أخرى أتعجب من اختلافهما كانها الشمس حسنا وكانه القرد

قبيحاً ففطن لنظرى . وقال . ياأخا بنى أسد أترى عجبا . قال . تقول أحسن الناس وجهاً وأقبح الناس وجهاً فليت شعرى كيف جمع بينهما أخبرك كيف كان ذلك . قلت ما أحوجنى الى ذلك . قال . كنت سابع اخوتى كلهم لو رأيتنى معهم ظننتنى عبداً لهم وكان ابى واخوتى كلهم اصحاب ابل وخيل وكنت من بينهم مطرحا لكل عمل دنى للعبودية تارة ولرعى الابل أخرى فبينا أنا ذات يوم تعب مكتئب اذ ضلت لنا بعير فتوجه أخوتى كلهم فى بغائه فلم يقدروا عليه فأتوا أبى وقالوا ابعث فلانا ينشد لنا هذا البعير فدعانى أبى وقال اخرج فانشد هذا البعير: فقلت والله ما أنصفتنى ولا بنوك أما اذا الابل درت ألبانها وطاب ركوبها فأنتم جماعة أهل البيت أربابها واذا ندّت ضلالها فأنا باغيها، فقال قم يالكع فانى أراه آخر يومك فغدوت مقهورا خلق الثياب حتى أتيت بلاداً لا أنيس بها فطفقت يومى ذلك أجول القفر فلما أمسيت رفعت لى أبيات فقصدت أعظم بيت منها فاذا امرأة جميلة مخيلة للسؤدد والجزالة فبدأتنى بالتحية وقالت انزل عن الفرس وأرح نفسك فأتتنى بعشاء فتعيشت وأقبلت هذه تسخر منى وتقول ما رأيت كالعشية أطيب ريحاً منك ولا أنظف ثوبا ولا أجمل وجها، فقلت، ياهذه دعينى وما أنا فيه فانى عنك فى شغل شاغل فابت علىّ: وقالت هل لك أن تلج علىّ السجف اذا نام الناس فاغرانى والله الشيطان فلما شبعت من القرى وجاء أبوها واخوتها فضجعوا أمام الخيمة قمت وركزته برجلى قالت ومن أنت، قلت الضيف، قالت لا حياك الله اخرج عليك لعنة الله فعلمت أنى لست فى شئ من أمرها فوليت راجعاً فواثبنى كلب لهم كانه السبع لا يطاق فأراد أكلى فأنشب أنيابه فى مدرعة صوف كانت علىّ وجعل يمزقنى فردنى القهقرى وتعذر علىّ الخلاص فأهويت أنا والكلب من قبل عقبى فى بئر فاحسن الله الىّ أنه لا ماء فيها فلما سمعت المرأة الواغية أتت بحبل فأدلته وقالت ارتق لعنك الله فوالله لولا أنه يقتص أثرى غداً لوددت أنها قبرك. فاعتنقت الحبل فلما كدت أن أتناول يدها قضى أن تهوّر ما تحت قدمها فاذا أنا وهى والكلب فى قرار البئر بئراً عيا بئراً عما هى حفرة لا طى لها ولا مرقاة كاشد بلية بنا عضا الكلب ينبح من ناحية وهى تدعى بالويل والثبور من ناحية وأنا منقبع قد برد جلدى على القتل من ناحية فلما أصبحت أمها فقدتها فلما لم ترها أتت أباها فقالت ياشيخ أتعلم ان ابنتك ليس لها أثر يحس وكان أبوها عالماً بالآثار تابعاً لها فلما وقف على شفير البئر ولى راجعا فقال لولده يابنى أتعلمون ان أختكم وضيفكم وكلبكم فى البئر فبادروا كالسباع فمن بين آخذ حجراً وآخر سيفا أوعصا وهم يومئذ يريدون أن يجعلوا البئر قبرى وقبرها فلما وقفوا على شفير البئر قال أبوهم ان قتلتم هذا الرجل طولبتم بدمه وإن تركتموه افتضحتم وقد رأيت أن أزوجها اياه فوالله ما يقدح لها فى نسب ولا فى حسب ثم قال لى أفيك خير فلما شممت روح الحياة وثاب الى عقلى، قلت وهل الخير كله الا فىّ فهات احتكم فقال : مائة بكرة

و بكرة وجارية وعبد، فقلت لك ذلك وان شئت فازدد فأخرجت أولا والكلب ثانياً وأخرجت ثالثاً فأتيت أبي ، فقال لا : أفلحت فأين البعير ، قلت أربع عليك أيها الشيخ فانه كان من القصة كيت وكيت ، قال افعل والله ولا آخذ لك فدعا بالا بل فأعد منها مائة بكرة و بكرة وسقناها مع جارية وعبد وأخذت منه هذه غرة نفسها ، قال هي والله كذلك وجعلت تصدف عن حديث زوجها صدوف المهرة العربية سمعت لجامها ور بما قالت لا أطاب الله خبرك

—ضده مساوي الدبيب—

قال وقيل لخراش الاعرابي حدثنا ببعض هناتك ، قال : خرجت في بغاء ذود لي فدفعت في عيشة شاتية الى أخبية كثيرة فضافو وحيوا ورحبوا فلما أردت النوم أقاموا فتاة لهم من موضع مبيتها وجعلوني مكانها لئلا أتأذى بالغنم واني لمضطجع اذا أنا بيد انسان يجامشني ويريد في الظلمة مؤاتاتي فقعدت فاذا أنا برجل بيده ومعه علبة فيها أرنب مشوية فأخذتها وجعلتها في شيء كان معي ثم مد يده ثانياً فتناولته يدي فأقبضني على غرمول كمثل الوتد فلم أنفر منه ولم أره وحشة وجردت ما عندي وتناولت يده فاقبضته على مثل ما أقبضت عليه فقطن ورمى بملحفة خز كانت عليه ووثب مذعوراً فنفرت الابل وهاجت الغنم وكدت أغشى لما بي من الضحك وأخفيت ما بي وكتمته فلما أصبحت ركبت راحلتي ومعي الملحفة والعلبة والارنب فلما امتد الضحى اذا أنا بابل فأخذت نحوها فاذا شاب حسن الهيئة فسلمت فرد السلام ثم قال ان كان معك ما نأكل نصب من هذا الوطب فأخرجت العلبة فلما رآها عرفها وقال انك هو ، قلت وما هو ، قال صاحب البارحة قلت نعم ان كنت إياه قال الحمد لله الذي أتى بك لولم تأت لظننت اني أوسوس وذلك اني لصاحبة الستر عاشق وتعلم ما فعلت وفعلت البارحة ولا تطيقت له حتى ابتلاني الله بك البارحة وجعلت أقول حين أقبضتني عليه أتراها تحولت رجلا واني لفي شك من أمري حتى أتاني الله بك : فأكلت أنا وهو الارنب وشربنا من اللبن وصرنا أصدقاء: الاصمعي قال أتى خالد بن عبد الله اعرابي فأضافه وأحسن اليه وبذل له صحن الدار فلما كان في بعض الليل أشرف عليه يتعاهده منه ما كان يتعاهد من ضيفه فاذا هو قد دب على جارية وهو على بطنها فأعرض عنه فما لبث الاعرابي ان فرغ وقام يمسح فيشلته بالحائط فضربته عقرب فصاح واستغاث وأشرف خالد عليه وهو يقول

وداري إذا نامَ سُكّانها * تُقيمُ الحدُودَ بها العقربُ
إذا غفلَ الناسُ عن دينهمْ * فإنَّ عقاربَنا تغضبُ

قال وكان اعرابي ضيفاً لقوم فنظر الى جارية جميلة فدب اليها فاذا عجوز في صحن الدار تصلي

فعاد الى فراشه ثم عاودها فنبح الكلاب ثم عاد اليها فاذا القمر قد طلع فانشأ يقول

لم يخلق الله خلقاً كنت أكرهه * إلا العجوز وعين الكلب والقمر
هذا يصيح وهذا يستضاء به * وهذه شيخة قوامة السحر

وقال وشرب سعيد بن حميد البصري عند راشد فدب على غلامه فكتب اليه سعيد

ماسمعنا من قبلها بأديب * بارع الظرف ماجد قمقام
ضل عنه وهو المهذب علماً * فتكات الكؤوس بالأحلام
أين ماجاء من حديث رسول الله مولاي سيد الحكام
ماعلى مثقل من النوم والسكران عيب فما أتى من أثام
ثم أين الذي به حكم المأ * مون في الظرف منه والإسلام
أيما ماجد أراد سروراً * باجتماع من معشر الندام
فعليه طي البساط بما قد * سنه السكر من قبيح وذام
حلت بيني وبين عقلي بأرطا * لك والمترعات من كل عام
ثم وكلت في العسوف رشيقاً * فسقاني بطرفه والمدام
ثم باكرتني بعتبك واللو * م لقد حدت عن سبيل الكرام
وتغضبت أنني قد ت عمراً * ثم ثنيت بعده بغرام
هل رأيت الإله يأخذ مجنو * ناً بسكر أو حالماً في منام
لن تراني معاشراً لك ماعشـ * ـت ولو دمت عائشاً ألف عام
أو ترى تائباً وتستغفر اللـ * ـه لما كان من شنيع الكلام

فأجابه راشد فقال :

ياأبا جعفر سليل المعالي * ونجيب الأخوال والاعمام
إن يكن قد أتاك عني مزح * لم يكن عن حقيقة في الكلام
أو أكن فيه كالذي كان يغدو * بملام عليك في اللوام
إنني عالم بأنك لم تأ * ت قبيحاً ولا ارتكاب الإثام
هو ذنب المدام لاذنب خل * لم يزل حافظاً لعهد الندام
ثم ذنب العيون ياابن حميد * فله الذنب بعد إنست غرام
قعدا في طريق أيرك حتى * عرضاه للظن والإتهام

فتعمّدْ أخاكَ بالصّفحِ فالصّفــحُ دليلٌ على سجايا الكرام
إنّني تائبٌ وأستــغفرُ اللــهَ لما كانَ منْ شنيع الكلام

ماقيل فى ذلك من الشعر

فما أعينٌ عشرٌ على ساقِ نرْجس * تُضاحكُ عينُ الشمس بالمُقلِ الصُّفر
بأحسنَ ممّنْ زارنى بعدَ هجعةٍ * يميسُ هُوَيناً فى الظلام على ذعْر

قال ودبّ رجل على قينة فى مجلس فغنت

ماذا يُشــوّشُ طُــرّتى * ياقومُ فى وقتِ السّحرْ
ماذا يُعالِجُ تِكّتى * ويلاهُ عــذّبنى السّهرْ

وقال علىّ بن حمزة

مُتوردُ الخدّينِ من خجلٍ * مُتخاذِلُ الاعضاءِ من كسل
خاض الدُّجا والشوْقُ يحملهُ * وأتاك يمشى غــيرَ منتعلِ
ما راعنى إلا تدافُعــهُ * كالغُصنِ بين الصدرِ والكفَلِ

وقال عمر بن ابى ربيعة المخزومى :

قالتْ وأبثثتُها سِرّى وبُحتُ به * قد كنْتُ عندى تحبُّ السترَ فاستترِ
ألسْتَ تُبصرُ منْ حوْلى فقلْتُ لها * غطى هوَاكِ وما ألقى على بصَرى

—محاسن الباه—

حكى عن عالج جارية مكشوح أنها حدثت مولاتها أنها كانت تغتسل كل يوم فسألتها عن ذلك ، فقالت ياهـذه أنه يجب على المرأة مايجب على الرجل بعد احتلامه ، قالتْ أو تحتلمين قالت انه لا تأتى على ليلة لا أجامع فيها الا واحتلم ، قالت فكيف يكون ذلك قالت أرى كان رجلا جامعنى ولقد رأيت ليلة كانى مررت بدكان أبى مالك الطحان وبغل له واقف قد أدلى ورمانى تحته وأولجه فاحتلمت ثم انتبهت وأنا أجد معكة فى مراقّ بطنى ولذة فى سويداء قلبى وكان هذا البغل اذا أدلى حك الارض برأس ايره وضرب به فى بطنه فترى الغبار يتطاير عن يمينه وشماله، قال وكانت مهدية بنت جبير التغلبيــة تقول ما فى بطن الرجل بضعة أحب الى المرأة من بضعة تناط بعقدا الحالبين ومنفرج الرجلين ، حدثنى جهم ، قال قلت لامرأة من كلب ما أحب الاشياء من الرجال الى النساء قالت ما يكثر الاعداد ويزيد فى الاولاد حربة فى غلاف تناط بحقوى رجل جاف اذا غافس أوهى واذا جامع أنجبى ، قال وقال أبو ثمامة لامرأة من زبيد وهى

تبكي عند قبر من الميت قالت كان يجمع بين حاجبي والساق ويهزني هز الصارم الاعناق و والله لولا ماذ كرته لك ما استهلت بالدموع عيناي وقد كذبتك امرأة تبكي على زوجها الغير ما أعلمتك

قال وركب الرشيد حماراً مصرياً وطاف على جواريه ، فقالت له واحدة يامولاي ما أكثر ماتركب هذا الحمار ، قال لانه يسبب طيفور ، قالت فمن يسبب طيفور يركب قال نعم قالت ففي حرأم طيفور قال فنزل و واقعها وأنشد في مثله

نظرتُ اليها حين مرّتْ كأنها * على ظهر عاديٍّ فتاة من الجنّ
ولى نظرةٌ لو كانْ يُحبِلُ ناظرٌ * بنظرته أنثى لقدْ حَبلتْ مني

—ضده في مساوى العنين—

قال بعضهم تزوج العجاج امرأة يقال لها الدهناء بنت مسحل فلم يقدر عليها فشكت ذلك الى أهلها فسالوه فراقها فأبى وقال لا بها تطلب لا بنتك الباه قال نعم عسى أن ترزق ولداً فان مات كان فرطاً وان عاش كان قرة عين فقدموه الى السلطان فاجله شهراً ثم قال

قدْ ظنّتِ الدّهنا وظنّ مِسْحَلُ * أنّ الامـيرَ بالقضاءِ يُعْجِلُ
عنْ كَسلاتى والحصانُ يكْسَلُ * عنِ السفادِ وهو طرْفٌ هيكلُ

ثم أقبل على امرأته فضمها الى صدره فقالت

تنحّ لنْ تَملِكَني بضمّ * ولا بتقبيلٍ ولا بشمّ
إلا بزعزاعٍ يُسلّى همّى * يسقُطُ منه فتخي فى كمّى
يطيرُ منهُ حزَنى وغمّى

ابن أبي الدنيا ان اعرابياً أخبره ان امرأة منهم زفت الى رجل فعجز عنها فتذاكر الحي أمر الضعفاء من الازواج عن الباه وامرأة الاعرابي تسمع فتكلمت بكلام ليس في الارض اعف منه ولا ادل على عجز الرجل عن النساء فقالت متمثلة

تبيتُ المطايا حائداتٍ عن الهدى * إذا ما المطايا لم تجدْ منْ يُقيمُها

الرقاشي قال حدثني أبو عبيدة قال سمعت ناساً من الحجاز يقولون تزوج رجل منا امرأة فعجز عنها الا انه اذا لامسها ابتأرفيها فقضى ان حملت وما مكثت الا ان رأس ولدها فجلس في المجلس فقال له قائل لقد جئت من بلل قليل قال جئت من بلل لو أصاب مغيض أمك لكان كما قال الشاعر

رَطْبُ الطّباعِ إذا حرّكتَ جوهرَهُ * وجدْتَ أعْضاءَهُ غرْقَى من البللِ
ولمْ أُهجّنْهُ إلا أنهُ رجـلٌ * قلتْ سلامتُهُ منْ جانبِ الكفَلِ

الهلالى قال رأيت وافر بن عصام يسايرالمهدى فحدثه بحديث فضحك فقلت له حدثنى ماحدثت به المهدى قال سألنى ما عندك للنساء فقلت ماهو عندى الاحديث ابن حزم قال وما حديثه قال عمر حتى بلغ الثمانين فتزوج ابنة عم له فلما أهديت اليه قعد بين شعبها فأكسل وأراق على بطنها فأقبل عليها كالمعتذر فقال هذا خير من الزناء قالت كل ذلك لا خير فيه قال وشكت امرأة زوجها وأخبرت عن عجزه أنه اذا سقط عليها انطبق والنساء يكرهن وقوع الرجل على صدورهن فقالت زوجى عياياء طباقاء وكل داء له داء وقيل فى ذلك

جزاكَ اللهُ شرًّا منْ رفيقٍ * إذا بُلّغْتَ منْ ركبِ النساءِ
رماكَ اللهُ منْ عِرقٍ بأفعىً * ولا عافاكَ منْ جَهْدِ البلاءِ
أُجُبْناً فى الكريهةِ حين تلقىٰ * ونعْظاً حين تعبُرُ فى الخلاءِ

— محاسن النيروز والمهرجان —

قال الكسروى كان أول من أبدع النيروز وأسس منازل الملوك وشيد معالم السلطان واستخرج الذهب والفضة والمعدن واتخذ من الحديد آلات وذلل الخيل وسائر الدواب واستخرج الدر وجلب المسك والعنبر وسائر الطيب وبنى القصور واتخذ المصانع وأجرى الانهار كياخسرو بن أبرويزجهان وتفسيره حافظ الدنيا ابن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام وكان الاصل فيه أنه فى النيروز ملك الدنيا وعمر أقاليم ايران شهر وهى أرض بابل فيكون النيروز فى أول ما اجتمع ملكه واستوت أسبابه فصارت سنة وكان فى ملكه ألف سنة وخمسين سنة ثم قتله البيوراسف وملك بعده ألف سنة الى أفريدون بن أثفيان وفيه يقول حبيب

وكأنهُ الضحّاكُ فى فتكاتهِ * بالعالمينَ وأنتَ أفْرِيدُونُ

فطلب البيوراسف وملك بعده ألف سنة وخمسين سنة وأسره بأرض المغرب وكبله وسجنه بجبل دنباوند واستوفى عدة ما كتب الله من عمره واتفق لافريدون سجن البيوراسف يوم النصف من مهرماه ومهرروز فسمى ذلك اليوم المهرجان فالنيروز لجم والمهرجان لافريدون والنيروز أقدم من المهرجان بالفى وخمسين سنة وقسم جم أيام الشهر وجعل الخمسة الايام الاولى للاشراف وبعدها خمسة أيام نيروز الملك يهب فيها ويصل ثم بعدها خمسة أيام لخدم الملك وخمسة أيام لخواص الملك وخمسة لجنده وبعدها خمسة أيام للرعاع فذلك ثلاثون يوماً وابتدع المهرجان أفريدون لما أسر البيوراسف روزمهر وكان الملك اذا لبس زينته ولزم مجلسه فى هذين اليومين أتاه رجل رضى الاسم مختبر باليمن طلق الوجه ذلق اللسان فيقوم قبالة الملك ويقول ائذن لى بالدخول فيسأله من أنت ومن أين جئت وأين تريد ومن سار بك ومع من قدمت

وما الذي معك فيقول جئت من عند الايمنين وأريد الاسعدين وساربى كل منصور واسمى خجسته أقبلت معي السنة الجديدة وأوردت الى الملك بشارة وسلاما ورسالة فيقول الملك ائذنوا له فيقول له الملك ادخل ويضع بين يديه خوانا من فضة قد جمع في نواحيه أرغفة قد خبزت من أنواع الحبوب من البر والشعير والدخن والذرة والحمص والعدس والارز والسمسم والباقلى واللوبيا وجمع من كل صنف من هذه الحبوب سبع حبات فجعل في جوانب الخوان ووضع في وسطه سبعة من قضبان الشجر التي يتفائل بها وباسمها ويتبرك بالنظر اليها كالخلاف والزيتون والسفرجل والرمان منها ما يقطع على عقدة ومنها على عقدتين ومنها على ثلاثة ويجعل كل قضيب باسم كورة من الكور ويكتب في مواضع ابزود وابزائد وابزون وبراور وفراخى وفراهيه تأويله زاد وبزيد وزيادة ورزق وفرح وسعة ويوضع سبع سكرجات بيض ودراهم بيض من ضرب سنته ودينار جديد وضغث من أسبند ويتناول ذلك كله ويدعو له بالخلود ودوام الملك والسعادة والعز ولا يؤامر يومه في شيء اشفاقا من أن يبدو منه ما يكره فجرى على سنته وكان أول ما يقدم اليه صينية ذهب أو فضة عليها سكر أبيض وجوز هندى مقشر رطب وجامات فضة أو ذهب ويبتدىء باللبن الحليب الطرى منه قد أنقع فيه تمر طرى فيتناول بالنارجيل تمرات ويتحف من أحب منه ويذوق ما أحب من الحلوى وكان يرفع في كل يوم من أيام النيروز بازا أبيض وكان ممن يتيمن بابتدائه في هذا اليوم لقمة من اللبن الصرف الطرى والجبن الطرى وكان جميع ملوك فارس يتبركون بذلك وكان يسرق له في كل يوم نيروز ماء في جرة من حديد أو فضة ويقول استرق هذا الاسعدين ويتحمل الايمنين وجعل في عنق الجرة قلادة من يواقيت خضر منظمة في سلك الذهب ممدود فيها خرز من زبرجد أخضر ولم يكن يسرق ذلك الماء الا الابكار من أسافل دارات الارحاء وصنائع الغنى فكان متى اجتمع النيروز في يوم سبت أمر الملك لرأس الجالوت بأربعة آلاف درهم ولم يعرف له سبب أكثر من ان السنة جرت منهم بذلك فصارت كالجزية فكان يبنى قبل النيروز بخمسة وعشرين يوما في صحن دار الملك اثنتا عشرة اصطوانة من لبن تزرع اصطوانة منها برا واصطوانة شعيرا وأخرى أرزا وأخرى عدسا وأخرى باقلى وأخرى قرطما وأخرى دخنا وأخرى ذرة واخرى لوبيا وأخرى حمصا وأخرى سمسما وأخرى ماشا ولم يكن يحصد ذلك الا بغناء وترنم ولهو وكان يوم السادس من يوم النيروز واذا حصد نثر في المجلس ولم يكسر الى روز مهرمن ماه فروردين وانما كانوا يزرعون هذه الحبوب للتفاؤل بها ويقال أجودها نباتا وأشدها استواء دليل على جودة نبات ما زرع منها في تلك السنة فكان الملك يتبرك بالنظر الى نبات الشعير خاصة وكان مؤدب الرماة يناول الملك يوم النيروز قوسا وخمس نشابات ويناول الملك قيمة على دار المملكة أترجه فكان فيما يغنى بين يدى الملك غناء

المخاطبة وأغانى الربيع وأغانى يذكر فيها أبناء الجبابرة وتوصف الانواء وأغانى أفرين والخسروانى والماذراستانى والفهلبذ وكان أكثر ما يغنى العجم الفهلبذ مع أيام كسرى أبرويز وكان من أهل مرو وكان من أغانيه مديح الملك وذكر أيامه ومجالسه وفتوحه وذلك بمنزلة الشعر فى كلام العرب يصوغ له الالحان ولا يمضى يوم الا وله فيه شعر جديد وضرب بديع وكان يذكر الاغانى التى يستعطف بها الملك ويستميحه لمرازبته وقواده ويستشفع لمذنب وان حدثت حادثة أو ورد خبر كرهوا انهاءه اليه قال فيه شعرا وصاغ له لحناً كما كان فعل حين نفق مركوبه شبديز ولم يجسروا على انهاء ذلك فغنى بها وذكر أنه ممدود فى آريه مادّ قوائمه لا يعتلف ولا يتحرك فقال الملك هذا قد نفق اذاً قال أنت قلت ذلك أيها الملك وكان يضطر باشعاره أن يتكلم بالذى يكره عماله أن يستقبلوه به

(العلة فى صب الماء) ذكروا أن العلة فى صب الماء انه كان اول من تكلم فى المهد قبل المسيح زو بن طهماسب وكان مات ابوه على قحط شديد قد شمل الاقاليم فتكلم ودعا الله تبارك وتعالى فسقى الناس الغيث وأخصبت ارضهم وعاشت مواشيهم فجعلوا صب الماء فيه سنة ، وقد حكى أيضاً عن ابى جعفر محمد بن على بن الحسين صلوات الله عليه انه قال فى ذلك ان ناسا من بنى اسرائيل اصابهم الطاعون فخرجوا من مدينتهم هاربين الى ارض العراق فبلغ كسرى خبرهم فامر ان يبنى لهم حظيرة يجعلون فيها لترجع انفسهم اليهم فلما صاروا فى الحظيرة ماتوا وكانوا اربعة آلاف نفس ثم ان الله تبارك وتعالى اوحى الى نبى ذلك الزمان ان رايت محاربة بلاد كذا فحارب بهم ببنى فلان فقال يارب كيف احارب بهم وقد ماتوا فاوحى الله اليه انى احييهم لتحارب بهم وتظفر بعدوك فامطر الله عز وجل ليلة صب الماء فاصبحوا أحياء فهم الذين قال الله تعالى فيهم « الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم » قال هؤلاء قوم اصابهم محنة من الازل فخطوا زماناً فهزلوا وأجدب بلدهم فغيثوا فى هذا اليوم برشة من مطر فعاشوا وأخصبت بلادهم فجعله الفرس سنة

(صفة الايام) قال كسرى يوم الريح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للهو والشرب وقال غيره يوم السبت يوم مكر وخديعة والاحد يوم غرس وبناء ويوم الاثنين يوم سفر وطلب رزق والثلاثاء يوم حجامة والاربعاء يوم ضنك ونحس والخميس يوم الحج والجمعة يوم مسجد ونساء وكساء .

﴿ فى البرد ﴾ سئل بعض الحكماء عن البرد أيه أشد فقال اذا اصبحت السماء نقية والارض ندية والريح شامية

(محاسن الهدايا)

قال وكتب الناس فى الهدايا فأكثروا من الكلام المنثور والشعر الموزون وكل يكتب ويقول بمقدار عقله وعلمه حتى قالوا أنها قرابة وصلة كالرحم الماسة والقرابة القريبة وكلحمة النسب وأكثروا من التشفيع لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم تهادوا وتحابوا وقيل الهدية تفتح الباب المصمت وتسل سخيمة القلب وروى عن عائشة انها قالت اللطفة عطفة وتزرع فى القلوب المحبة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها ما هو خير منها وقال عليه الصلاة والسلام لو أهدى الىّ ذراع لقبلت ولو دعيت الى كراع لاجبت وقال عليه الصلاة والسلام الهدية رزق من الله عز وجل فمن أهدى اليه شئ فليقبله وقال صلى الله عليه وسلم نعم الشئ الهدية امام الحاجة ما ارضى الغضبان ولا استعطف ولا استميل الهاجر ولا توقى المحذور بمثل الهدية والبر وقال الله عز وجل ﴿وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون فلما جاء سليمان قال أتمدوننى بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون﴾ وروى ان عاملا لعلى رضى الله عنه قدم من بعض الاطراف فأهدى الى الحسن والحسين سلام الله عليهما ولم يهد الى ابن الحنفية فقال متمثلا

وما شرُّ الثلاثةِ أُمَّ عمروٍ * بصاحِبكِ الذى لا تصْحَبينا

فأهدى العامل اليه كما أهدى الى اخويه وروى من امير المؤمنين علىّ عليه السلام ان قوما من الدهاقين اهدوا اليه جامات فضة فيها الاخبيصة فقال ما هذا قالوا يوم نيروز فقال نيروزنا كل يوم فأكلوا الخبيص وأطعم جلسائه وقسم الجامات بين المسلمين وحسبها لهم فى خراجهم وقيل ان جلساء المهدى اليه شركاؤه فى الهدية والهدية تجلب المودة وتزرع المحبة وتنفى الضغينة وتركها يورث الوحشة ويدعو الى القطيعة والهدية تصير البعيد قريبا والعدو صديقا والبغيض وليا والثقيل خفيفا والعبد حرا والحر عبدا وفيها قول الشاعر

مامنْ صديقٍ وإنْ أبدى مودَّتَهُ * يوْماً بأنجحَ فى الحاجاتِ من طبقِ
إذا تقنَّعَ بالمنديلِ منطلقاً * لم يخْشَ نبْوةَ بوّابٍ ولا غلقِ
لا تُكْثِرَنَّ فإنَّ الناسَ مذْخُلقوا * لرَغْبةٍ كلما يُعطُونَ أوْ فرَقِ

وقال آخر

إذا أردْتَ قضاءَ الحاجِ منْ أحدٍ * قدّمْ لنجواكَ ما أحْببتَ منْ سببِ
إنّ الهدايا لها حظٌّ إذا وردتْ * أحظى منَ الإبنِ عندَ الوالدِ الحدِبِ

وقد قيل كل يهدى على قدره • وذكروا أن سليمان بن داود عليهما السلام بينا يسير بالريح

اذأتى على عش قنبرة فيها فراخ لها فأمر الريح فعدلت عن العش فلما نزل وافق يومه ذلك النيروز فجاءت تلك القنبرة حتى رفرفت على رأس سليمان وألقت في حجره جرادة فقيل له في ذلك فقال كل يهدي على قدره . وكان مما تهديه ملوك الامم الى ملوك فارس طرائف ما في بلدهم فمن الهند الفيلة والسيوف والمسك والجلود ومن تبت والصين المسك والحرير والسك والاواني ومن السند الطواويس والببغاء ومن الروم الديباج والبسط وكان القواد والمرازبة والاساورة يهدون النشاب والاعمدة المصمتة من الذهب والفضة والوزراء والكتاب والخاصة من قراباتهم جامات الذهب والفضة المرصعة بالجوهر وجامات الفضة الملوحة بالذهب والعظماء والاشراف البزاة والعقبان والصقور والشواهين والفهود والسروج وآلاتها وربما أهدى الرجل الشريف سوطاً قبله وكانت الحكماء يهدون الحكمة والشعراء الشعر واصحاب الجوهر الجوهر واصحاب نتاج الدواب الفرس الفاره والشهري النادر والحمار المصري والبغال الهماليج والظرفاء قرب الحرير الصيني مملوءة ماو زد والمقاتلة القسي والرماح والنشاب والصياقلة والزرادون نصول السيوف والدروع والجواشن والبيض والاسنة وكانت نسوة الملك تهدي احداهن الجارية الناهدة والوصيفة الرائعة والاخرى الدرة النفيسة والجوهرة المثمنة وفص خاتم وما لطف وخف واصحاب البز الثوب المرتفع من الخز والوشي والديباج وغير ذلك والصيارفة نقر الذهب والفضة وجامات الفضة مملوءة دنانير واوساط الناس دنانير ودراهم من ضرب سنتهم مودعة اترجة اوسفرجلة او تفاحة والكاتب واقف يكتب كل مهد وجائزة كل من يجيزه الملك على هديته ليودع ذلك ديوان النيروز

ومن الهدايا التي لم يسمع السامعون بمثلها هدية ابرويز الى ملك الروم بعقب محاربة بهرام جوبين وقد شارف الروم فانفذ رسولا يستنجده وبعث اليه مائة غلام من ابناء الاتراك مختارين في صورهم وتقوسهم في آذانهم اقرطة الذهب معلق فيها حب الدر على مراكب بسروج الذهب منظمة باليواقيت والزمرد وبعث معه بمائدة من عنبر فتحها ثلاثة اذرع مكللة المستدار بالدر لها ثلاث قوائم من ذهب احداها ساعد أسد مع كفه والاخرى ساق وعل مع ظلفه والثالثة كف عقاب في كف الاسد ياقوتة خضراء وبين ظلفي الوعل ياقوتة حمراء وفي كف العقاب قبجة من اللازورد عيناها ياقوتتان حمراوان تتوقدان حمرة وفي وسط المائدة خام من جزع يماني فاخر فتحه شبر في شبر مملوء يواقيت حمر وسفط ذهب فيه مائة درة كل درة مثقال ومائة لؤلؤة كل لؤلؤة مثقال ومائة خاتم من ذهب مرصع بالجوهر مشبك الاعلى محشو مسك وعنبر ووصل رسل ابرويز الى ملك الروم بهذه الهدية فأنجده وأرسل اليه عشرين ألف فارس بالسلاح الشاك وبعث اليه بألفي ألف دينار لارزاق جنده وألف ثوب منسوج

وعشرين جارية من بنات ملوك الصقالبة بأقبية الديباج المطير فى آذانهن أقرطة الذهب المزينة بالدر والياقوت وعلى رؤسهن أكلة الجوهر وأنفذ اليه عشرين مركباً على كل مركب صليب تحت كل صليب ألف فارس وألف برذون وألف شهرى وألف بغلة وألف نجيب بسروج مذهبة وأكف مذهبة ولجم من ذهب مصبوب وبرادع مذهبة وجلال وبراقع ديباج منسوج بالذهب واللؤلؤ وأوقر البغل من السندس والاستبرق والذهب واللؤلؤ وبعث اليه مساحة جريب أرض من ذهب فيه نخل من ذهب سعفه الزمرد وطلعه اللؤلؤ وشماريخه الياقوت الاحمر وكربه الجزع وبعث اليه ألف ألف لؤلؤة كل لؤلؤة بالف دينار وبعث اليه ألف ألف درهم مثاقيله ألف ألف دينار خسروانى وأتى به واعتذر اليه من التقصير فقابله ملك الروم عامة المقبل يوم النيروز بفارس من ذهب على شهرى من فضة عينا الشهرى جزع أبيض محدق بسواد وناصيته وعرفه وذنبه شعر اسود بيد الفارس صولجان من ذهب والى جانبه ميدان من فضة فى وسط الميدان كرة عقيق أحمر يحمل الميدان ثوران من فضة والشهرى يبول الماء فاذا بال انحط الصولجان على الكرة فرمى بها الى أقصى الميدان فتحرك بحركتها الثوران والميدان ويركض الفارس على عجل تحت حوافر الشهرى، فأما أهل الاسلام فلم يسمع بمثل هدية حسان النبطى الى هشام بن عبد الملك فانه أهدى اليه والى امهات الاولاد هدية كثيرة من الكساء والعطر والجوهر وغيرها فاستكثرها هشام وقال بيت المال احق بهذا ثم أمر فنودى عليها فبلغت مائة ألف دينار فبعث حسان أثمانها وقال يا امير المؤمنين قد طابت الآن هذه مائة الف دينار تحمل الى بيت المال فأقبل هديتى فقبلها ونادى على مناديه حسان سيد موالى امير المؤمنين قد طابت الآن هذه واستملح المأمون من ابى سلمة ذكر هدية لطيفة قال اهدى الى امير المؤمنين خوانا من جزع ميلا فى ميل فقال المأمون أوقبضت الهدية قيل نعم قال اهى فى دارى ام دارى فيها قال بل هى فى منديل فدعا بهديته فاذا خوان من جزع عليه ميل من ذهب قد صنع من مائة مثقال بطول الخوان وعرضه فاستملحه وقبله، واهدت اسماء بنت داود الى اسماء بنت المنصور مائة مركن من فضة فيها انواع اللخالخ والريحان المطيب ومائة جفنة مطيبة وانواع من الاطعمة والاشربة وعشراً من الوصائف فى قد واحد فقومت هديتها فبلغت خمسين الف دينار، وبعث الحسن بن وهب الى المتوكل بجام من ذهب فيه الفا مثقال من العنبر وكتب اليه

يا إمامَ الهدى سَعِدْتَ من الدهــر بركنٍ من الإلهِ عزيزِ
وبظلٍ من النعيمِ مديدٍ * وبحرزٍ من الليالى حريزِ
لاتزلْ ألفَ حِجّةٍ مِهْرَجاناً * أنتَ تمضى به إلى النيروزِ

ونعيم ألذ من نظر المعشوق من بعد نبوة ونشوز

قال خالد المهلبي أهديت الى المتوكل في يوم نيروز ثوب وشي منسوخ بالذهب ومشمة عنبر عليها فصوص جوهر مشبك بالذهب ودرعا مضاعفة وخشبة بخور نحو القامة وثوبا بغداديا فاعجبه حسنه ثم دعا به فلبسه : وقال يامهلبي انما لبسته لاسرك به فقلت ياأمير المؤمنين لو كنت سوقة لوجب على الفتيان تعلم الفتوة منك فكيف وأنت سيد الناس : وأحسن من جميع ما تقدم ذكره قول عبد الله العباسي والى الحرمين فانه قال هذا يوم يهدى فيه الى السادة والعظماء والواجب أن أهدى الى سيدى الاكبر ثم دعا بعشرة آلاف دينار فقسمها على أهل الحرمين فكانت فكرته في هذا أحسن من فعله

﴿ التلطف في الهدايا ﴾ كتب سعيد بن حميد الى بعضهم النفس لك والمال منك غير أني كرهت أن أخلى هذا اليوم من سنة فاكون من المقصرين أو أدعى أن في ملكي ما يفي بحقك فاكون من الكاذبين وقد وجهت اليك بالسفرجل لجلالته والسكر لحلاوته والدرهم لنفاقه والدينار لعزه فلازلت جليلا في العيون مهيباً في القلوب حلواً للاخوان كحلاوة السكر عزيزاً عند الملوك لاتحسن أفنيتهم الا بك ولا زلت نافقاً كنفاق الدرهم : وأهدى أحمد بن يوسف الى ابراهيم بن المهدى وكتب اليه الامراء أعزك الله تسهل سبيل الملاطفة في البر فاهديت هدية من لا يحتشم الى من لا يغتنم مالا فلا أكثره تبججاً ولا اقله ترفعا

﴿ هدايا النيروز ﴾ قال كتب الحسن بن وهب الى المتوكل في يوم نيروز بهذه الرقعة اسعدك الله يا أمير المؤمنين بكر الدهور وتكامل السرور وبارك لك في اقبال الزمان وبسط يمين خلافتك الامال وخصك بالمزيد وأبهجك بكل عيد وشد بك أزر التوحيد ووصل لك بشاشة ازهار الربيع المونق بطيب ايام الخريف المغدق وقرب لك التمتع بالمهرجان والنيروز بدوام بهجة ايلول وتموز وبواقع تمكين لا يجاوزه الامل وغبطة اليها نهاية ضارب المثل وعمر ببلائك الاسلام وفسح لك في المدرة والمدة وامتع برافتك وعدلك الامة وسر بك العافية وردك السلامة ودرعك العز والكرامة وجعل الشهور لك بالاقبال متصدية والازمنة اليك راغبة متشوقة والقلوب نحوك سامية تلاحظك عشقا وترفرف نحوك طربا وشوقا وكتب في آخره:

فداك الزّمانُ وأهلُ الزّمانِ * إمامَ الهدى بكَ مُستبشرينا
قد القوا اليكَ مقاليدَهم * جميعاً مُطيعينَ مُستوسِقينا
ولا زِلتَ زيناً لاعيادِنا * وللدّين كهفاً وحصناً حصينا
يعز بدو لتكَ الصالحون * ويشقى بكَ الشّركُ والمشركونا

فيا رُبَّ مُشْكلةٍ أبرَقتْ * فجلّيتها السيفَ حقاً يقينا
بصدْقِ عزيمةٍ مستبصرٍ * وضربٍ يقُدُّ الطُّلى والمتونا
وسمتَ النصارى بشيطانها * وذلّت منها الاغرَّ البطينا
وكمْ فعلةٍ لك في المشركينَ * أقرَّتْ عيوناً وأبكتْ عيونا

وكتب آخر

المِهْرجانُ لنا يومٌ نُسَرُّ به * يومٌ تُعظّمُهُ الاشرافُ والعجمُ
وأنتَ فيه لنا بدرٌ يضىءُ كما * أنّ السماءَ ببدرِ الليلِ تبتسمُ

وكتب آخر

عيدٌ جديدٌ وأنت جدّتهُ * يامنْ به للزّمانِ تجديدْ
لازالَ طولَ الزمانِ يرْجعُه * وظِلُّ مُلكٍ عليك ممدودْ

وقيل للمزاني أي هؤلاء أظرف في شعره الذي يقول

جُعلتُ فداكَ للنيْروزِ حقٌّ * فأنتَ عليَّ أعظمُ منهُ حقا
ولوْ أهديتُ فيه جميعَ ملكي * لكان جليلُهُ لكَ مستدَقا
فاهديتُ الثناءَ بنظمِ شعرٍ * وكنتَ لذاكَ مني مستحِقّا

أم الذي يقول

دخلتُ السوقَ أبتاعُ * وأستطرِفُ ما أُهدِي
فما استطرفتُ للإهدا * إلا طُرَفَ الحمد
إذا نحنُ مدحناك * رعينا حُرْمةَ المجدِ

أم الذي يقول

وكمْ منْ مُرسِلٍ لك قدْ أتاني * بما يُهدِي الخليلُ إلى الخليل
فاظهرْتُ السرورَ وقلتُ أهلاً * وسهلاً بالهديّةِ والرّسولِ

فقال أشعرهم جميعهم وأظرفهم الذي يقول

فواللهِ لاأنفكُّ أُهدِي شواردِاً * اليك يُحمّلْنَ الثناءَ المبجّلا
ألذّ من السّلوىٰ وأطيبَ نفحة * من المِسْكِ مفتوتاً وأيسرَ محْملا

و بعث سعيد بن حميد الى أحمد بن أبي طاهر قارورة ماورد وكتب اليه

وزائرةٍ حُوريّةٍ فارسيةٍ * كنشرِ حبيبٍ حادِ يوماً عن الصدّ

تردُّ ربيعاً فى مصيفٍ بنفحةٍ * إذا فقدتْ وردا تنوبُ عن الوردِ
حكى نشرُها منه خلائقَ نشرهِ * كنشرِ نسيمِ الرَّوضِ فى جنةِ الخلد
وشبَّهتُها فى صفوها بصفائه * لإخوانه فى القربِ منه وفى البُعدِ
وأهدتْ لنا منه النَّسيمَ نسيمه * وإنْ كان إنْ حالت يدوم على عهد

وعن اسحاق بن ابراهيم الموصلى . قال دار كلام بين الامين و بين ابراهيم بن المهدى . قال فوجد عليه الامين فهجره فوجه اليه ابراهيم بوصفية مغنية مع عبد هندى فابى الامين أن يقبلهما فكتب اليه

هتكْتَ الضَّميرَ بردِّ اللطفْ * وكشفْتَ هجْرَكَ لى فانكشفْ
فإنْ كنتَ تحقدُ شيئاً مضى * فهبْ للخلافة ما قدْ سلفْ
وجُدْ لى بعفوكَ عنْ زلتى * فبالفضلِ تأخذُ أهلَ الشّرف

فرضى عنه ودعاه للمنادمة

﴿ هدايا الفصد ﴾ قال ابن حمدون النديم افتصد المامون فاهدى اليه ابراهيم بن المهدى جارية معها عود ورقعة فيها

عفوتَ وكانَ العفوُ منكَ سجيّةً * كما كانَ معْقوداً بمفرقكَ المُلكُ
فإن أنتَ أعمتَ الرّضى فهو المنى * وإن أنتَ جازيتَ المسىءَ فذا الهلكُ

فقال المأمون خرف الشيخ يوم مثل هذا يذكر الثواب والآخرة فلم يقبل الوصيفة واغتم ابراهيم وكتب اليه مع الوصيفة

لا والذى تسجُدُ الجباهُ له * مالى بما دونَ ثوبها خبرُ
ولا بفيها ولا هممْتُ بها * ما كان إلاّ الحديثُ والنّظرُ

فقال المأمون نعم الآن أقبلها فقبلها، قال أبو القاسم بن أبى داود كنت عند أحمد بن محمد العلوى وقد افتصد فخرج بعض الخدم ومعه طبق من فضة عليه تفاح طيب مكتوب حواليه بالذهب

سُرَّ الغداةَ بوجْهكَ اللعبُ * وجرى بيُمنِ فصادكَ الطّربُ
وتداعتِ العيدانُ فى زجلٍ * وتناولتْ راحاتها النُّخبُ
فاشربْ بهذا الجام يا ملكى * شربا حثيثاً إنهُ عجبُ
واجعلْ لمنْ قدْ خفَّ فى لطفٍ * من زورهُ يُخشى ويُرتقبُ

فقال للخادم أخرجها الى الستارة فخرجت وخلا ليلته بها . وقيل افتصد المعتصم فاهدت

اليه شمائل صينية عقيق عليها قدح أسبل عليهما منديل مطيب مكتوب عليه بالعنبر فى كل ربع منه بيت شعر

خَضَبَ الخليفةُ كفّه منْ فصدهِ * بدمٍ يُحا كى عَـبْرةَ المشتاق

تاهَ الفصادُ فما يُقامُ لتيهـهِ * إذ صارَ مُفتصداً أبو إسْحاق

وتوافتِ للعيدانُ عندَ حضوره * قُبَّ البطونِ ذوابلَ الاعناق

مَلكٌ إذا خطرَ الشرابُ بباله * لبِس السرورُ غلائلَ الإِشراق

فلما قرأه أمر باحضار اسحق بن ابراهيم الموصلى وأمره أن يجعل له لحناً وأمر مسرورأ باخراجها من وراء الستارة ثم لم يزل اسحاق يردد هذه الابيات حتى أحكمتها شمائل وغنت فكأن سفط الدرّ يتناثر من فيها وأمر لاسحاق بمال وللجارية بخمس وصائف وخمسة آلاف دينار المبرد قال أهدى اليزيدى الى الرشيد يوم فصد جام بلور وشمامات غالية وكتب اليه. ياأمير المؤمنين تفاءلت فى الشرب فى الجام بجمام النفس ودوام الانس والغالية للغلو فى السرور والازدياد من الخير والحبور وقلت

دمُ الفصدِ منْ يدِكَ العاليـهْ * يُداعى لجسْمك بالعافيـه

كساالدّهرَ ثوْباً من الارْجُوان * بديعَ الطرازيْن والحاشيه

وعصْفرَ صفْحةَ وجـهِ الرّبيع * بصبْغ من آسرارهِ الجاريه

فكمْ روْضةٍ نشرَتْ وشْيهَا * وزهْرةِ روْضٍ غدَتْ زاهيه

إمامٌ أسالَ دمَ المكْرُماتِ * فشجّج أقنائها الحاميـهْ

فلا زال فى عيْشـةٍ راضيه * ودامتْ لهُ النعْمةُ الكافيـه

قال اليزيدى افتصد المأمون فأهدت اليه رباح أترجة عنبر عليها مكتوب بماء الذهب

تعاليْج مَنْ هويتُ بفصدِ عرْق * فأضحىْ السُّقمُ فى خلع الخضوع

وجاءتْ تحفـةُ الالبابِ تسعى * بوردٍ فائض فيضَ الدّموع

فقال المأمون لليزيدى ويحك ما تقول فيمن كتب هذين البيتين قال يكافأ بالدنيا وما استدق منها فأمر لها بمال كثير ووصلنى ببعضه . قال وافتصد عبد الله بن طاهر فأهدى له أبو دلف جميع ما أصاب فى السوق من الورد وكتب اليه

تضاحك الوَرْدُ فى وجهى فقلتُ لهُ * لمْ ذا فقال أبو العبّاس مُفتصدُ

فقمْتُ أطلُبُ ما أهديه منْ طُرفٍ * للفصْدِ فى السُّوقِ حتى خاننى الجلدُ

يومُ الفصادِ له أزرٌ مُطيّبة * محجوبة لايراها الجرْدُ والزردُ
فاشربْ على الوردِ مسرُوراً بطلعته * ياابن الكرام فأنت السّيدُ النجدُ

قال عمر بن بانة اعتل المعتصم فأشار عليه بختيشوع بالفصد وأنا عنده فأخرجت اليه هدايا الفصد وكان فيما أخرج طبق صندل مكتوب عليه بجزع كايدور عليه شمامات مسك وعنبر فأمر بقراءة ماعليه فاذا هو

فُصد الإمامُ لعلةٍ فى جسمه * فشفى الإلهُ السُّقم بالفصد
وجرى إلى الطشت السقام مُبادراً * وجرى الشّفاءُ إليه بالسَّعد
يامالكا ملك العباد بجوده * إسلم سَلمْت بعيشةٍ رغد

فقال ياعمرو من يلومنى على حب هذه الجارية والله ماأراها الا ازدادت فى عينى وخليق أن تنجب فان لها همة فولدت له غلاما وكانت آثر جواريه عنده واحظاهن لديه، وأخبرنا ابراهيم القارى قال كنت عند المأمون فاحتاج الى الفصد فقال له الاطباء البلد بادر فقال لا بدلى منه ففصدوه فلما كان وقت الظهر حضروا فراموا فجر العرق فاذا هو قد التحم فشدوا الرباط وفيهم ميخايل فما ظهر الدم فقال له المأمون عقرتمونى فحلوا الرباط وعلى رأسه بختيشوع وابن ماسويه فقال ماتقولون: قالوا ماندرى مانقول . قال فاشاروا هناك أن جلالة الخليفة ربما أدهشت الحاذق بالصناعة والمتقدم فى الرياسة فاعتزلوا ناحية وأبطؤا عليه فقال لاسود كان على رأسه ادن فمص الجرح ففعل فثار الدم فقال ادع هؤلاء الحاكة فجاؤا وشهدوا خروج الدم قال أين كنتم . قال ابن ماسويه لو فعل جالينوس مازاد عليه . قال وافتصد أحمد بن عيسى بالرى وهو أميرها فكتب اليه جعفر الشيبانى

فصدْتَ بأرض الرّيّ طابَ لكَ الفصْدُ * وفارق نجْمَ النّحْس طالعُكَ السَّعدُ
فأعْقبكَ الحسنى التى لا مَدى لها * ولا زالَ بُرديْكَ الجلالةُ والحمدُ
توَرّدَتِ الدُّنيا بفصْدِكَ مثلَ ما * بفصْدِك ياابنَ المصطفى ضَحِكَ الورْدُ
فلا أبْصرتْ عيناكَ ماعِشْتَ شانياً * ومنْ كلّ ماتهواهُ لاخانَكَ العهدُ

وفى مثله

يافاصداً منْ يدٍ جلّتْ أياديها * ونالَ منهُ الذى يرْجوهُ راجيها
يدُ النّدى هىَ فارْفُقْ لاترقْ دمها * فإنّ آمالَ طُلابِ النّدى فيها

قال وكتب الحمدونى الى الفضل بن جعفر وقد افتصد

ألا ياطبيبَ الفصْدِ هلْ أنْتَ عالمٌ * بماصنعتْ كفّاكَ فى كفّ ذى المجد

أسلتَ دماً من ساعدٍ ينثني بها * حياءً ندًى فاقصدْ بذرعك فى الفصد
فداويتَ كفاً تعلمُ الناسُ أنّها * دواءٌ منَ الاممحال فى الزّمنِ النّكد
ولمّا أتانا المخبرُونَ بفصدهِ * أردتُ بأنْ اهدى على قدرِ ماعندى
وشاورت فاستصحبت آلى وجيرتى * فلمْ أرَ أمرىٰ من ثناءٍ ومنْ حمْدِ

وقال آخر

تُوُثِّقَ منْ ثنائك فى الهدايا * غداةَ أردتَ فصدَ الباسليقِ
فلمْ أرَ كالدُّعاءِ أتمَّ نفعاً * وأجملَ فى مكافاةِ الصَّديق
وأكثرتُ الدُّعاءَ وقلتُ ربى * يَقيكَ شرورَ آفاتِ العُرُوقِ

وقال آخر

على طيبِ أيّامِ التّمتّع بالوردِ * فصدتَ فأصحبتَ السّلامة فى الفصد
ولا زلتَ لازالتْ منَ اللهِ أنعُمٌ * عليكَ قريرَ العينِ مغتبط الحسد
لقدْ رُمْتُ جَهدي طُرْفةً وهديّةً * إليكَ فكانَ الشكرُ أكثرَ ماعندى

وقال آخر

أيُّها الفاصدُ العليلُ الصَّحيحُ * بأبى ذلك الجراحُ الجريحُ
إنْ منْ علقِ الذراعَ منَ الفصدِ إلى الجيدِ ذاكَ شئٌ مليحُ
أيُّها الفاصدُ المهنا لهُ الورْ * دُ وفى وجنتيهِ وردٌ يلوحُ

وقال آخر

أيُّها السَّيِّدُ الذى فصدَ العِرْ * قَ وأرخىٰ دونى ذيولَ السُّرُورِ
كمْ تمنيتُ أنْ أكونَ طبيباً * ومُنى الصَّبِّ ترهاتُ الغرورِ

وقال آخر

أجملْ جُعِلتُ فداكَ بالجلْدِ * وامنُنْ علىَّ بأجملِ الرّدِّ
لوْ عاينَتْ عيناكَ مضطربى * وتفرُّدى بالمدِّ والشدِّ
وتخشُّعى عندَ الطبيبِ كأنهُ * مولىً يريدُ عقوبةَ العبدِ
كالنارِ مبضعُهُ يقلّبُهُ * ويُديرُ مُقلةَ جازمٍ جَلْدِ
حتى اعتزمتُ على مُحاجزةٍ * وصددتُ عنهُ أيّما صدِّ
ما كان من ألمٍ شَعَرْتُ به * إلا كموقعِ شرطةِ الجِلدِ

إذ سالَ مُنبعثاً نسوابقُـــهُ * كالنارِ خارجة من الزّندِ
فسلّمتُ والرحمنُ سلّمني * ذو المنّ والآلاءِ والحمدِ
ما بعـــدَ طبّاخي لمفتخرٍ * فخرٌ لمنْ قبلي ومنْ بعدي
نصبَ القدُورَ بنفسه كرَماً * لنُصيبَ شهوتَنا على عمد
فاجادَ صنعتها وعجّلها * من غيرِ ماتعبٍ ولا جهدِ
ونبيذُنا صافٍ ومجلسنا * في الطيبِ يحكى جنةَ الخلدِ
فهلُمَّ واحضرْ غيرَ محتشمٍ * واجعل غداءك سيدى عندى
لاتجمعنّ عليّ محتسباً * ضعفَ العليلِ و وحشةَ الفرد

محاسن الوصائف المغنيات

قال الاصمعى بعث الى هرون الرشيد وهو بالرقة فحملت اليه فانزلنى الفضل بن الربيع ثم دخلنى عليه وقت الغروب فاستدنانى وقال ياعبد الملك وجهت اليك بسبب جاريتين اهديتا لىّ وقد أخذتا طرفا من الادب احببت ان تبرز ماعندهما وتسير على الصواب فيهما ثم أمر احضارهما فحضرت جاريتان ما رايت مثلهما اقط فقلت لاحداهما ماعندك من العلم قالت ماامر الله فى كتابه ثم ماينظر فيه الناس من الاشعار والاخبار فسالتها عن حروف القرآن فاجابتنى كانها تقرا فى كتاب الله ثم سالتها عن الاشعار والاخبار والنحو والعروض فماقصرت عن جوابى فى كل فن اخذت فيه فقلت لها فانشدينا شيئا فانشدت

ياغياثَ البلادِ فى كلّ محلٍ * ما يُريدُ العبادُ إلا رضاكَ
لا ومنْ شرّفَ الإمامَ وأعلى * ماأطاعَ الإلهَ عبدٌ عصاكَ

فقلت ياأمير المؤمنين ما رايت امرأة فى نسك رجل مثلها وخبرت الاخرى فوجدتها دونها فامر ان تصنع تلك الجارية لتحمل اليه فى تلك الليلة ثم قال لى ياعبد الملك انا ضجر واحب ان تسمعنى حديثا مما سمعت من اعاجيب الزمان تفرج به فقلت ياأمير المؤمنين كان لى صاحب فى بدو بنى فلان وكنت أغشاه وأتحدث معه وقد أتت عليه ست وتسعون سنة وهو أصح الناس ذهنا وأقواهم بدنا فغبت عنه ثم أتيته فوجدته ناحل البدن كاسف البال فسألته عن سبب تغيره فقال قصدت بعض القرابة فالقيت عندهم جارية قد طلت بالورس بدنها وفى عنقها طبل تنشد عليه

محاسنُها سهامٌ للمنايا * مُريّشةٌ بأنواع الخطوبِ
ترى ريبُ المنونِ بهنّ سَهماً * تُصيبُ بنصلِه مُخَّ القلوب

فقلت

قفى شفتى من موضع الطّبل ترتعى * كما قد أبحت الطّبل فى جيدك الحسن
هبينى عوداً جوفه تحت متنه * يتغنى ما بين نحرك والذقن

فلما سمعت شعرى رمت بالطبل فى وجهى ودخلت الخيمة فوقفت حتى حميت الشمس على مفرقى ولم تخرج فانصرفت قريح القلب فهذا التغير من عشقى لها فضحك الرشيد حتى استلقى وقال ويلك ياعبد الملك ابن ست وتسعين يعشق فقلت قد كان هذا فقال ياعباس اعط عبد الملك مائة ألف درهم ورده الى مدينة السلام فانصرفت ثم أتانى خادم فقال انا رسول ابنتك — يعنى الجارية — تقول لك ان أمير المؤمنين قد أمر لها بمال وهذا نصيبك فدفع الى ألف دينار ولم تزل تواصلنى بالبر الواصل حتى كانت فتنة محمد وانقطع خبرها وامر الفضل لى بعشرة آلاف درهم، على بن الجهم لما افضت الخلافة الى المتوكل أهدى اليه الناس على اقدارهم فاهدى اليه ابن طاهر جارية أديبة تسمى قبيحة تقول الشعر وتلحنه وتحسن من كل علم أحسنه فحلت من قلب المتوكل محلا جليلا فدخلت يوما للمنادمة وخرج المتوكل وهو يضحك وقال ياعلى دخلت فرأيت قبيحة قد كتبت على خدها بالمسك جعفر فما رأيت أحسن منه فقل فيه شيئا فسبقتنى محبوبة وأخذت عودها فغنت

وكاتبة بالمسك فى الخدّ جعفراً * بنفسى خطّ المسك من حيث أثّرا
لئن أودعت سطراً من المسك خدّها * لقد أودعت قلبى من الوجد أسطرا
فيا من لمملوك يظلّ مليكه * مطيعاً له فيما أسرّ وأجهرا
ويا من لعينى من رأى مثل جعفر * سقى الله صوب المسكرات لجعفرا

قال فتقلت خواطرى حتى كانى ما أحسن حرفا من الشعر وقلت للمتوكل أقل فقد والله غرب عنى ذهنى فلم يزل يعيرنى به ثم دخلت عليه للمنادمة بعد ذلك فقال ياعلى أعلمت انى قد غاضبت محبوبة وأمرتها بلزوم مقصورتها ومنعت أهل القصر من كلامها فقلت ياسيدى ان غاضبتها اليوم فصالحها غدا فدخلت عليه من الغد فقال ويحك ياعلى رأيت البارحة فى النوم كأنى صالحت محبوبة : فقالت جاريته شاطر ياسيدى لقد سمعت الآن فى مقصورتها هينمة فقال تنظر ماهى فقام خافياً حتى وصلنا مقصورتها فاذا هى تغنى

أدور فى القصر كى أرى أحداً * أشكو اليه فلا يكلمنى
فمن شفيع لنا إلى ملك * قد زارنى فى الكرا يعاتبنى
حتى إذا ما الصّباح عاد لنا * عاد إلى هجره فقارقنى

فصفق المتوكل طربا فلما سمعته خرجت تقبل رجليه وتمرغ خدها فى التراب حتى أخذ

بيدها راضياً عنها ، حدث أبو علي بن الاسكري المصري واسكر هي القرية التي ولد فيها موسى عليه السلام — قال كنت من جلاس تميم بن تميم وممن يخفف عليه فأتى من بغداد بجارية رائعة فائقة الغناء فدعا بجلسائه وقدمت الستارة فغنت

وَبَدا لَهُ من بعدِ ما اندمَلَ الهوىٰ * بَرْقٌ تألَّقَ مُوهِناً لَمَعانُهُ
يَبدو كحاشيةِ الرِّداءِ ودُونَهُ * صَعبُ الذُّرىٰ متمنِّع أركانُهُ
وبدا لينظرَ كيف لاحَ ولم يُطِقْ * نظراً اليهِ وهدَّهُ هَيَجانُهُ
فالنارُ ما اشتملتْ عليهِ ضلوعُهُ * والماءُ ما سَحَّتْ بهِ أجفانُهُ

قال فأحسنت ماشاءت فطرب تميم ومن حضر ثم غنت

سَيُسْلِيكَ عمادٌ ونَدَوْلَةٍ مِفْضِلٍ * أوائلُهُ محمودةٌ وأواخِرُهْ
ثنى اللهُ عطفَيْهِ وألَّفَ شخصَهُ * على البرِّ مُذْ شُدَّتْ عليهِ مآزِرُهْ

فطرب تميم ومن حضر ثم غنت

أستَوْدِعُ اللهَ في بغدادَ لي قمراً * بالكَرْخِ منْ فلَكِ الازرارِ مَطْلَعُهُ

فافرط تميم في الطرب جداً وقال لها تمني ماشئت فلك مناك قالت أتمنى أيها الامير عافيته وسلامته فقال والله لا بد أن تتمنى ، فقالت على الوفاء أتمنى أن أغني هذه النوبة ببغداد فتغير وجه تميم وتكدر المجلس وقمنا فلحقني بعض خدمه فردني فلما وقفت بين يديه قال ويحك أرأيت ما امتحنا به ولا بد لنا من الوفاء ولم أثق في هذا بغيرك فتأهب لحملها الى بغداد فاذا غنت هناك فاصرفها فقلت سمعاً وطاعة ثم اصحبها جارية سوداء تخدمها وتعادلها وأمر بناقة لي فحمل عليها هودج وادخلت فيه وسرنا مع القافلة الى مكة فقضينا حجنا ثم لما وردنا القادسية اتتني السوداء فقالت تقول لك سيدتي أين نحن ، فقلت لها نحن الان بالقادسية فاخبرتها فسمعت صوتاً قد ارتفع ناشداً

لمَّا رأينا القادسـيَّةَ حيثُ مجتمعُ الرِّفاقِ
وشممتُ من أرضِ الحجا * زِ نسيمَ أنفاسِ العراقِ
أيقنتُ لي ولمنْ أحـبُّ بجمعِ شملٍ واتفاقِ
وضحكتُ منْ فرحِ اللقا * ءِ كما بكيتُ منَ الفراقِ

فصاح الناس من اقطار القافلة اعيدي بالله فلم يسمع لها كلمة فلما نزلنا الناصرية على خمس اميال من بغداد في بساتين متصلة تبيت الناس فيها ثم يبكرون ببغداد فلما قرب الصباح اذ السوداء قد اتتني مذعورة فقالت ان سيدتي ليست بحاضرة فلم أجدها ولا وجدت لها ببغداد خبراً فقضيت حوائجي وانصرفت الى تميم وأخبرته خبرها فلم يزل واجماً عليها واخبار القينات كثيرة

فنقتصر منها على هذا القدر

— محاسن الجواري مطلقاً —

قيل كان يقال من أراد قلة المؤونة وخفة النفقة وحسن الخدمة وارتفاع الحشمة فعليه بالاماء دون الحرائر ، وكان مسلمة بن مسلمة يقول : عجبت لمن استمتع بالسراري كيف يتزوج المهائر ، وقال ، السرور باتخاذ السراري وكان أهل المدينة يكرهون اتخاذ الاماء امهات اولادهم حتى نشأ فيهم علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم وفاق أهل المدينة فقها وعلما وورعا فرغب الناس في اتخاذ السراري قال وليس من خلفاء بني العباس من أبناء الحرائر الا ثلاثة السفاح والمنصور والامين والباقون كلهم أبناء الجواري وقد علقت الجواري لانهن يجمعن عز العرب ودهاء العجم

﴿ ضده ﴾

إذا لم يكنْ في منزلِ المرْءِ حرَّةٌ * رَأى خللاً فيما تولى الولائدِ
فلا يتخذْ منهنَّ حرٌّ قعيدَةً * فهُنَّ لعمرُ اللهِ شرُّ القعائدِ

وكان يقال ، الجواري كخبز السوق والحرائر كخبز الدور ، ومن أمثال العرب لا تمازح أمة ولا تبك على أكمة : وقال بعضهم لا تفترش من تداولتها أيدي النخاسين ووقع ثمنها في الموازين وقال لا خير في بنات الكفر وقد نودي عليهن في الاسواق ومرت عليهن أيدي الفساق

— محاسن الموت —

في الحديث المرفوع الموت راحة وقال بعض السلف مامن مؤمن الا والموت خير له من الحياة لانه ان كان محسنا فالله يقول « وَما عندَ اللهِ خيرٌ للابرار » وان كان مسيئا فالله تعالى جده يقول أيضاً « ولا يَحْسَبَنَّ الذين كفروا انما نُمْلي لهمْ خيرٌ لانفسِهِمْ إنما نُمْلي لهم ليَزْدادُوا إثْما » وقال ميمون بن مهران أتيت عمر بن عبد العزيز فكثر بكاؤه ومسئلته الله الموت فقلت يا أمير المؤمنين تسأل ربك الموت وقد صنع الله على يدك خيرا كثيرا أحييت سننا وأمت بدعا وفعلت وصنعت ولبقائك رحمة للمؤمنين ، فقال ، الا أكون كالعبد الصالح حين أقر الله عينه له أمره قال « ربّ قد آتيتني منَ المُلْكِ وعَلَّمْتني من تأويلِ الاحاديثِ » الى قوله « وألْحِقْني بالصالحينَ » فما دار عليه أسبوع حتى مات رحمه الله قالت الفلاسفة لا يستكمل الانسان حد الانسانية الا بالموت لان حد الانسانية انه حي ناطق ميت وقال بعض السلف الصالح اذا مات استراح والطالح اذا مات استريح منه قال الشاعر

وما الموْتُ إلا راحة غيرَ أنه * منَ المنزلِ الفاني إلى المنزل الباقي

وقال آخر

جزا اللهُ عنا الموتَ خيراً فإنه * أبرُّ بنا من كلّ برٍّ وأرأفُ

يعجّلُ تخليصَ النفوسِ من الاذى * ويُدنى من الدّارِ التى هى أشرفُ

وقال منصور الفقيه

قدْ قلتُ إنْ مَدحوا الحياةَ فاسرفوا * فى الموْتِ ألفُ فضيلةٍ لا تُعرفُ

منها أمانُ بقائه بلقائهِ * وفراقُ كلّ معاشرٍ لا يُنصِفُ

وقال أحمد بن أبى بكر الكاتب

منْ كان يرْجو أن يعيشَ فإنني * أصبحْتُ أرْجو أن أموتَ فاعتقا

فى الموْتِ ألفُ فضيلةٍ لوْ أنّها * عُرفتْ لكانَ سبيلهُ أنْ يُعشقا

وقال لنكك البصرى

نحنُ واللهِ فى زمانٍ غشوم * لوْ رأيناهُ فى المنام فزعْنا

أصبحَ الناسُ فيهِ من سوءِ حالٍ * حقّ مَنْ مات منهمْ أنْ يُهنا

﴿ ضده ﴾

فى الحديث المرفوع أكثروا ذكرهاذم اللذات يعنى الموت، قال الشاعر

ياموْتُ ما أجفاكَ منْ نازلٍ * تنزلُ بالمرْءِ على رغْمه

تستلِبُ العذْراءَ منْ خِدرِها * وتأخذُ الواحدَ منْ أمّهِ

وقال

وكلُّ ذى غيبةٍ لهُ إيابٌ * وغائبُ الموْتِ لا يؤوبُ

وقال بعضهم الناس فى الدنيا اغراض تنتصل فيها سهام المنايا وقال ابن المعتز الموت كسهم مرسل اليك وعمرك بقدر سفره نحوك وقال بعضهم الموت أشد مما قبله وأهون مما بعده ونظر الحسن رضى الله عنه الى ميت يدفن فقال ان شيئا أوله هذا لحقيق ان يخاف آخره وان شيئا هذا آخره لحقيق ان يزهد فى اوله وسئل بعض الفلاسفة عن الموت فقال مفازة من ركبها ضل خبره وعفى اثره والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

﴿ تم الكتاب بعون الملك الوهاب ﴾

﴿فهرس كتاب المحاسن والاضداد﴾


Bibliotheca Alexandrina
03743399